
الشقق السوداء
الشقق السوداء
جمال شاهين
المكتبة الخاصة

بسم الله الرحمن الرحيم



تلاقت العيون الأربعة في المقهى الذهبي ،

وبعد شهور من النظرات تلاقت القلوب ،

فعرف أن الرجل يبحث عن رجل التقى به قبل

ثلاثين سنة في هذا المقهى ، وابتاع منه صورة مهينة

لزوجته صورة عارية .

فحدثت حوارات وتحقيقات واعترافات عن الشقق

السوداء ..

فكسب الكاتب الهاوي من ورائها أكثر من ربع مليون ،

وزوجة غنية ..

وهذا يؤكد غرائب الدنيا وأخبارها

هذا ستقرأه في قصة الشقق السوداء

الشفق السوداء

كتبها لكم

جمال شاهين

الكوكب الذهبي

المطاعم والمقاهي والنوادي من علامات الحياة في المدن ، والمساجد منارات سامقة في الأحياء والشوارع والمدن والقرى العربية والإسلامية ، تجتمع كل طائفة أو أهل كل بلد في مقهى معين ويصبح مركزا يلتقون فيه للعب واللهو وتبادل الأخبار خاصة المغتربون ، وأيضا للشغل والعمل وللباحث عن شغل وعمل ، وكذلك نقل الرسائل للبلد الأصلي والأهل ، فترى مغتربين من كل قطر لهم مقهى أو أكثر يترددون عليه .

وكذلك قد تجد شباب وفتيان الأحياء الذين لا يحبون مقاهي الأحياء والحارات يجتمعون في مقاهي خاصة بهم في مركز المدينة ، والمقهى مكان بيع القهوة المادة المعروفة لكل شعوب الأرض اليوم .. وهكذا بدأ المكان كان يبيع القهوة للمارة والناس ، ثم تحول لمكان لهو ولعب الميسر والورق ، وأصبح يبيع الشاي والمثلجات والمشروبات المشروعة قانونا ، والمقاهي العربية عادة ممنوعة من بيع الخمور والكحول بأسمائها الكثيرة ؛ ولكن يسمح للسكارى بالجلوس واللعب فيها.

ومع دخول الراديو المذياع الحياة المدنية أصبح المكان يشد الناس للجلوس فيه ؛ لسماع الراديو من أغاني وموسيقى ، ثم دخل التلفزيون محل الراديو ، ثم جاءت شاشات العرض ومحطات الفضاء.

هذه المقدمة عن المقاهي ؛ لأن الحكاية بدأت في مقهى الكوكب الذهبي في مركز المدينة ، ما هو الكوكب الذهبي ؟! الجواب أنا لا أدري .. نحن نسمع عن الكوكب الأحمر ويقصدون به كوكب المريخ ، الكوكب الرابع من المجموعة الشمسية درب التبانة هكذا علمونا.

والأسماء اخترعت للتمييز بين الأعلام والأشياء.. صاحبنا إدريس اللبن كان من رواد المقهى الذهبي ، كان المقهى يأخذ جزءا كبيرا من مساحة الطابق الثالث ، والأول كله محلات تجارية والثاني مطعم كبير ، المقهى عبارة عن صالة كبيرة ، الغرف مفتوحة على بعضها البعض ؛ لذلك في بعض الأجزاء لا يرى الزبائن بعضهم بعضا ، وموضع التلفزيون في زاوية في وسط

المكان تمكن العدد الكبير من رؤية التلفزيون .. إذن هناك حواجز تمنع رؤية بعض الزبائن لبعض ، وفي المقهى شرفات من يجلس فيها يرى وسط المدينة والمشاة والسيارات ، ويغلب على المقهى رواد الجنسيات الإفريقية السودان ليبيا مصر ، ومباريات الرياضة تدفع الزبائن للجلوس قرب الشاشة أكثر من غيرها ، ولا تنسى لعب الشدة والورق .. البلد فيها أيدي عاملة من جنسيات كثيرة لما تتمتع فيه من استقرار اقتصادي وسياسي عن غيرها من منظومة الدول العربية ، وهذا المقهى لا يمتاز بكثرة الرواد من أهل المدينة الأصليين .. والمقاهي كثيرة في مركز المدينة .

القمار ممنوع في المقاهي ؛ ولكن لاعبو الورق يمارسونه بالحدود الدنيا ؛ كأن يدفع الطرف المهزوم ثمن المشروبات التي طلبت أثناء اللعب .. وهذا يكون بين اللاعبين دون تدخل من إدارة المقهى ، ودون إشهار هذا ، وهناك ألعاب أخرى تمارس في المقاهي مثل لعب النرد ، ويسمونها لعب الطاولة ، وهناك الشطرنج والدومينو ، وبعضهم لا يلعب يتفرج على كل شيء يعرض على التلفاز ، بعضهم يتفرج على الناس أو يثرثر مع مجموعة خاصة أو مع أي شخص يصدفه ، وبعضهم ينشغل بالتدخين والشاي ، فهنا يباع الشاي والقهوة واليانسون والقرفة والسحلب والمرطبات وعلب التبغ ، ومن جاع فيهبط للطابق الأسفل يتناول المطعومات السريعة والبطيئة والدسمة والخفيفة الدسم .

كان الكهل إدريس اللبن من رواد هذا المكان من سنوات طويلة ، فهو معروف لسيد المقهى والعاملين ، فمالكه عوني أبو نوفل رجل عجوز ورث المقهى عن أبيه ، وتجمع بينه وبين إدريس قرابة ، وأصبح إدريس من زبائن المقهى الدائمين ، وأصبح مقر استراحته ، فعندما يغادر مقر عمله الرسمي قبل التقاعد يتجول في شوارع المدينة ، يتناول الغداء في أحد المطاعم ويصلي العصر في أحد المساجد ، ثم يجلس في المقهى حتى المغرب ؛ وربما يجلس بعض الوقت مع مدير المقهى قريبه ، ثم يذهب للجلوس في إحدى الشرف يراقب الخلق أو يأخذ زاوية يكتب فيها مقالا أو أفكارا أو يتحدث مع أحد الناس يصدفه يتناقشان يتجادلان يعلقان على

خبر سياسي اقتصادي سياسي اجتماعي رياضي، ثم يغادر عند المغرب للصلاة في مسجد قريب من المقهى حيث ترى مئذنته من شرفة المقهى ، ويسمى المسجد الكبير سيدي سعيد ، ويصلي المغرب جماعة ، وبعد الصلاة إما أن يذهب لإدارة الجريدة التي يكتب لها بعض المقالات والتحقيقات كهواية فحسب ، وهي جريدة أسبوعية تصدر كل أسبوع مرة ؛ وربما تحتجب في بعض الأسابيع لأسباب متنوعة على رأسها الضعف المالي ، فيصدر العدد في الأسبوع التالي ؛ ولكنها مستمرة في عملها ، فمالكها يعمل محاميا في الأصل ، ولها سكرتير تحرير وطابع ، ومراسل مكتب يعمل من الصباح حتى العصر ، ومن مهامه التنظيف والشاي والقهوة وإحضار البريد من صندوق البريد الخاص بالصحيفة ، فيذهب إدريس لتسليم ما كتب باليد ويجلس مع المدير وهو قريب له ، وهو الذي رغبه بالكتابة من سنوات وسنوات ، فيشرب معهم الشاي يثرثرون يقترحون ، ثم يغادره بسيارة أجرة صفراء إلى حي الشاعر حيث يعيش في شقة يملكها.

ولم تحدد البلدية اسما للشاعر تركته على غموضه ، فقد يكون اسم عائلة ، يقول إدريس الذي يعشق الفضول ويحب معرفة كل شيء يقول : لم أعرف نهائيا سبب اطلاق الاسم على الحي حتى قيم المكتبة العامة المهتم بتاريخ المدينة وأحيائها تراثيا وتاريخيا لا يفهم سبب اطلاق حي الشاعر على هذا الحي.

وقال إدريس: رغم عملي بالتحقيقات الأدبية والفكرية ما زلت لا أعرف لماذا سموه بهذا الاسم ؟ ولا أعرف أحدا يحمل اسم هذه الأسرة في هذا الحي بالذات .

يقول إدريس : في السنة الأخيرة التي أعيش فيها كان رجل يرتاد المقهى قد أثار فضولي بالحديث معه ، وأثار انعزاله استغرابي وحيرتي ، حاولت فتح خطوط اتصال معه بسرعة ؛ ولكنه رفض بالصمت وعدم التفاعل معي ، عادة أنا أحتك بالزبائن ، ثم أتخلى عنهم .. ويصبح الجلوس معهم لحديث قصير والتحية ، أما هذا الرجل فأبى أي انفتاح وحوار .. يتعرف الإنسان على الأشخاص ثم يختار الاستمرار أم الانسحاب .. هذا الرجل ولا حتى

عرفني على اسمه .. يتردد يوميا على المقهى كل مساء ، يحدق بالناس ولا يتعرف عليهم ، ولا يفتح حديثا مع أحد ، لا يجالسه أحد ، لم يستقبل أحدا .. كله غموض حتى سميته الزائر الغامض .. أنت تتعرف على الناس من المجاورة والمشاهدة أكثر مرة في نفس الزاوية التي تستوطنها وذلك إذا تكرر المجيء لنفس المكان .. جاورني في المكان ، ولا يسعى للتعارف كما هي عادة البشر من حب التعارف والثرثرة ، ولو حتى ببطولات كاذبة أو مضخمة .

أنا اتخذت المقهى مكانا للاستراحة ولقاء المعارف عند الحاجة ، ومكانا للتنفيس من الغضب والضيق من التعامل مع البشر أثناء ممارسة الوظيفة ، قضيت عمري في مراقبة المطاعم والمقاهي والتفتيش الصحي على المحلات ومحلات بيع المواد الغذائية .. تخرجت من الجامعة في مطلع الستينيات ، أحمل بكالوريوس صحة عامة ، فعملت في وزارة الصحة فترة لم تكن طويلة ، وانتقلت للعمل في صحة البلدية كمراقب ومفتش صحة على المحلات ، وأنها تراعي الصحة العامة ، ومتابعة المواصفات الصحية اللازمة في تلك المحلات كالمطاعم والبقالات والمقاهي والفنادق .. فهل يراعون المواصفات الصحية للمحافظة على الصحة العامة عند إنشاء مثل هذه المصانع والمحلات ؟ وكذلك عدم نشر الأمراض المعدية .. ونهتم بمتابعة محلات بيع اللحوم والأسماك وبيع الدجاج وبيض المائدة

وأنا اليوم متقاعد من هذه الوظيفة المهمة في حياة المدينة ، كنت متزوجا قبل ثلاثين سنة ، ثم ترملت بعد عشر سنوات زواج ، ولم تلد لي الزوجة رغم المعاناة الشاقة بسبب هذه القضية أطباء فحوصات مشعوذون بوصفات لا تنتهي ، وقد علمت من الأطباء أني غير قادر على الإنجاب ، وأن لا فائدة من المتابعة ؛ لذلك بعد موت الزوجة ارتحت ، ولم أعد أفكر بالزواج ثانية خشية العودة لتلك السنوات المرة من تحاليل مراجعات أدوية .. تعقدت من إعادة التجربة إذا جاز هذا التعبير ، فلي اليوم أكثر من عشرين سنة بدون امرأة تشاركني الفراش والبيت ، أنا ألعب وحدي ؛ فلذلك أحب أن أسلي نفسي بالناس وقصص الناس ؛ ولكني أسر جدا عندما يزورني أبناء أخي حسن وأختي فاطمة ، فكل جمعة يزورونني فهم من سكان

الحي الذي أسكن فيه ، وستعرف المزيد عني خلال سطور القصة سواء رُقت لك أو لم أرق .
انتبهت لهذا الزائر الغامض وشدني الفضول إليه ، رجل يزيد عن الخمسين مثلي ، نحن بدا لي أبناء نفس الجيل ، كانت عيناي تلتقي بعينيه للحظات ، أظن أنه سيكون بعدها لقاء وتعارف ولكن لا يحدث الحديث ولا التعارف ، وأصبح الرجل شغلي الشاعل كلما جلس في مقهى الكوكب الذهبي ، هو يلاحقني بعينيه خفية ، وأتظاهر بالنظر إلى شيء فأجد أنه يلاحقني بعينه .. أحيه بالتحية الإسلامية فيرد التحية ويلزم الصمت .. أثار الفضول الرهيب في نفسي يجب أن أعلم من هو هذا الزائر ؟! .. مضى شهر والعيون تتلاقى دون فائدة دون حوار .. وهو من أكثر الناس الذين رأيتهم يدخنون ؛ ربما يحرق علبة كاملة منذ دخوله المقهى وحتى يخرج يطلب شايا أولا ، ثم قهوة ، ومرة أخرى يعكس الطلبات .

هذا الزائر الغامض رغم مرور شهر على تلاقينا في تلك الزاوية من المقهى الذهبي لم يسع إلى ذكر اسمه لأحد أنا أو غيري أو مهنته أو كنيته أو لقبه ، كانت العيون تتناجى ثم يغرق في عزلته وسرحانه .. عجبت لحالنا نريد أن نتكلم ثم يضعف كلانا ، وأثار دهشتي فيه أيضا أنه يحضر للمقهى مع وقت العصر كما أفعل ويغادر قبل المغرب أو بعده .. وكنت ألحظ ابتسامة غامضة على وجهه وهو يغادر المقهى قبلي .. لقد أصابني بعلة قاتلة علة الفضول الزائد الشديد المتعطشة لكشف شخصية هذا الإنسان.. زاد الفضول البشري من صمته من كلام عينيه .. سألت بعض من يجلس بقربنا هل عرف أحدهم اسمه كنيته مهنته وظيفته ؟ لا أحد استطاع إجابة أو معرفة شيء.. فهو غامض غموضا غير عادي ، فكان يستحق لقب الزائر الغامض .

كان عليّ بعد مرور شهر أن اكشف حقيقته ، فقد سألت نفسي لعله مجنون مريض عقلي سألت الجرسونات فقالوا : لا يتكلم معنا إلا بالطلبات والماء وشراء الدخان

مع مضي سنوات وسنوات على جلوس إدريس في المقهى الذهبي وتعرفه على رواد كثر لم يثر فضوله ورغبته للتعرف عليه كهذا الكهل الأنيق الذي يأتي المقهى ببذلة أنيقة كأنه موظف

كبير .. مضى نصف الشهر الثاني منذ ظهر الرجل في المقهى .. وإدريس قد حسب ذلك ولليوم لم يعرف أحد اسمه أو أبو ماذا ؟! وحدث تغير مثير أيضا أن الرجل بعض أيام الأسبوع يأتي في الصباح يقضي ساعة وأكثر ثم ينصرف ، ويعود عصرا كما بدا لإدريس .. يظهر بعد العاشرة صباحا ويشرب اليانسون أو الشاي بالحليب ويختفي ويعود مساء مما خربط دماغ إدريس المهتم به أكثر من اللازم .. وهذا علمه إدريس من عمال المقهى الذين انتبهوا إلى اهتمام إدريس بالرجل الغامض ، وقد حاول هؤلاء المساعدة بمعرفة اسم الرجل ، وعجزوا عن ذلك مما زاد الفضول لدى إدريس أكثر .. إنما ينادونه يا حاج يا أبا الشباب كما يقال لكل مجهول الاسم .

كان الرجل يرفض أي سيجارة تقدم له من إدريس أو غيره ، وهو من عشاق الصمت وقلة الكلام ، لا يتكلم إلا عند رد التحية والسلام وبصوت ضعيف ويكون ذلك تحت الإجبار .. وربما يضطر للكلام مع الجرسونات لطلب المشروبات أو الدخان ودفع الحساب .. فكنت أقول لنفسي للرجل حكاية ، أنا أقرأ الوجوه والعيون كيف سأصير ثقة عنده ؟ ليفتح قلبه وأسمع مأساته ، نعم إن له مأساة .. وهو دائما أنيق الثياب يأتي المقهى ببذلة أنيقة ، وخلال الأربعين يوما قد أكون رأيت عليه أكثر من ستة بذلات .. لماذا جاء لهذا المقهى ما دام ليس له أصحاب يرافقهم ويسامرهم ؟! مرة واحدة فقط أقبل شاب إلى المقهى وجلس يسّاره بحديث بضع دقائق وانصرف ، لم استطع التقاط شيئا من الحديث بينهما .. الزائر الغامض علب سجائره تتغير لا يثبت على ماركة معينة .. لماذا أنا مهتم به لماذا ؟! أخبرني الجرسون أبو جلال أن الرجل يرتاد المكان يوم الجمعة في الموعد المسائي .. أنا من النادر أن أجلس في المقهى نهار الجمعة ، الجمعة اجعله للتواصل الأسري لاستقبال وزيارة الأقارب وأبناء الأخوة والأخوات خاصة سكان حي الشاعر الذي يكون في غرب مركز المدينة .. فأخي طبيب عمل في الحكومة ثم ترك وفتح عيادة خاصة في حي الشاعر ، وهو محبوب من سكان الحي ، وهو طبيب شعبي وأختي التي تجاورني في الحي ربة بيت مع أنها تخرجت مثلنا من الجامعة ؛ ولكنها منذ تزوجت

تركت العمل ولم تمارسه ، وهي أكبر إخواني ، وهي مشفقة عليّ ، وسعت أكثر من مرة في تزويجي بعد ترملي ، وكنت أرفض وأفشلها .. وزوجها محترم ، وأنا لا أحب مزاحه ؛ لأنه كثير ما يثيرني ويستفزني ويغمز بي من ناحية النساء ..كان يريد أن أتزوج لإرضاء زوجته أختي ، لابد أنها قضية تشغلهم كثيرا في البيت ..لا يمر شهر دون تناول الغداء معهم وذلك يوم الجمعة .. مرة استعنت بخادم آسيوي في البيت قضى معي بضعة شهور، ثم تخلصت منه لا شيء عندي يلزمه خادم .. الطعام المطبوخ توفره المطاعم المنتشرة في الشوارع والأحياء وفي قلب المدينة .. عددها كثير لا تحصى .. ما بين الكبير وبين للصغير .. والغسيل والكوي لا يخلو حي منه .. وما ينفق على الخادم من مال وطعام ينفق على المطعم والكواء ..ولا يخلو بيت من غسالة كهربائية ؛ لتقوم بغسل الملابس الداخلية ..ومكنسة كهربائية لتنظيف السجاد والبيت .

وكما ذكرت لي قرابة يدير جريدة أسبوعية ، ومنذ فتح تلك المصلحة وأنا أكتب له بناء على رغبته .. لا يقل شهر من مقالين اكتبهما لجريدته.. وهناك مقالات وتحقيقات أنشط فيها ، وبعضها أكتبها بدون روح ملء الفراغ فقط ، وبعضها كما يقول يحولها لسلة القمامة .. وأهم ما أكتب فيه وعنه قراءة كتاب إما التعليق عليه أو تلخيصه وتشجيع القارئ على قراءته .. ولي أعمل معه أكثر من عشرين عاما بهذه الطريقة .. وأنا بعد تسليمها له لا أعود لقراءتها ، ولا هو يطلب من ذلك .. لا وقت لدي للإعادة رغم أني بدون أسرة .. لا وقت للمراجعة والعودة لما نشر .. العمل معه هواية ليس احترافا .. ولا أدعي أني صحفي كبير ولا صغير .. وأنا متقاعد من العمل الوظيفي ..وكنت أتردد على المكتبة العامة في وسط المدينة ، وتعرفت على كل الموظفين في قسم المطالعة ..فأتحدث مع قيم المكتبة عن كتاب جديد معلومة مثيرة مقال انتشر عنوان شاع كذلك .. فالكتب الجديدة تصل المكتبة ، وكذلك الصحف اليومية وقد يدفع لي قريبي الصحفي كتابا نزل السوق لأقرأه وأعلق عليه حسب المساحة المطلوب تغطيتها .. ومرات أرفض ومرات أضطر أن أقبل لتبقى حبال الوصل متصلة .. وليستمر

ترددي على مكاتب الجريدة .. واعلموا أن توقيعي على المقالات باسم غير حقيقي .
كان الزائر الغريب لمقهى الكوكب آثار الفضول لديّ بشدة عجيبة ، وشدني لأسعى إلى معرفة سبب هذا الانعزال والانغلاق ، ومعرفة تفاصيل حياته ، ولماذا هو متقوقع على نفسه ؟! استعملت عددا من الوسائل معه دون نتائج ودون فائدة ، فكرت بهجر المقهى حتى لا أفكر فيه ، وقلت لماذا أهجر المقهى أنا ؟ فليهجره هو .. إني أجلس فيه من عشرات السنين أصبح جزءا من يومياتي ، ومن حياتي .. العمال يتغيرون يتبدلون حتى لو مات صاحب المقهى سأبقى الزبون الدائم هنا .. أستيقظ في الصباح للصلاة في الجامع الفجر .. وأنام .. أستيقظ وأطلع على الصحف التي يؤمنها لي صاحب المكتبة في الحي .. أتناول الفطور في البيت مما هو متوفر في البيت أو أمشي إلى مطعم قريب من البيت في أحد الشوارع الرئيسية ، ثم أعود للبيت لشرب الشاي .. وأغتسل وأصلي الظهر في أحد مساجد الحي ـ يوجد في الحي ما يزيد عن خمسة جوامع ـ لا أخص أحدها عن غيره .. لا أعتبر نفسي شخصا متدينا كما يصنف الناس .. تعلمت الصلاة منذ الطفولة المبكرة من حياة الوالدين ..كان من أهم الأشياء عندهم الصلاة وقد نفعنا الله بذلك .. وما زلت أخص قبريهما بزيارة مرة أو مرتين في السنة ، ولا أؤمن بزيارات الأعياد ، فبعضهم يرى أنها ليست من هدي النبي صلى عليه وسلم فلم أعد أهتم بها لما وصلتني هذه المعلومة .. وإذا حضرت دفن جنازة حيث قبرا تراني أمر على قبريهما مسلما وداعيا ـ رحمهما الله ـ كانت أمي تتمنى أن تراني أبا .. وماتت وهي حزينة عليّ.. والطب لم يستطع مساعدتي .. والأمر كله لله ..وأنا الآن أقترب من الستين عاما ..فلست بحاجة لزوجة وقاومت مشاريع الزواج السنوات الماضية .. بضع سنوات ونغادر الدنيا .. أعمار الأمة بين الستين والسبيعين .. وبعد صلاة الظهر أنطلق إلى مركز المدينة العامرة حيث الحياة الكبيرة أزور المكتبة العامة قراءة دردشة مع الزوار الموظفين .. هنا الغذاء العلمي الكتب الفكر الشعر ثم أمشي في الشوارع إلى المسجد الكبير ، وربما دخلت الأسواق في جولة بطيئة أو سريعة حسب الوقت والفصل .. ثم صلاة العصر في مسجد سيدي سعيد .. يقولون إنه شيد في عهد

الصحابة .. ولا دليل .. وبعده إلى المقهى العتيد .. وقد أتناول طعاما قبل دخول المقهى إما في المطعم الكائن في الطابق الثاني أسفل المقهى أو ءأخره لبعد صلاة المغرب .. أذهب للصحيفة ثلاث مرات في الأسبوع ومرات مرتان فقط .. أعود للبيت أصلي العشاء غالبا في مساجد الحي أو البيت .. أشاهد التلفزيون أو أقرأ رواية .. أحب قراءة الروايات التاريخية رغم أنها مليئة بالكذب والخيالات .. وأقرأ الروايات البوليسية الشائعة والمنتشرة بكثرة هذا اليوم .. أقرأ أحيانا مذكرات شخصية لمشاهير ومغمورين .. إنني أسهر لنصف الليل ..قد يطل عليّ بعض الأصدقاء والجيران وبعض الأقارب .. وأحب صلاة الفجر في الجامع وأنا حريص عليها .. وقد أجلس مع بعض الجيران والأقارب في المسجد حتى تشرق شمس النهار ونعتمر ونحج .. وأعود للبيت للنوم وقد أشرب لبنا دافئا أو قهوة قبل الغرق في النوم .. لم يكن عهد الفضائيات انتشر بكثرة .. أنا اليوم مشغول بزائر مقهى الكوكب الذهبي .. نحن في آواخر عام ١٩٩٣.

انتهى موسم شتاء ذلك العام ، وجاء شهر مارس ١٩٩٤ولم يتمكن إدريس من معرفة أسرار الزائر الغامض مع ما بذل من جهد وحيل فغير الخطة .. وقرر أن يرقبه خارج المقهى ..كان الرجل يرفض تقربه بكل قوة .. وأحيانا يبتعد عنه إلى مكان آخر ؛ لكنه في نفس القسم والجزء من المقهى .. خطر لإدريس متابعة الرجل خارج المكان .. التعرف على سكنه على جيرانه ؛ وكأن الكهل أدرك أفكار إدريس الجديدة فكان يعمل على إفشال هذه الخطة .. مما زاد من غيظ إدريس ويتسأل كل مرة يفشل فيها .. لماذا يفعل ذلك ويرفض أي تعارف أو احتكاك ومع ذلك لم يطلب مني ترك عبثي أو أفعالي ؟!

كان إدريس يغادر المقهى كما ذكرنا بعد دخول المغرب ، ويدرك صلاة الجماعة في الجامع سيدي سعيد ..كان بعضهم يرى أنه سمي على اسم الصحابي سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بجنة الفردوس ، وبعضهم يرى أنه على اسم التابعي سعيد بن جبير أو سعيد بن المسيب .. فالبناء الأول قديم ؛ ولكنه حدث وجدد مرات على مر الأيام .. وإدريس يرجح أنه

على اسم الصحابي سعيد إذا ثبت أنه أقيم في عهد الصحابة وزمن الفتح الإسلامي الخالد .
لتنفيذ الخطة الجديدة صلى المغرب في المقهى حيث يصلي مالك المقهى ، ولما غادر الزائر تبعه خفية ..مشى الرجل إلى مطعم كبير ..وظل إدريس يتمشى أمام المطعم .. ويرقب مخارج المطعم منتظرا خروج الرجل .. وكان يراقب بحيث يرى مدخليّ المطعم .. وكان السيد يلبس كعادته بذلة أنيقة تميزه سريعا عن الآخرين .

خرج السيد بعد نصف ساعة ، وتلاقت العيون لحظة الخروج ، وأدرك إدريس أن الرجل لمحه فارتبك ، وتظاهر أن وجوده قرب المطعم عفويا .. وأخذ يمسح فمه موهما للرجل أنه كان يتعشى مثله .. ولاحظ أن الرجل يتلف للخلف كلما مشى بضع خطوات إلى الجهة التي يقصدها .. وقد لمحه الرجل عدة مرات .. وأدرك أنه فشل في هذه المحاولة .. ومع ذلك أحب أن يثير غضب السيد ..واستمر بالملاحقة عن بعد ..وأخذ الرجل يحاول الاختفاء والاختباء والتقيا عند تقاطع .. فابتسم له السيد مثيرا لغضب إدريس ؛ وكأن اللعبة أعجبته .. عاد إدريس للبيت ، وقد أدرك أن الأمر يحتاج لجهد وخطة ذكية ..وعرف فيما بعد أن الرجل قضى أكثر من ساعتين يتجول في الشوارع والأسواق متوهما أن إدريس ما زال يتعقبه .. واضطر أن يركب تكسي أجرة خاص .. وينزل في حي قريب من مسكنه .

دخل إدريس المقهى ، وحيا معارفه ، واقترب من الزائر الغامض وقال : عساك عدت البيت باكرا !

لم يرد الزائر بسوى ابتسامة ، وأتبعها بنفخة دخان من سيجارته .. ظن إدريس أن الرجل سيسأله لماذا يتبعه ؟ماذا يريد منه ؟ لقد لزم الصمت لم ير سوى تلك الابتسامة الساخرة والنفخة الدخانية .. غادر إدريس المقهى ممغوصا معلولا قبل انصراف الرجل .. لم يذهب للمسجد ؛ إنما ذهب لمتجر قريب ، وصلى عنده المغرب ، وانتظر مغادرة صاحبه للمقهى ، شاهده يغادر عمارة المقهى ، ورآه يتلفت في جهات مختلفة ؛ كأنه يبحث عنه ..فعلق إدريس : اللعين ما زال مهووسا بأني أراقبه . شاهده يمشي ناحية المطعم مطعم أمس فقال : أتراه

مطعمه المفضل كما مقهى الكوكب ؟! تبعه حتى دخل المطعم ، تمركز إدريس بعيدا عن المطعم ، وركز انتباهه على مدخل واحد هذه المرة حتى لا يُرى والرجل يخرج كما حصل أمس استطاع رؤيته وهو يخرج ، وتبعه بحرص أكثر من السابق ..واتبع الرجل نفس خطوات أمس في محاولة لتضليل من يتبعه . فقال إدريس: كان عليّ أن أغير لباسي وأغطي رأسي بكوفية.

مشى الزائر في الشارع العام ثم اختفى في أحد الشوارع الجانبية .. والعمارات والمباني كثيرة تدخل من مدخل عمارة تخرج من أخرى .. كان يتحرك كأنه يدرك أنه متبوع .. والتقيا دون سابق إنذار .. فابتسم إدريس له بحنق .. فقد كان يخرج من محل لبيع العصافير والطيور اضطر إدريس للابتعاد وإن تظاهر أنه يراقبه .. ثم غادر المكان إلى البيت .. وتابعه الفشل في كل متابعة .. ورغم الخطط والتعديلات وتغيير الملابس بعد مغادرة المقهى لم يعرف المنطقة التي يركب إليها الرجل حتى فكر بالاستعانة بصديق ؛ ولكن ماذا يقول له عندما يسأل عن سبب هذه المطاردة ؟ وماذا يريد منه ؟ واحد لا يحب التعرف عليه ويرفضه ، ولا يحب أن يطلع أحد على أسراره الخاصة ومكان سكنه ، ولما يحشر نفسه في حياته .. لا مبرر لهذه المطاردة إلا الفضول الجنوني .. الموقف محرج ومزعج ومخز بين الناس .. وكان يصاب بالصداع بعد كل فشل .. ويعجب كيف تراقب الشرطة المطلوبين والمجرمين ؟! وكانت نظرات السخرية ظاهرة من إدريس عندما يلتقيان في المقهى .. ويبادله التحدي وعدم اليأس .. وذاك يبادله بسحب الدخان في الفضاء وابتسامة ساخرة .. فيقول لنفسه: أخشى أن تصيبني جلطة من هذا الساخر .. أكيد أنه يقول أنت رجل لا يحسن المراقبة .. لماذا جاء هذا الرجل لهذا المقهى؟! لماذا ؟! ويحس أنها تكاد تخرج عاليا .. سأعطي نفسي إجازة عن مقهى الكوكب .. عليّ أن أريح أعصابي قبل أن أفقدها وأصاب بالجنون .. فرغم كل التكتيكات التي اتبعها خلال هذا الشهر فلم يستطع إدريس معرفة السيارة والخط الذي يخدم مكان سكنه ؛ بل عجب من لبسه للبذلات الأنيقة باستمرار ولا يملك سيارة خاصة .. قرر إدريس بعد فشله هجر المقهى إلى حين يسير .. فغاب أسبوعا واحدا عن المقهى .

غياب الزائر

صبّر إدريس نفسه أسبوعا عن الدوام المعتاد له في مقهى الكوكب الذهبي ؛ ليريح أعصابه بعد فشله الذريع في معرفة مكان سكن الزائر ؛ وكذلك ليزيد فضول الرجل بهذا الغياب .. عاد لمقهاه المفضل منذ عقود انقضت من العمر .. وتفاجأ أن الرجل غير موجود ، تفقد جميع المقهى دون أن يراه .. مضى اليوم الأول والثاني والثالث فاضطر للسؤال عنه ..فأخبره الجرسون أنه متغيب من أيام ، لم يعد يظهر في المقهى ؛ لعله سقيم .. وأخبر آخر أنه جاء مرة ولم يمكث إلا مدة شرب شاي وغادر .. قضى إدريس عشرة أيام يرقب عودته .. فقال : هل غير مقهاه ؟! هل تضايق من إزعاجي غير المبرر فغير المقهى؟! عمل إدريس جولات على المقاهي القريبة من الكوكب الذهبي .. راقب المطعم المفضل له عندما يدخله للعشاء .. لم يظهر أيضا .. هل مات الرجل أم هو مريض ؟! لقد شغل فكري اللعين ..قاتل الله الفضول والشيطان .. جاء صيف ١٩٩٤بحره وغباره دون أن يصدف الرجل الغامض.. وبينما هو يصعد درج المقهى التقى بأحد عمال المقهى فقال : يا أستاذ إدريس الرجل الذي كنت تكثر من السؤال عنه قد عاد ، وأخبرته أنك كنت تسأل عنه .. فهو لا يعرفك .

فرد إدريس : هل هو في الداخل ؟

قال الخادم : هو من عشاق الصمت .. يبدو لي أنه مريض ..هل يتكلم معك ؟!

ـ لا يتحدث معي.. يرفض الحديث معي .

ـ ولماذا تسأل عنه ؟

ـ لفت غيابه فضولي ..فكرت أنه مات أو أصيب بحادث .. شكرا لك .

وتابع صعوده درج المقهى ، ولم يتجه للجهة التي يتخذها الرجل مجلسا ، جلس في مكان يستطيع رؤية الرجل منه ..وتظاهر بأنه لم ينتبه لعودته المفاجئة.. أدرك إدريس أن الرجل يترصده بطرف عينيه .. فأحب أن يستفزه ..وحاول أن يظهر له أنه غير مهتم به وبعودته وفعلا استطاع الانتصار على نفسه.. ولم يقرب تلك الزاوية .. وغادر المقهى كالمعتاد وتنفس

الصعداء وهو يغادر ، ومشى للجامع لصلاة المغرب ، وهو يحادث نفسه : أتراه رآني كما شعرت؟ أتأثر بعدم اهتمامي به وبوجوده ؟ لقد ورطت نفسي معه .. هذه أول مرة أقابل شخصا يحب الاعتزال عن التعارف والثرثرة .. ولما قضى الصلاة دخل المطعم الذي اعتاد عليه الزائر الغامض .. وبينما هو يجلس على مائدة طعام تفاجأ به جالسا على مائدة أخرى ، فاستمر في تجاهله .. وطلب عشاءه ، وتعشى ، ثم غادر .. وظل الرجل بعد مغادرته في المطعم مع أنه أكل قبله.. ثم رآه يتعقبه ، فقال إدريس لسخافة الموقف : ماذا يريد هذا اللعين ؟ إنه يراقبني هل ظن أن دخولي المطعم لمراقبته ومتابعته ؟!

وتظاهر بعدم المبالاة ومشى إلى موقف سيارات الأجرة ـ الخطوط العامة ـ وركب سيارة حي الشاعر ..ولاحظ أن الرجل ما زال يتعقبه . فقال إدريس : هل يفكر بالحديث معي ويستجمع قواه ؟ فهذا لا يحب التعرف على الناس.. لنا شهور نتبادل النظرات والإشارات دون تجاوب من قبله وصل الحي مع ارتفاع نداء الصلاة للعشاء نزل عند المسجد المناسب ، وذهب إلى حجرة الوضوء ، وقضى حاجته ،وتوضأ استعدادا لصلاة العشاء ، ودخل معهم في صلاة الجماعة ، وبينما هو يغادر باب المسجد حياه رجل من معارفه الأعزاء ، وصديق العمر ، وخدم كلاهما في المراقبة الصحية في بلدية المدينة ، ودعاه إلى البيت مسرورا .. وهذا دائم بينهم من أيام طويلة ، وأجلسه في غرفة الاستقبال التي يعرفها الضيف كما يعرف بيته .. ودخل إدريس غرفة نومه ، وخلع الملابس الرسمية ، ولبس الثياب المنزلية .. وعاد يحمل الشاي وقطع البسكويت ووضعها أمام صديقه إياد .. ولما تحدثا عن الذكريات وآخر الأخبار .

قال إدريس: هذه الرقابة على المحلات والمطاعم والدواجن أهون وأسهل من الرقابة على البشر .. الله يعين الذين يعملون في الأجهزة الأمنية .

ـ لم أفهم سبب هذا الكلام يا إدريس ؟

قص عليه فشله في تعقب رجل المقهى الغامض ولما انتهى الكلام .

قال إياد مستفهما : وماذا تريد منه لتشغل نفسك فيه ما دام الرجل يرفض التعارف والكلام

عن نفسه ؟!

ـ الفضول يا رجل ؛ كأن الفضول أصبح مهنتي بعد التقاعد .. الناس تحب الحديث عن النفس عن البطولات .. يجب أن أعرف حيه وبيته لأسال عنه بقالة مجاورة لبيته بعض جيرانه أسأل عن صمته القاتل .. سبب لبسه الثياب الأنيقة .. الفضول السبب

ـ أتحب أن أساعدك في هذه المهمة ؟

ـ كيف ؟

ـ هو يعرف أنك مهتم به .. فأما أنا فهو لا يعرفني .. فإما أن تعرفني عليه في المقهى وإما الشارع ..ودع الباقي عليّ .

تنهد إدريس بعمق وسعادة وقال : إنك تقدم خدمة لا تقدر بثمن يا إياد!

وضع إدريس وإياد الخطة المناسبة لمعرفة حي رجل المقهى الغامض ، ظل تحدي العيون متبادلا بينه وبين الرجل في مقهى الكوكب كلما تقابلا بالأبدان ، وكان إدريس قد غير مكان جلوسه داخل المقهى ليربك الرجل ، وجاء إياد المقهى المعروف له من عهد قديم ـ وهو ليس من عشاق المقاهي ـ واستطاع التعرف على شكل الرجل دون الجلوس مع إدريس ، وتكررت الزيارة حتى عرفه بصورة جيدة تمكنه من تعقبه ، ثم أخذ يترقبه عند مطعمه المعروف ، ويتبعه خطوة خطوة ، فلما خرج كان خلفه في الشارع ، وأدرك أياد أن الرجل يتصرف تصرف الذي يحس أنه مراقب متبوع ، فيعمل على تضليل مراقبه ؛ وكأنه يشعر أنه إدريس يراقبه خفية. فقال : رجل موسوس .. لماذا هو خائف من إدريس؟! فعلا أنه مريض .. وكان يقول لإدريس بواسطة الهاتف بعد صلاة العشاء: الرجل يتجول في شوارع وأسواق المدينة ؛ كأنه ما زال متبوعا حتى ظننت أنه يعرفني، ويعرف أنني أتعقبه .. لعبة جميلة المطاردة لهذا العجوز لا أدري هل هو يتسلى أم هو شديد السقم ؟!

استطاع إياد بعد أيام يسيرة من معرفة حي الرجل، وبيت الرجل ، وكان يزور إدريس ليقدم له النتيجة ..وبعدما تناولا عشاءهما في أحد مطاعم حي الشاعر زلفا لبيت إدريس ويقول

لإدريس : إنه من سكان حي بهية .. واسمه سيف الدين حاكم وردة .. ووالده كان قبل موته من كبار تجار المدينة وحتى البلد كلها .. تاجر مرموق ..وقد مات قبل عشرات سنوات والرجل عمل مهندسا في أحد المصانع الكبرى .. وهو اليوم متقاعد منه ..ولا يمارس عملا .

ـ هو من أهل ذلك الحي !

ـ نعم ، من أهالي حي بهية .. وهو ـ كما تعلم ـ كان من الأحياء الراقية قبل ثلاثين سنة ..كان حي علية القوم من رجال البلد حي التجار الكبار والوزراء .

ـ إني أعرفه حق المعرفة يا أبا أحمد .. وما الذي حذفه على هذا المقهى؟! فمقاهي بهية مقاهي فخمة .

ـ هذه المقاهي صارت فيه من عهد قريب .. ظهرت بعد ظهور أحياء حديثة للأغنياء الجدد ؛ ولكنها ما زالت تحافظ على طابعها القديم ، وقد دخلت عليه الطبقة المتوسطة .. لم تعد مهوى الأثرياء الكبار كما كانت في الستينات ومنتصف السبعينات .. اليوم هناك حي البدر والزهرة

قال إدريس :حي بهية ما زال مسكن الطبقة الغنية القديمة .. تتوارث العائلات تلك القصور الفلل .. ففيه يقطن أكثر من وزير ورئيس وزراء قديم .

ـ صحيح هذا يا إدريس ! المهم أنا حققت ما أرهقت نفسك فيه من عدة شهور ما الخطوة التالية ؟

تبسم للغمز وقال : الخطوة التالية ..وقبل الخطوة التالية اشرب الشاي ..

وحدثني كيف عرفت اسمه وبيته ومهنته ؟!

ـ الأمر سهل .. استطعت الركوب معه في سيارة التاكسي الأجرة كراكب .. لم يستأجر سيارة خاصة ؛ بل هو يملك سيارة خاصة رأيتها في موقف السيارة ببيته

ـ هو معقد .. تابع .

ـ ركبنا السيارة سوية ـ وكان قبل تحرك للسيارة يتلفت يمنة ويسرة ـ

ولما نزل الحي لم أنزل مباشرة ، وبعد مائة متر نزلت .. ووقفت أتابع الرجل ، لمحته ينزل

ويدخل متجرا بقالة في الشارع العام للحي .. ثم رأيته يترك المتجر ..ومشى نحو شوارع الحي الشبه خالية من المشاة لأن الوقت ليلا يا إدريس.. ولم يكن بيته يبعد كثيرا عن الشارع العام للحي .. دخل شارع فرعي وأنا أراقبه .. ثم دخل بيتا أو قل قصرا من طابقين .. بعد حين دخلت الشارع واقتربت من البيت ، ووجدت لوحة على جدار البيت" المهندس سيف الدين حاكم وردة" وعدت للشارع العام .. وتحدثت مع صاحب البقالة وسألته عن بيت المهندس سيف وردة فقال : قبل دقائق كان هنا .. وبقليل من الحديث والاستدراج علمت أنه عمل في مصنع دواء .. وأنه ابن رجل غني معروف ..وأرجو أن لا يحدث الرجل أن أحدهم سأل عنه وغدا سأدلك على البيت أم هل عرفته ؟

ـ أنا أعرف حي بهية بصورة جيدة .. صف لي معلما مهما .. وما دام قد كتب اسمه على لوحة سأجده بسهولة .

ـ نعم ، بيته قريب من الشارع العام الممتد بين المدينة والحي .. فهو في وسط الحي تقريبا هناك نادي اسمه نادي الكلب ؛ كأنه نادي كلاب أو اسم عيلة .. هو عند النزول من سيارة الأجرة طلب الوقوف عند النادي الذي مدخله على الشارع ؛ وكأنه مشى خطوات ودخل بقالة على الجهة المقابلة للنادي .. وأدركته وهو يترك البقالة ..ومشى نحو شارع فرعي وفي منتصفه داخل شارع فرعي آخر وفي منتصفه بيته .. الشارع الفرعي الأول لا والثاني لا وهو في الفرعي الثالث .. المنزل الأول لا .. أعتقد الخامس هو منزله وكما قلت لك للبيت لوحة مكتوب عليها اسم الرجل .. وكل البيوت السابقة تحمل اسم العائلة .. وأنا مستعد للذهاب معك .

بعد تفكير قليل أجاب : لا ، ربما أحتاجك لمتابعة أخرى يا إياد .

ـ هل ترى أن له قصة مسلية ؟! هناك المصنع يا صديقي .. قد تجد الكثير من المعلومات عنه

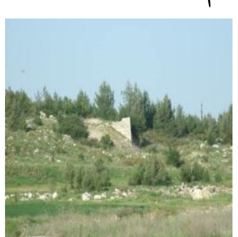
ـ أنا أحب أن أسمع منه شخصيا قبل سماعي من الآخرين.

ـ لا أدري سبب كل الاهتمام به !

ـ الفضول القاتل .. أثار شهيتي هذا اللعين ..كيف رفض التعرف على شخصه وذاته ؟! أريد

أن أبين له أنني أستطيع أن أعرفه وأعرف كل شيء عنه دون إرادته .

لم يتغلب إدريس كثيرا في الوصول لباب المنزل ، ضغط على الجرس ، فخرجت له امرأة خادمة كما ظهر من شكلها المعروف في البلد بالعمل في هذه المهنة .. فسألها عن المهندس سيف .. وبعد زمن يسير كان المهندس يفتح الباب ؛ ليقف مصدوما أو مذهولا ..ولما رَآه فتح فمه ، ولم يتكلم ، وأغلق الباب في وجهه . ابتسم إدريس ، وأدار رأسه ، وغادر الشارع .



لم يرحب سيف بإدريس ، وأغلق الباب في وجهه دون أن ينطق بكلمة ، لم يستطع إدريس من جمع معلومات عن الرجل تزيد عما زوده به إياد ، لم يتمكن من معرفة اسم المصنع الذي عمل فيه سيف ردحا من السنين .. ما الذي كان يمارسه في المصنع ؟ لم يزوده أحد بذلك ؛ لأن الرجل لا يختلط بالناس وحتى بأهله الذين حوله ؛ ولكنه علم أن الرجل لا يغادر البيت أول النهار إلا قليلا .. يفارقه بعد الثانية ظهرا ..حتى المحلات التجارية في الشارع الرئيسي لا تعرف عنه الكثير مجرد زبون يطلب الغرض وينصرف .. وإذا سئل أحد أقاربه عنه رد باختصار معقد مريض نفسيا .. يوصف بالانعزالي والانطوائي .. لا يتواصل مع الناس .. حياته البيت ..لا يعرف النادي القريب من مسكنه نادي الكلب .. رغم أن النادي رياضي ثقافي اجتماعي فهم لا يعرفونه .. ولا يذكرون أنه دخل النادي يوما .. وحتى النادي الآخر في آخر الحي لا يعرفه فيه أحد .. وكل محلات البقالة على الشارع الرئيس علاقته بها علاقة ضعيفة .. يعلمون أنه من سكان الحي وحسب.. وأنه شقيق الدكتور أمير وبعض النسوة .. يعيش بدون زوجة ، وهذا يعني أنه دون أولاد .. فوجد بينهما بعض التشابه التقاعد عن العمل.. الحياة بدون زوجة وأولاد .. لكن عنده خادمة آسيوية .. ولديه سيارة حديثة .. ويبدو أنه لا يحب استعمالها ويركب سيارات الأجرة .. لماذا ؟ الله أعلم!

قضى إدريس أسبوعا يلملم المعلومات عنه دون فائدة مهمة ..فالرجل غامض حتى في بيته وحيه .. فهو إذن مريض نفسيا لا يقرب منه أحد من الجيران ؛ كأنه نكرة ..ولكنه كان يشتغل سنوات وسنوات .. عليّ أن أتوقف.. لقد شغلت نفسي فيه كثيرا .. لماذا فعلت ذلك أيها المجنون ؟!

لاحظ أن الرجل لم يكترث لمعرفة منزله ، وأنه كان يلهو ويسخر منه رغم أنه سعى لمنعه من الوصول لبيته وحيه .. المقهى لماذا جاء لهذا المقهى؟! البلد مليئة بمثل هذا المقهى وأرقى وأفضل .. هناك سر .. هناك سر يا سيد إدريس ، أنت فضولك كبير .. إنه يتخابث ويتلاعب بي .. فهو يسخر مني .. حسنا يا مهندس سيف ! هل هؤلاء الذين حوله أقاربه ؟ إني كنت أسمع باسم السيد حاكم ..كان من كبار التجار في سوق الطعام والأغذية خاصة الأرز والدقيق والسكر الأبيض .. لما لا أسأل عن ذلك التاجر الكبير أصدقاء السوق ومنافسيه .. فهو من كبارهم وسادتهم .. من أعرف من سادة السوق الكبير للمواد الغذائية ؟ واليوم أغلب تجار السوق أبناء وأحفاد هؤلاء .. عليّ عمل جولة في ذاك المكان لعلي أتذكر كبيرا منهم .. أنا لي عشر سنوات متقاعد عن العمل والرقابة الصحية .. دخل السوق الكبير المعروف بسوق الأرز والسكر ..وكان ذلك بعد صلاة الظهر في جامع سيدي سعيد .. تمشى في طول السوق ذهابا وإيابا ..وأعاد بعض الذكريات في هذا السوق الكبير .. وفي طرف السوق تذكر متجر الحاج إسماعيل أبو علي .. دخل المتجر وبعد السلام سأل عن الحاج إسماعيل .. فأخبره أحد العمال أنه لم يعد يباشر العمل في المحل .. فهو قعيد البيت .. وأشاروا لابنه شامل الذي يدير العمل .. سلم على السيد شامل وقال بعد التعريف بنفسه: كنت أرغب بلقاء الوالد الحاج إسماعيل فأنا أعرفه قبل سنوات .

ـ ونحن نعرفك يا معلم إدريس.. الوالد عاجز عن العمل ..كما تقاعدت أنت هو تقاعد من سنوات قليلة .. كنت مراقبا صحيا تعمل في البلدية في هذه الشوارع .

غمر إدريس الفرح لتذكر شامل له .. وإن لم يذكره هو بشكل جيد .. لكن يذكر أنه رآه ، فتلك الأيام كان يعمل مع الحاج عدد كثير من الأولاد والعمال .. وبعد حديث ذكريات وشرب كوب من الشاي . قال إدريس : كنت أريد الحديث مع الوالد عن التاجر الكبير حاكم وردة .. ألم يكن له متجرا في هذا السوق؟

ضحك شامل وقال : آ .. ومن لا يعرف سيد السوق حاكم وردة يا أستاذ إدريس .. ماذا تريد منه ؟

ـ هو كما تعلم قد مات .

ـ زمان مات ربما له عشر سنوات ؛ وربما أكثر ..كان صديقا عزيزا على الوالد وكان عضو الغرفة التجارية وترأس جمعية المواد الغذائية ومستوردي الرز على المستوى العالمي ..وكما تعلم هو نقيب تجار الأرز فترة من الفترات .. هل تريد مصاهرة أبنائه ؟

تضاحك إدريس وقال : تقريبا .. ليس أنا طبعا ..كان له محل هنا ؟

ـ كان له محلات هنا ليس واحدا فقط.. لكن لما مات استلم مكانه ابن ابنته إحدى بناته .. وفشل في متابعة الخط ، واختفى اسم حاكم من السوق رويدا رويدا .. والحي أبقى من الميت وأصبح كما نقول في خبر كان .. ولا أعتقد أن أبي يعرف ذريته بشكل جيد .. السيد حاكم يا أخ إدريس لم ينجب الكثير من الذكور ، ذريته بنات ؛ بل مات أحد أبنائه في حياته .. له ابن طبيب حي والآخر مهندس .. والأول كان طبيبا ومات قبله .. وللسيد أربع أو خمس بنات .

ـ نعم ، نعم ، وهو من سكان حي بهية وما زالت ذريته تقطن ذلك الحي خاصة ابنه الطبيب والمهندس .. وكان لهذا الحي كما تعلم أيام عز وشهرة

ـ هذا صحيح ..كان حي بهية مهوى علية القوم في الستينيات ومطلع السبعينيات .. كان حي العز والفخامة يا معلم إدريس .. كان لي أخ يعيش فيه ثم هجره إلى حي أفخم وأحدث منه .. إذا كان الموضوع موضوع زواج فلن تجد عندنا المعلومات الكافية .

قال إدريس : كنت تريد الحديث عن ابن السيد حاكم المهندس سيف الدين !

ـ المهندس سيف الدين .. فعلا هذا اسم أحد أبناء السيد الثلاثة .. إنه شاب معقد .. هل هو متزوج؟! نحن لم نعرفهم جيدا .. حسب معلوماتي لم يتزوج هذا الإنسان كانت واحدة تصادقه أيام الجامعة.. له قصة كبيرة في موضوع الزواج ؛ كأنه تزوج ابنة أحد الأكابر .. بنت وزير ؛ ولكنها طلقت بعد أسابيع ، لم تكمل الشهر على ذمته ..لا أذكر القصة بالضبط ..هل يريد الزواج من إحدى قريباتك؟

بعد تردد للحظات أجاب : تقريبا ؛ ولكنه معقد كما قلت.. ويحب لبس البذلات الرائعة والأنيقة .

ـ أنا أعرف شكله .. الأفضل أن لا تتزوج قريبتك منه .. إنه مريض .. وهل سيتزوج بعد كل هذه السنين من العزوبية ؟!

ـ هو لا يتكلم كثيرا .. حياته الصمت .. وتعرف على السيدة القريبة في المصنع لا أدري أي مصنع؟!

ـ نعم ، أذكر أنه كان مديرا لأحد مصانع خاله .. خاله شخصية كبيرة في البلد يا إدريس .

اعتبر إدريس زيارته لسوق التجار في مركز المدينة نجاحا ، واستفاد من شامل معلومات إضافية عن زائر المقهى الغريب والمثير والغامض .. وكان مستغربا من غموض المهندس والمتعلم والمتخرج من كلية الهندسة وكان يسأل نفسه وهو يرتب المعلومات في ذهنه وينقلها لإياد : هل حقا تزوج هذا الرجل من ابنة وزير ؟! أي وزير زوج ابنته له ؟! هذا كان منذ ثلاثين سنة على الأكثر .. تزوج لشهر واحد ابنة وزير .. تتزوج لشهر واحد أمر غريب ومثير ! أي وزير هذا ؟! وخاله شخصية كبيرة .. من هو خاله ؟ ! من هو حضرة الوزير ؟ ومن هو حضرة الخال؟ لم تزد هذه المعلومات كثيرا عما قدمه زميله القديم في دائرة المراقبة الصحية التابعة لدار البلدية للمدينة..

ـ القضية كبرت يا إدريس .. فعلا أذكر هذا السيد حاكم وردة .. الأحداث ذكرتني به .. والمهندس كان يدير مصنعا كبيرا من مصانع الخال .. ما اسم الخال واسم المصنع ؟

ـ لم أعرف يا سيدي من السيد شامل .. لا يعرف الرجل معرفة عميقة .. وهو اعتقد أنني أسأله عنه لأنه يرغب بالزواج من قريبتي ..لا أدري كيف ذهب الحديث إلى ذلك؟! وحسب معلومات شامل كانت فترة زواجه من ابنة الوزير قصيرة ..في أقل من شهر حصل الانفصال بل ظن أنه لم يتزوج في بادئ الأمر ، ثم حسم الأمر بأن الزواج حصل ثم طلق .. قصة قديمة ولم يسمع أنه تزوج ثانية يا إياد .. الحي لا أحد يعرفه حق المعرفة .. فأصحاب هذه المحلات من الجيل الجديد ..ولا أعتقد أن أحدا يفيدنا عنه .. فهو ضئيل الاختلاط مع الناس .. القضية أن الفضول ورطني معه ..قاتل الله الفضول! .. سوف أسعى للقاء به ؛ لعله يلين ويفتح قلبه لقد أغلق الباب بوجهي؛ كأنني شيطان يطرق بابه .. أغلقه فورا دون أي كلمة ولو تحية سوى ابتسامة غاضبة ساخطة.

ـ هل لي دور آخر في هذه المعركة الفضولية المسلية؟ فعلا إنها مغامرة مسلية لمثلنا يا سيد إدريس؛ لكن النتيجة ستكون مخيبة للآمال حتى لو كان صهرا لرئيس الجمهورية أو سلطان المسلمين.

ـ معك حق !كانت غلطة ؛ ربما الفراغ كما ترى هو الذي جعلني أهتم بالرجل أكثر من اللازم كان عليّ أن أنسى الموضوع ..وأبقى على عاداتي ويومياتي .

ـ أيجلس في المقهى ؟

ـ نعم ؛ ولكنني غيرت موقع جلوسي .. وأحس أن نظراته تطاردني .. ومع ذلك لم يلن ويسمح بالحديث معه ..لا يوجد في بيته إلا الخادمة الآسيوية ..حتى أبناء الجيران وهم أقاربه .. لم أصدف أحدا يدخل قصره أو يخرج منه .. إنه يعيش في عزلة غريبة ..أتعرف قصة إنشاء هذا الحي ؟

ـ لم افهم ؟!

ـ أي كيف نشأ هذا الحي الراقي من حي العرب الكبير ؟

ـ هل له قصة؟

قال : كل حي يا إياد له قصة ، قد تطول أو تقصر ..حي بهية سمي بهذا الاسم على اسم سيدة غنية كانت أول من سكن فيه .. فهو قطعة من حي العرب المحيط به من عدة جهات .. وهذا الحي كما تعلم شمال المدينة الكبيرة .. وهو عبارة عن مجموعة من التلال .. وهو حي قديم تاريخي منظم قديما وحديثا ..كان يقطن الحي ثري من أصول غير عربية .. فلما تزوجت ابنته الوحيدة بهية أنشأ لها قصرا فخما على إحدى التلال الخالية من حي العرب .. وكانت امرأة ثرية ، وزوجها لا يقل عنها ثروة وجاه ؛ ولكن غلب اسم السيدة على القصر فيقال قصر السيدة بهية ..وجارى الأثرياء السيدة بهية وبنوا حوله قصورهم والفلل .. ومع وقت قصير انفصل هذا الجزء عن الحي الكبير وصار يقال له حي بهية ..حي الطبقة الثرية والغنية في المدينة وامتد إلى مساحات أخرى وكبر .. وأصبح حي الأغنياء والسادة في مطلع الستينيات والسبعينيات حتى ظهرت أحياء أخرى تنافسه للأغنياء فضعف صيته وشهرته .

ـ كيف وصلت إليك هذه المعلومات ؟ وتابع ضاحكا .. لعل سيفا حدثك بها !

ضحك إدريس على تهكمه ورد قائلا : أتسخر مني يا إياد ؟! أنت تعلم أنني أقضي ساعات وساعات خلال الأسبوع في المكتبة العامة في مركز المدينة .. وأعرف مدير المكتبة شخصيا ونتناقش في أوقات فراغه .. ونتبادل الأخبار والحكايات والتعليق على الكتب والصحف والمجلات .. وهو رجل عاصر تطور المدينة .. وهو يحمل ليسانس تاريخ وجغرافيا .. وله مؤلف حول نشأة الأحياء والمدن الحديثة وتوسع الأحياء أو تقلصها واختفاء بعضها أو تغير أسمائها القديمة ..إنه الإستاذ عبس الحوا

ـ أعرفه ، لقد عرفتني عليه .. أكان صاحبنا سيف في المقهى هذا المساء ؟

ـ ذكرتني يا إياد .. لم أره اليوم ..ودخل المغرب وهو لم يظهر .. أفكر أن أزور القصر نهار الغد ومحاولة فرض نفسي عليه .. الآن لا أجد لك مهمة إلا إذا كان عندك أفكار معينة .

قال وهو يقف : لا أفكار عندي وأستودعكم الله .. الشكر على اللقاء والعشاء والشاي والمرطبات .

ـ لا شكر على واجب كما يقال .. إذا حدث شيء قد أتحدث معك .

ركب السيارة إلى حي بهية .. وكان الوقت قبل الظهر بقليل .. طرق الباب ، فتحت الخادمة فقال : السيد المهندس هنا .

ـ لا ، من أنت؟!

ـ صديقه .. أين أجده ؟

ـ أذكر أنك طرقت الباب منذ أيام.

ـ نعم ، كان بيننا موعد فاعتذر عنه .

ـ السيد نقل ليلة أمس إلى المستشفى .



شقيق سيف

بعدما استوعب إدريس الأمر نزل المدينة لصلاة الظهر جماعة ، وبعد تناوله الغداء ركب سيارة إلى المستشفى الذي يرقد فيه المهندس سيف ، وعلم من مكتب الاستعلامات الجناح الذي يرقد فيه المهندس ورقم الحجرة ، وركب المصعد إلى ذلك الطابق ، وتمشى لدقائق في دهاليز الطابق ثم طرق باب الحجرة ودخل .. فلما رآه المهندس حملق في وجهه للحظات ، ثم نظر إلى شقيقه الذي كان معه في الغرفة .. وارتفع صوت إدريس قائلا : الحمد لله على السلامة يا مهندس سيف .

لم يرد المهندس على الزائر ؛ بل أخذ يتبادل النظر بينه وبين شقيقه الطبيب أمير .. ولاحظ أمير امتعاض شقيقه من هذا الزائر .. وهو قد تفاجأ بوجود هذا الصديق لأخيه ، وظنه من معارفه أيام إدارته للمصنع ، فقد قدره من جيله .. فقام بالترحيب بالزائر والتعريف بنفسه ، وفعل إدريس مثله وقال: أظن أنني التقيت بك أكثر من مرة !

هتف أمير استغرابا : أنا كيف ؟! قال: أنت الطبيب أمير وردة كما عرفت بنفسك .. لقد التقيت بك في عيادة الأسنان في مستشفى الراحة .

ـ أجل ، فعلا عملت في عيادة ذلك المشفى عشر سنوات ؛ وذلك عندما تخرجت من الكلية الطبية .. أكنت مريضا أم موظفا ؟! أنا لا أذكرك .

تبسم وقال : كنت رفيق أحد المرضى .. ومشكلتي أن الوجه الذي أراه ولو مرة واحدة لا أنساه ما زلت أملك ذاكرة قوية والتفت لسيف وقال : كيف صحتك اليوم يا مهندس سيف ؟

قال سيف بغضب ظاهر : أرفض زيارتك يا سيد إدريس .

عجب أمير من رد شقيقه الحاد ، وقبل أن يتكلم بشيء سمع أخاه يقول: أنا لا أعرفه.

توقف أمير عن الكلام الذي كان يريده .

فقال إدريس: لي شهور أراك في المقهى الذهبي يا مهندس سيف .. أليست هذه معرفة ؟ ولست أدري لماذا يا طبيب أمير رغم جلوسنا الطويل في المقهى لا يتكلم شقيقك كثيرا ؟ أنا

افتقدته .. فعلمت أنه في المستشفى ..فقررت أن أزوره ..فهل نذر الصوم عن الكلام ؟

فصاح سيف سخطا : أرجوك أخرج.

أخذه أمير خارج الغرفة ، ووقفا في الممر وقال : ما القصة فشقيقي غاضب ؟

عرف إدريس بنفسه أكثر وبمهنته قبل التقاعد ، وجلسته في المقهى وقال : تعارفنا في المقهى ؛ لكنه لا يتكلم .. يعشق السكوت ..فظننت أنه بحاجة لصديق بعد مرور الأيام .. وهو كثير السرحان .. وهو يرفض الصداقة فاعتقدت أن هذه الزيارة قد تفتح الباب المغلق .. هذه هي القضية.. لنا عدة شهور نرى بعضنا في المقهى .

تنهد أمير وقال : أهلا بك يا أخ إدريس .. أخي بصراحة معقد وحياته صعبة ..لا يحب تكوين الصداقات .. وعجيب أمر هذا المقهى الذي تتحدث عنه ..هذه أول مرة أسمع أن أخي يرتاد المقاهي ..حياته البيت والكتب حتى الزواج يرفضه .

ـ أعرف أنه تزوج قديما وطلق ، وانقطع عن النساء . قال: صحيح .. من قال لك ذلك؟!

ـ أحد الناس الذين عملوا معه في مصنع الدواء.

ـ كان مديرا لمصنع الدواء مع ابن خالي .

ـ لما تعرفت عليه من خلال المقهى ، حاولت التقرب منه أكثر من اللازم يا أخ أمير ؛ لكنه صدني رغم إصراره على الجلوس قريبا مني .. فلما أخبرت بمرضه وجدتها فرصة للتعرف عليه والتقرب منه والصداقة معه .. يبدو كما قلت إن حياته الخاصة معقدة .. أنا آسف يا دكتور أمير ؛ ولكني لن ايأس منه .. قد يقبلني صديقا في آخر الأمر ما دام مستمرا في التردد على مقهانا .

ـ هو ما زال يتردد على المقهى .

ـ قبل مرضه هذا ما زال ..كان معنا في المقهى ؛ لكنه الرجل الصامت .. ولا يتفاعل معنا إلا بعيونه .. لماذا هو هكذا ؟!

ـ لا أدري من عقود وهو كذلك ، ولقد رغب أبي بتزويجه أكثر من مرة ، وهو يصر على

الرفض .. شكرا لك يا سيد إدريس .. وأتمنى أن تنجح أن تكون صديقا لأخي .. وحتى وهو يدير المصنع لم تكن له صداقات مع أفراد وكادر المصنع .. علاقة عمل فحسب .. قضى عشرين عاما فيه .. هو صديق البيت فقط ..لا يزور أحدا إلا في النادر جدا .. وتقل إليه الزيارة بسبب ذلك .. أنا تفاجأت حقيقة بحكاية ارتياده المقهى من عدة شهور ومعرفتك له .. لم أعهد أخي يرتاد المقاهي والنوادي .

ـ له أشهر يفعل ذلك .. ومقهانا هو مقهى الكوكب الذهبي في مركز المدينة .. نتحدث بالعيون وحركات الوجه .. أترى أن كل هذا بسبب طلاقه لتلك المرأة ؟!

ـ لا أدري فهو رفض العلاج النفسي .. فزيارة المقهى تثير الاستغراب عندي .. لا يتكلم بشيء أمامك في المقهى .

ـ رد التحية ، وفي الغالب بالإشارة .. يجلس قريبا من مقعدي ، يطلب الشاي أو القهوة ويشتغل بالتدخين والنظر إلى الناس دون كلام .. وهو عادة يدخل المقهى عصرا ويغادره مغربا ؛ وذلك من أكثر من ثلاثة أشهر .. وحاولت بحكم المجاورة فتح خط اتصال معه ؛ لكن دون فائدة ..كل هذا بسبب أنثى!

ـ هكذا نحن نفسر ذلك .. أما السبب الحقيقي لا يعلمه إلا هو .. وكان ناجحا في عمله في المصنع .. وقبل سنوات طلب الإعفاء دون سبب واضح .. واعتكف في البيت.

ـ رفض جلسات العلاج نفسي .

ـ رفض بشدة .. وحكاية المقهى عجيبة .. واختيار هذا المقهى ربما تكون أعجب .. أنا لا أفهم مغزاها وسببها !

ـ هو هبط علينا فجأة .. وحده دون صديق .. وتعارفنا عندما اتخذ زاويتي مكانا لجلوسه .. وكلانا لا يلعب الورق .. وكلانا يتفرج على الناس .. وأنا أثرثر مع الرواد .. حاولت التقرب إليه كما أتقرب للآخرين .. فالمقاهي مكان للحديث والأخبار والعمل والتقاء المعارف والأصدقاء .

مقهى جديد

تابع إدريس من خلال استعلامات المشفى خروج المهندس سيف الدين ، وقد فشل في لقائه في غرف المستشفى ، ولم يحصل على معلومات مهمة عنه من أخيه أمير ؛ بل وجده لا يعلم الكثير عن أخيه سوى أنه معقد ، ودمر حياته الخاصة بسبب امرأة عاش معها زمنا يسيرا.

أقام سيف في المستشفى ثلاثة أيام ولم تجر له أي عمليه طبية ؛ ولم يظهر في مقهى الكوكب منذ دخوله المشفى ، ومضت ثلاثة أسابيع على خروجه دون العودة للمقهى .. فسأل إدريس نفسه أكثر من مرة: أتراه هجر المقهى ؟! .. ولكن التخلص من العادات من الأشياء الصعبة على النفوس .

كان إدريس غاضبا من نفسه في فشله في معرفة أسرار وعقدة سيف ، سعى إلى مصنع الدواء قابل عددا من رفاق العمل ، ولم يخرج بفائدة تذكر.. كان يأتي للدوام ويدخل مكتبه ويقوم بالأعمال الروتينية .. ليس له نشاطات مميزة أو اجتماعية .. كان يتابع الآلات والماكينات بنفسه ومع المهندسين والفنيين .. وشعاره الصمت أو الكلام بحدود العمل والشغل

فقال إدريس حازما الأمر : لن أعرف أسرار هذا المخلوق إلا من فيهه .. متى سيتكلم ؟ هو يعرف لماذا أطارده وأتعقبه؟ أمعقول أن امرأة واحدة تفعل به كل هذا الفعل ؟! من هي تلك المرأة ؟ هل تقبل بمقابلتي ؟ بأي صفة سأقابلها ؟ هل تزوجت بعد أن طلقت أم تعقدت مثله ؟ لابد أنها تزوجت .. وهي ابنة وزير .. ما اسم هذا الوزير ؟ هل اتصل بالدكتور أمير ؟ لقد أعطاني رقم هاتفه وأخذ رقم هاتفي .

ولما مضى الأسبوع الثالث ، ولم يظهر سيف في المقهى الذهبي خطر لإدريس أن يرقبه في مطعمه المفضل .. وفعلا رآه هناك يتناول العشاء وتبادلا الابتسام .. وتظاهر إدريس أنه دخل صدفة ولتناول العشاء .

وكرر إدريس العشاء في المطعم ثلاث ليال ، وأدرك أن الرجل غير مقهاه ، وأنه قريب من مركز المدينة حيث يتناولان الطعام .. وخلال أيام رصد المقهى الجديد لسيف .. وتلاقت

العيون وابتسامات السخرية من كليهما .. وأخذ إدريس بإغاظة الرجل فصار يرتاد المقهى الجديد قبل الغروب ، ويجلس قبالة الرجل حتى يشرب الطلب ، ثم ينصرف ، وظل هذا الوضع لعدة أيام ، ولم يتنازل الرجل للحديث مع إدريس الذي ازداد غلا وغيظا .

وذات مساء في مقهى الكوكب انقلب الوضع لما انتهى من الشرب نهض للانصراف وقال للرجل : أنا أكتب للصحافة إذا كان عندك قصة فأنا مستعد لسماعها . وترك ورقة عليها رقم هاتف البيت .

تفاجأ إدريس بقول الرجل ورده : أنت صحفي !

ـ أكتب للصحافة لي مقالات .

ـ آ ..جميل ! دعني أفكر .. شكرا .. هذا رقم هاتفك .

ـ أنا مثلك أعزب ترملت منذ عشرين سنة .

ـ أوه !! دعني أفكر .

وقف الرجل قائما للمغادرة وتابع إدريس مغادرته فلما أصبحا في الشارع قال: لن أتبعك اطمئن إنه الفضول يا مهندس سيف .

ـ دعني أفكر

ـ سؤال واحد فقط

لم يرد سيف ، فقال إدريس: لماذا جئت مقهى الكوكب فجأة ؟!

ابتسم سيف وقال: سؤال عجيب .. ستعرف سأفتح لك هذا ـ وأشار إلى قلبه ـ دعني أفكر

ـ متى نلتقي ؟

ـ دعني أفكر

ـ دعني أفكر .. سأدعك تفكر .. اعتبرني الصديق الوحيد لك .

ـ الصديق الوحيد .. كم عمرك ؟

ـ مثل عمرك تقريبا .. نسيت أن أقول لك الحمد لله على السلامة .

ـ كانت زيارة غريبة وصادمة .

ـ الفضول سقمي .

ـ الفضول صديقك .. في أي جريدة تكتب ؟

ـ جريدة أسبوعية باسم مستعار من عشرات السنين إنها جريدة الصحفي خلدون محمد .. جريدة الشرق المضيء.

ـ الشرق المضيء أعرفها ، قرأت بعض أعدادها .. الاسم المستعار .

ـ الفتى نصار .

ـ كأني أذكر هذا الاسم .

قال إدريس بخبث وتملق : هذا اليوم من أيام السعادة عندي يا مهندس سيف .. لقد توهمت عندما رأيتك أول مرة أنك قادم للقاء بي ، ثم رأيت التردد والحيرة على وجهك !

ـ لا ، إنما هي صدفة .. أنا فعلا جئت لهذا المقهى بالذات لأمر ما .. قابلت فيه شخصا قبل ثلاثين سنة ، جئت طامعا بلقياه ورؤيته .. وستعرف هذه التفاصيل فيما بعد بعد التفكير

ـ قابلت شخصا فيه قبل ثلاثين سنة ، وجئت حالما بمقابلته !

ـ كان ذلك في عام ٦٥.

ـ يا إلهي قبل ثلاثين سنة قابلته ! ولم تره بعدها.

ـ لم أفكر فيه لم أفكر باللقاء به ثانية .. فهذا سبب مجيئي لهذا المقهى .

ـ هل كان هذا المقهى نفسه قبل ثلاثين سنة ؟!

ـ نعم ، وفي نفس الطابق الثالث .. لقد جدد البناء كما بدا لي .

ـ اعتقد أنه جدد يا مهندس سيف .

ـ هل عرفت عني الكثير ؟

ـ لا شيء عنك لا أعرفه .. عرفت أنك مهندس ، وكنت مساعدا لمدير مصنع دواء يملكه خالك ، وكنت لفترة شريكا ، وعرفت شقيقك أميرا في المستشفى .. وقد قابلته قديما بعدما

رأيته ؛ وذلك أيام عملي الوظيفي .

ـ المهم دعني أفكر إلى اللقاء .

ـ متى؟

ـ لا اعرف ؛ ولكني سأضع قصتي بين يديك .. وهي قصة قصيرة ؛ ولكنها مأساة .. أنا لا أدري لماذا أستسلم لك؟! .. فلك شهور تزعجني وتصر على التعرف عليّ .. إلى اللقاء يا سيد إدريس .

قضى إدريس أسبوعا بعد هذا اللقاء المفاجئ ينتظر مكالمة من سيف .. تنقل خلاله بين المقاهي والمطعم ، ولم يظهر الفارس ذلك الأسبوع ، ثم جاء الهاتف المنتظر ليلا .. وقد توسوس إدريس كثيرا ، وخطر في قلبه الكثير من الأفكار الرديئة .. ولما كان المتصل سيف تبدد الكثير من الظن والخطرات .. وبعد التحية والسلام قال : مساء الغد نلتقي كما اعتدنا في مقهى الكوكب الذهبي .

ـ لك أسبوع لم تظهر في المقهى .

ـ لي أسبوع أفكر يا أستاذ إدريس .. تحدثت مع الصحفي محرر جريدة الشرق المضيء .. وتأكدت أنك تقدم لهم بعض التحقيقات باسم الفتى نصار.

ـ حتى ولو لم أكن أكتب لهم فأنا بشوق وهوس لسماع قصتك في هذه الحياة الدنيا .. لي حوالي العام أنتظر أن أعرفك جيدا .

ـ حياتي مأساة .. حطمتني امرأة .

ـ أعرف وهي ابنة وزير كما قيل ؛ ولكني لم أعرف أي وزير صاهرته !

ـ كانت ابنة وزير صحة تزوجتها قبل الوزارة بأشهر معدودة ..كان والدها من كبار الجراحين في البلاد في الخمسينيات والستينيات .. لم تطل وزارته .. مات أثناءها

ـ مات!

ـ نعم ، مات بعد طلاقي لابنته بشهور .. سنتحدث عنه .. وستعرف لماذا طلقت ابنته؟ إنه

الوزير خالد حمدي أسعد .

فتح ادريس فاه وقال بدهشة : أوه ! إني أعرفه ..كنت موظف صحة في قديم الزمان !

ـ ستكون بيننا جلسات وجلسات .

ـ أنا سعيد بهذا الكلام ! قصص الحياة كثيرة ..وقصص الناس لا تنتهي يا مهندس سيف .

ـ قل سيف بدون مهندس ، لقد رميت الهندسة وراء ظهري .. أنا مثلك متقاعد ، لكن بدون راتب تقاعدي من التأمين الاجتماعي ..أنا كان والدي من كبار تجار البلد ، وترك لنا أموالا تغنينا الدهر كما يقال .. ولي تقاعد من نقابة الهندسة .. أرجو أن تكون أهلا للأسرار التي ستعلمها عني يا إدريس .

قال : اطمئن اطمئن للغاية يا صديقي ..رغم ما رأيته من لهفتي وفضولي الشديد نحوك ، فأنا خير من كتم الأسرار .. كل إنسان له أسرار وأخبار

عندما أنهى إدريس المكالمة رن جرس الباب ، فوضع السماعة في مكانها ، ومشى ليفتح الباب لطارق الليل ؛ فإذا هو زميله إياد ، فتعانقا ، وأدخله الدار مرحبا ومسرورا ، وأعد القهوة ، ولما جلسا في صالة الشقة قال إياد : لم تعد ترد على اتصالاتي .

ـ أكون خارج البيت .. لقد تطورت الأمور بشكل جيد .. واستسلم المهندس لصداقتي التي فرضتها عليه .. وقبل قليل تركت السماعة معه .. فمشوار المستشفى أثمر ولو بعد حين .

وقص عليه قصة المستشفى ، ومطاردة المقهى الجديد ، وحوار المقهى ، وقال إياد : أخيرا استسلم البطل .. أقدم لك التهاني الحارة يا إدريس أثمر صبرك .. غدا سيبدأ الكلام المهم .. متى ستعرفني على صاحبك الجديد؟!

ـ متى ؟ متى ؟ بالتأكيد سأعرفه عليك .. ألست أنت الذي عرفت بيته وحيه ؟.. هو لم يسألني عن كيفية معرفة البيت والحي .. ربما اعتقد أنني أنا الذي توصلت إليه.. إنه رجل مسكين كما قلت لك .. تعرف على فتاة كان والدها وزير صحة الدكتور (خالد حمدي أسعد) ومات أثناء مؤتمر خارج البلاد في حادث ..لا أدري الآن هل حضرت جنازته أم لا ؟! مات في

الستينيات ـ كنا في أول عهدنا في وزارة الصحة ..لم نلحق التعرف عليه.

ـ المهم تزوجها وقبل إنهاء شهر العسل طلقها وكره النساء بعدها لليوم!

ـ هل وجدها امرأة ؟!

ـ لم يتحدث عن خيانة زوجية أو عيوب فيها .. هو تشجع للحوار لما علم أنني أعمل في الصحافة .. وقرأ لي بعض المقالات التي أكتبها في جريدة الشرق المضيء كما تعلم بتوقيع الفتى نصار .

ـ هو بحاجة للحديث ..وهل علمت سبب تردده طول هذه المدة في التعارف وسبب وجوده في مقهى الكوكب الذهبي؟!

ـ هذا لم أعرف جوابه بعد ؛ لكنه سيتكلم .. فشقيقه الذي تعرفت عليه في المستشفى تفاجأ من تردد أخيه على المقهى .

ـ لم يفصح عن سبب وجوده في المقهى .

ـ يقول إن سبب وجوده .. أنه قابل رجلا في المقهى قبل ثلاثين سنة ويطمع باللقاء به .

تعجب إياد جدا وقال : غريب! رجل التقى به في المقهى قبل ثلاثين سنة ، ويأمل أن يراه مرة أخرى .

ـ وطلب مهلة للتفكير قبل فتح قلبه لكشف أسراره .

ـ لم تعرف سبب رفضه التعرف عليك كل هذه الشهور .

ـ لا ، غدا سيكون أول الغيث يا صديقي .

ـ وهل ستخبرني بكل ما تسمع ؟

ـ هو طلب كتم الأسرار .. ولكني سأجد الطريقة المناسبة .. فأنت صديق عزيز ومتعاون معي في هذا الملف ..سأقدر الأسرار .. ويكون الكلام .. سأقدر أهمية ما أسمع ..وبعد حين سأشركك معنا.. وإذا لم أنجح بربطك معنا سأتدبر أمر نقل المعلومات .. فأنت أخ عزيز وصديق العمر وشريك في هذه القضية العجيبة .. فهو بعد عدة اعترافات سيتوقف ويحس

بالندم وسيجد عذرا للتوقف إلا إذا كان راغبا فعلا بالتنفيس عن مخزون كل هذه السنين ..

ـ فهو له أسبوع يفكر حتى حسم أمره الليلة واتصل .

التقى إدريس بسيف في المقهى الذهبي مساء اليوم التالي ، وبعد التحية والمصافحة بكل حرارة كأنهما أصدقاء منذ تعارفا قبل شهور ، ولما شربا الشاي قال سيف ـ وهو يقدم دفترا متوسط الحجم للسيد إدريس ـ : عندما تتصفح هذا الدفتر الصغير سيكون بيننا الحديث والتفصيل في جلسة أخرى .. وأنا سأنقطع عن المقهى بشكل دائم انتهت مهمتي هنا بالفشل .. ربما نجلس جلسات عارضة فيه .. وإذا تتطورت أمورنا فسيكون الحديث إما في بيتي الذي عرفت بابه أو في بيتك الذي سأعرف بابه .. سنرتب لكل لقاء بالهاتف .

ونهض قائما وتابع : سأتصل بك بعد أيام .. فتكون قد قرأت ما كتبت في هذا الدفتر .

نهض الآخر : شكرا ..أنا في انتظار هاتفك .

ـ شكرا سيد إدريس .

وتصافح الرجلان ، وغادر سيف المكان على الفور .

لم يصبر إدريس عن قراءة الدفتر ، فلما اختفى جسد سيف انتقل إلى شرفة المقهى المطلة على شوارع المدينة ، وضوء النهار ما زال يغمر المكان ، وأخرج دفتر المذكرات .. هو لم يكن دفتر مذكرات بالمعنى الصحيح ؛ إنما كان دفتر ملاحظات مما يستخدمه طلبة المدارس .. وأدرك أن الرجل كتبه حديثا ؛ ربما خلال الأسبوع الماضي .. ولم يفهم الغرض من هذا الدفتر الصغير .. وجد فيه معلومات عامة عن الرجل اسمه وميلاده ومكان الولادة ودراسته الابتدائية والثانوية ودخوله كليه الهندسة وبعض الحديث عن والده ووالدته والعائلة .. ثم تعرف من خلال الكلية على فتاته "نبيلة خالد" طالبة كلية الهندسة .. وهي الفتاة التي تزوجها قبل التخرج من الكلية .. ووعد بالحديث عن تلك الصداقة بالتفصيل شفويا .. وبين في دفتر الملاحظات سبب مجيئه للمقهى وهو البحث عن الشخص الذي ساعد على تعجيل الطلاق .. وكان ذلك في منتصف الستينيات .. وعلى أثر تلك المقابلة وقع طلاقه من نبيلة خالد .. واعترف رغبت

هي ببقاء الحياة الزوجية واستمرارها .. وكان الغضب أعماه وأصر على الانفصال .. وكان له ذلك رغم امتعاض الكثير من الأهل .. وأن سبب العودة للمقهى في هذا الوقت أن هذه الفتاة قبل أن تفارق الدنيا كتبت له رسالة تبرأ مما سببته له من ألم وحقد على جنس حواء .. وأنه تعرض لمكيدة وتآمر من شخص حاقد مخادع ماكر .. وقد حقق مبتغاه ..وأنها لا تعرفه ولم تذكر أنها قابلته في حياتها .. وتذكر شخصا زميلا لهما في الكلية ؛ ربما يكون له يد في اللعبة الخبيثة .. وأن عليه أن يبحث عن الرجل الذى باعه الصورة الماكرة التي لا تعرف نهائيا كيف صورت لها .. وتطلب منه المرأة معاودة الاتصال بذلك البائع .. وعلى أثر تلقيه رسالة نبيلة بعد وفاتها ذهب للمقهى حالما برؤية ذاك الشيطان الذي لم يفكر فيه كثيرا تلك الأيام .. كان مصدوما مذهولا .. ولكنه وجد إدريس في وجهه الفتى نصار .. وكتب عددا من الرجاءات يطلبها من إدريس وهي أن لا يكتب شيئا عن حياته للجريدة .. واعترف له بأنه يعاني من بعض أمراض القلب والأوعية الدموية وصحته ليست على ما يرام .. ووعده بالدفتر أن يسلمه الرسالة التي أتته من زوجته المطلقة ؛ ليطلع عليها قبل الحديث عن أهم تفاصيل حياته وقصة الطلاق الصعب في أول شهر من الحياة الزوجية .. وغضب والده عليه من أجل ذلك واستمر غضبه لمدة سنة .. وتهاجرا بسبب ذلك .. ثم تصالحا وأشركه مع ابن خاله في إدارة مصنع الدواء .. وظل بدون زواج ، ولم يستطع التخلص من عقدة الشر في النساء لحتى الآن واعترف أنه ما زال يجهل سبب اهتمام إدريس به ومطاردته وتعقبه ..ويتمنى أن يكون السبب الفضول فحسب .

فضحك إدريس ملء شدقيه عندما قرأ هذه الفقرة وعلق فقال : ماذا أريد منك يا حضرة المجنون ؟! لقد رأيت في وجهك كلاما فأحببت معرفته .. ولعبنا لعبة القط والفأر .. لماذا ؟! صدق لا أدري .. وعجبت من خوفك مني ؛ كأني ذلك الغول الخرافي الذي تتحدث عنه العجائز لتخويف أحفادهن .. اليوم أفهم خوفك مني .. ضعف شخصيتك .. ترددك .. شكك في زوجتك التي أفرطت في حبها في الجامعة .. صدمتك خيانتها ..وكيف خانتك قبل

الزواج ؟ وأن الرجل الخائن كشف نفسه لك في هذا المقهى .. وزوجتك حبيبتك تنكر أي علاقة بغيرك .. سنعرف التفاصيل شفويا .. وهل حكاية كهذه تجعل الرجل معقدا نحو الجنس الآخر ؟! وهي حكاية مكرورة على مدار التاريخ .. ألا يسمع الرجل ولو كان ضحية مثل هذه الخيانات ؟ أتجعل هذه الخيانات الرجل معقدا يكره الزواج ؟ الحاج حاكم وردة كان رجلا معروفا مشهورا على مستوى القطر كله والأقطار المجاورة .. فهو من أكابر تجار المواد الغذائية سيد الدقيق والأرز والسكر في فترة الستينيات والسبعينيات .. لقد رأيته شخصيا عددا من المرات .. وإن كان وقته لا يسمح له بالجلوس معنا .. هل كان هذا الرجل سببا لعقدة سيف بإيذاء أمه ؟ فأثر نفسيا على سيف تجاه النساء ..ولكن كان الدكتور أمير طبيعيا ومعروفا ، ولم يكن معقدا .. هل سببت تلك الفتاة عقدة لسيف كما يزعم أم جعلها سببا لينفس عن ضعفه نحوهن ؟ هل يترك الرجل الزواج من طلاق امرأة ؟ أنا تركت الزواج لضعفي الجنسي وعدم قدرتي على الإيلاد .. والمرأة تريد أن تلد .. تريد الأمومة .. وليس الجنس فحسب .. هو الإنسان عندما يتعود على حال يصعب عليه التغيير .. مللت العلاجات والمراجعات .. ثم إن المرأة بعد زواجها من جديد حلفت له أنها بريئة مما اتهمت به .. وأن الرجل الذي قابله في المقهى غادر حاقد .. وهل هذا الرجل حيا يا إدريس ؟ ليسعى سيف إلى اللقاء به .. وهل يعرفه حق المعرفة أم وسوسة شيطان ؟ ولماذا تأخر الرجل في التعرف عليّ مع إدراكه شدة فضولي ومطاردتي له ؟ ولماذا تأخر في قبول صداقتي ؟ .. وقد وافق عليها في النهاية حتى أنه رفض استقبالي في المستشفى ؛ كأنه رأى وحشا يدخل عليه .. نظرات لا تنسى هذا الرجل فعلا قصة .. أخبر أخوه أنه رفض العلاج النفسي .. ماذا يقرأ الرجل في البيت ؟ أخوه يقول إن حياته القراءة الكتب والمجلات .. سوف أزوره في البيت.. عنده عقدة النساء والنساء تخدمه في البيت .. ألم أر الخادمة ؟ يرفض المرأة كزوجة ويقبلها كخادمة أم أنه نوع من الإذلال والانتقام من الجنس الثاني .. فكثير من الرجال تعمل كخدم وتطبخ وتغسل كما يشاهد في الفنادق .. صبرت أشهرا حتى تمكنت من صنع بداية علاقة معه .. والحصول على

هذا الدفتر.. سأصبر حتى تتضح تفاصيل الحكاية الغريبة .. ثلاثون سنة دون امرأة دون زوجة يا إلهي .. اشتغل منها عشرين سنة ، ثم ترك العمل ، هو ورث الكثير من المال عن الوالد والوالدة .

لما رجع للبيت أعاد إدريس قراءة دفتر الذكريات مع التوقف عند كل فقرة .. فكان الدفتر تمهيدا أو مقدمة لما سيعترف به لإدريس اللبن .. هل يكتب الرجل مذكراته ؟.. مذكرات يعترف فيها بخطئه .. هل وجد نفسه ظالما للفتاة ؟ وشرع يبحث عن تفاصيل المؤامرة التي تعرضا لها .. والرسالة التي يشير إليها تقول: إنها بريئة مما الصق بها ، ومما اتهمت به من خيانة زوجية قبل الزواج .. وكيف صدق الاتهام ؟ وهو الحبيب .. لو لم تكن بريئة ما كتبت له الرسالة ؛ ليبحث عن الحقيقة ..وإنها لم تكن السبب في تدمير حياته .. فهي تدافع عن شرفها ونفسها ولو بعد موتها .. وجاء المقهى لأنه مصدق لها .. ولديه رغبة بالوصول للحقيقة من ذلك الرجل .. هل ذلك الرجل حي أم ميت ؟!



الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد المهندس سيف الدين وردة

سلام الله عليك

أنا أكتب هذه الرسالة وأنا أستعد لرحلة الموت، الرحلة التي بين الحياة الدنيا والآخرة ، أنا أعاني من مرض السرطان ..وحانت النهاية مع أنني من عائلة كلها أطباء .. لكن علاج ناجع لا يوجد ..وأنا أكتب هذه الرسالة لأنك زوجي الأول والذي أحببته حق الحب .. وستصلك هذه الرسالة بعد موتي كما طلبت من ابنتي هند الطبيبة هند غريب .. ربما سمعت بها أو رأيتها لأننا ما زلنا من أهل بهية .. وستصلك الرسالة بالبريد مع معرفتنا لمكان بيتك كما تعلم .. ونحن نعرف بعضنا عندما التقينا في كلية الهندسة لأول مرة ، واكتشفنا أننا من أهل حي بهية أنا أحببتك بإخلاص يا سيف .. وأحببتك حبا شديدا وجادا .. وأنت فعلت مثلي .. لقد قرأت الكثير من قصص الغرام لأدباء مصريين وغربيين .. قرأت لإحسان عبد القدوس ومحمد عبد الحليم عبد الله ويوسف السباعي وغيرهم .. فكنت أعتقد أن ما فيها له واقع وحقيقة .. وكان ذلك في المرحلة الثانوية ، وكان الشبان من حينا وحي العرب يقومون بمعاكساتنا .. فبعضنا تقع وبعضنا تتردد وتخاف .. فالمغامرة محفوفة بالمخاطرة .. وهؤلاء الشبان يبحثون عن المغامرات العابرة والسريعة واللهو وتعدد الحبيبات .. كنت متفرجة لم تستهويني تلك اللعبة رغم شوقي لعلاقة رومانسية لقصة غرام .. لم تحدث إلا عندما تقابلنا في الجامعة رأيت الفارس والبطل الذي أبحث عنه وحلمت به .. كان والدي لا يحب لنا هذا العبث كما كان يسميه رغم أنه كما تعلم كان أكاديميا ومحاضر جامعة ..وتخرج في بريطانيا ، وعاش فيها عقدا من الزمان .. وهو مع حرية المرأة ؛ لكنه كان يراعي العادات ، وما زالت مؤثرة عليه .. وكان يتساهل لو وقعنا في تلك العلاقات .. هو نفسه تزوج أمي عن قصة حب لا أعرف تفاصيلها .. كنت الفارس الذي خفق له قلبي هوى وغراما بطل القصص

الرومانسية والعاطفية .. وأنت حبيبي بكل شغف وقوة .. حتى أن زملينا مرادا تضايق من سرعة حبي لك .. وبذل الجهد للتفريق بيننا .. وكان قد تقرب إليّ قبل أن أعرفك .. لكني لم أكن أراه فارس أحلامي كنت الحبيب الأول والأخير .. وزواجي من والد أبنائي كان ضرورة بعد فشل زواجنا بسرعة الصاروخ .. أمي وافقت على حبي لك ما دمت من نفس الطبقة التي نعيش فيها .. وكانت تعرف والديك حق المعرفة .. ونحن كما تعلم أبناء حي بهية .. فالاختلاط فيه من الأمور المباحة دون تردد ولا حرج علينا .. فقد شاركت الشبان والشابات المسارح والمسابح ولبس ملابس السباحة دون حياء وخجل.. لكني لم أتعر عريا كاملا أمام أي إنسان، لم يحدث ذلك يا سيف أبدا يا سيف .. أنت كذا مرة رأيتني بملابس البحر .. ولم تطلب مني شيئا وعدم الظهور بها .. كنت ترى الأمر طبيعيا حسب ما تعودنا .. كنت الزوج الذي أحلم به لأعيش قصة حب كما أقرأ في الروايات والقصص .. كانت تعجبني معاكسة مراد نحونا .. لكن لم أخرج معه في مشوار في رحلة في طعام .. وفي السنوات الأخيرة في الجامعة كان هناك رجل قريب لأبي يرغب بالزواج مني ..وكان والدي الجراح يراه مناسبا ؛ ولكنه لا يستطيع إجباري ، كان يريد أن أقبله طوعا يا سيف .. وأنت تعلم ذلك ، وتحدثنا عن ذلك .. طلبت منك الزواج قبل إنهاء الجامعة لأني أريدك وحدك .. وطلبت مني أن أتحدث مع والدك السيد الكبير حاكم وردة ، وبارك الرجل الزواج ، ووعد بالحديث مع الوالد عندما أعلمته أمي بموافقتها على مثل هذا الاقتران ، وأنها تفضلك على الاقتران بي من قريبنا الدكتور غريب .. ثم حدث تطور عجل بالزواج الفعلي .. فقد أخبر الوالد بأنه سيكون أحد أفراد الوزارة الجديدة وخشية رفضك كما تعلم قلت لك عجل بالزواج ليعجل أبوك بالحديث مع أبي قبل أن يعين وزيرا فيكبر الفرق الاجتماعي بيننا .. وأنت تشجعت وذكرت ذلك للوالد فتحدث معي .. وحدث الزواج يا سيف ، ونحن على مقاعد الدراسة ، وسكنّا في بيت من بيوت والدك .. وبعد الزواج بأسبوعين أريتني صورة لي وأنا فيها بدون ملابس داخلية ، فتاة عارية تماما ، لم أنكر أن الصورة لي .. وقلت لك بصدق ما خلعت ثيابي الداخلية من أجل

صورة خليعة أو زنا .. ولا أدري لليوم كيف صورت لي تلك الصورة ؟! ذكرت لي أن زملينا مرادا هو الذي حدثك عن تلك الصورة العارية .. وأنه شاهدها مع رجل في أحد مقاهي المدينة وحثك على مقابلته .. وذهبت لمقابلة الرجل وأعطاك نسخة من الصورة التي عرضتها عليّ .. أقسمت لك أنني لا أعرف كيف صورت هذه الصورة ؟ ولم تصدقني ، وقررت الطلاق وأمام الضغط والحالة التي أصابتك قبلت الطلاق .. وتنازلت عن حقي الشرعي .. وغضب والدي منك بشدة وصدم ؛ ولكنك عرضت عليه تلك الصورة .. فصدم أبي من تلك الصورة .. وتم الطلاق بذهول الجميع .. ولليوم أيها الحبيب لم أعرف كيف صورت؟ وأين ؟ أنا لم أنكر أن الصورة لي .. وليست تركيبا وخدع مصور.. وصار والدي وزيرا في الوزارة الجديدة ونسي الموضوع .. ولما تم الانفصال والعدة تزوجني السيد غريب بدون تردد .. وهو زوجي الحالي والد أبنائي الثلاثة.

وأنا لم أتكلم معك بأي صورة من يوم الانفصال .. ولم يحصل حمل من طرفك .. فكان الفراق أبديا ؛ ولكني أتعذب من أجلك يا سيف .. لقد علمت أنك لم تتزوج بسبب تلك الصورة .. لم تسع لأن تكون أبا بسبب تلك الصورة .. وجعلتني السبب الكبير لذلك .. أنا بريئة يا سيف وأقسمت لك ولأبي ولأمي وإخوتي أنني لم اخلع ثيابي لأتصور عارية .. لاقف أمام كاميرا مجردة من الثياب .. ولم أمارس الجنس مع أي إنسان قبل زواجي منك .. فكيف صورت ؟ لست أدري .. أنا بريئة .. وأقول ذلك وأنا أستعد للرحيل من هذه الدنيا .. ولا ذنب لي في تدمير حياتك .. أنا أحب أن تسامحني .. وأن تذهب لذلك الرجل الذي أعطاك الصورة القبيحة ، وتعرف منه كيف صورت ؟ لتعرف أنني بريئة .. وأننا تعرضنا لمكر شيطاني .. وأنت تعلم أن المرأة تستطيع الخيانة الزوجية دون الحاجة إلى صورة.. راجعت حياتي منذ رأيت تلك الصورة في يدك .. فلم أعرف كيف خدعت ؟ كيف عريت؟ ومن وراء هذا العمل الشيطاني .. من هم ؟ أين خدرت ؟ إذا كان هناك تخدير لا أعرف .. إلى اللقاء.. هناك رحمة الله السلام عليكم.

حي العرب

كانت المدينة صغيرة أو أقل سكانا في حياة جدي وبداية أبي كما أخبر أبي ، كانت له دكان في سوق الأطعمة الكبير ، لم يتعلم في المدرسة إلا المرحلة الأولى ، ولما تزوج فتح له والده دكانا خاصة به ، وتعاطى نفس المهنة ، وكان والده غنيا ، وكذلك والدته ، فكلاهما من أبناء التجار ولكن الجد لم يكن طموحا كوالدي .. استقل الوالد عن الجد بعد الزواج .. زواجه من أمي ـ رحمها الله ـ استأجر دكانا أخرى وتوسع في بيع الأرز والسكر .. وخلال سنوات سيطر على السوق .. وأصبح المستورد الأول لها .. فسافر لمصر والهند وغيرهما من البلاد المصدرة للسكر والأرز لم أكن المولود الأول لأبي ، كانت هناك أختي الكبرى مريم ، ثم أخي المرحوم حازم ، وكنت الثالث الثاني من الذكور ..كانت ولادتي في الحرب الثانية .. وسميت سيف الدين .. أيام الأزمات والكوارث الكبرى يلجأ الناس للدين ولو بالأسماء .. فأحب والدي هذا الاسم فصرت سيف الدين حاكم من آل وردة .. كان حظنا من التعليم أحسن من حظ والدي .. تعلمت في مدرسة أهلية رغم انتشار مدارس الحكومة .. كان الآباء يحبون صنع أبنائهم ويوجهونهم لدراسة ما يحبون .. فدرس أخي الكبير الطب .. وأراد والدي ذلك لي فاخترت الهندسة .. فقبل ذلك ودرس أخي الأصغر الذي تعرفت عليه في المستشفى الطب كأخي الأكبر .. وأخي حازم توفي في حياة أبي وأمي .. كان باص المدرسة يأخذني طول أيام الأسبوع ما عدا الجمعة ؛ لأنها عطلة رسمية .. كانت تجارة أبي تكبر ونحن صغار .. لذلك لما بلغنا الثانوية العامة كان الوالد أكبر تاجر أرز في البلاد كلها .. وأخذ يهتم بالعمل النقابي والجمعيات التجارية والغرف التجارية ..كان من طبعي الخجل وخاصة من الفتيات منذ عرفت أن البنات تختلف عن الذكور .. أتهرب من الحديث معهن حتى من بنات أقاربي كبنات أعمامي وعماتي وأخوالي وخالتي وبنات الجيران.. لم ترق لي تلك العلاقات ، ولو سميت بريئة ولعب عيال.

كنا من سكان حي العرب وهو حي قديم وكبير مساحة وبشرا .. لم يكن هناك تميز كما علمنا

فيه بين غني وفقير .. وكانت العائلات والأقارب تحب مجاورة بعضها البعض في القديم .. ثم نشأ حي بهية كجزء من حي العرب ؛ ولكنه امتاز بالأسر ذات الثراء الكبير .. ثم استقل عن حي العرب لما امتلأ بالقصور والفلل على الطرز الغربية والحديثة .. فشيد الوالد قصره الكبير وفعل بعض أشقائه مثله .. وانتقلنا للحياة فيه ؛ ربما كنت في مطلع المرحلة الأولى من التعليم النظامي .. وهو شيده بعد استقلاله عن جدي وزواجه .. وكان من مال أمي وأبي ووالد أمي جدي أدهم ..لا تفهم من كلامي أن حي بهية من عمري لا هو موجود من زمن ربما قبل أن نسكن حي العرب ؛ إنما برز كحي خاص للأثرياء بعد زمن وحياتنا في بهية امتداد لحي العرب .. لم يتغير على عاداتنا وتقاليدنا الجديد ؛ لكنك تجد بنات ونساء حي بهية أقل تحفظا وحشمة وأكثر سفورا وتبرجا واختلاطا بالرجال سواء في النادي والجمعيات.. والزيارات والحفلات لا تكاد تفرق بين الجنسين .. والقضايا الأخلاقية تمر فيه عبورا سريعا ، لا يتوقف الناس عندها إلا كخبر وحادث .. ومع حياتنا فيه ظلت علاقتي مع فتيات الحي ضعيفة .. التحية والابتسامة .. لم تتطور إلى علاقة مراهقين وغرام بعكس أخواي حازم وأمير .. وعادة كل هذا ينتهي بانتهاء الدراسة الثانوية .. كان حازم يكبرني بعامين، ويصغرني أمير بسنتين أيضا ، وباقي ذرية أمي بنات .. خمس بنات .

أختي الكبرى وبكر أبواي تزوجت فور إنهاء الثانوية ؛ لأنها كانت مخطوبة أثناء تلك المرحلة كانت البنات تتزوج مبكرا يا أستاذ إدريس .. وكان أخي حازم جادا في دراسة الطب ومحبا له ومبغضا للتجارة وأنا مثله .

نجحت في الثانوية العامة ، وقبلت في الجامعة كطالب في كلية الهندسة ، وكنت أسمع أخي الأكبر يتحدث لأمي عن جو الجامعة والبنات .. وتلك الأيام كانت طالبات الطب غالبهن من بنات الأثرياء لارتفاع تكاليف الدراسة .. فالتعليم الجامعي ليس مجانيا .. وهذا تجده في كلية الهندسة .. فقليل من أبناء الأسر الفقيرة من يتعلم في تلك الكليات الباهظة التكاليف فأكثر أبناء الفقراء يتجهون للمعاهد المتوسطة أو الكليات الأقل تكاليفا أو التعلم في أوروبا

الشرقية ؛ ولكن قد تجد طلبة من تلك الطبقة المسكينة في الكليات العلمية نتيجة منحة أو بعثة أو أصحاب المعدلات العالية الذين يتعلمون على نفقة الدولة .. لقد كان عندي أفكار عن حياة الجامعة والمجتمع المختلط والحكايات السيئة مما كنت أسمعه من حازم رحمه الله.

فالجلوس مع البنات يبدأ من أول الفصل سواء من طالبات نفس الكلية أو الكليات الأخرى ويكون في الساحات المشتركة ..وعليك أن تتقبل ذلك بحكم الدراسة وبحكم القرابة .. وترى الجميلات الفاتنات والدميات ترى الجادات وترى العابثات .. رأيت نبيلة خالد من الأيام الأولى في الفصل ..كنا من نفس السنة .. كانت فتاة فاتنة بحق يا إدريس ، وكانت بنت أكاديمي له اسمه في الجامعة .. تعرفنا على بعض مثل سائر الطلاب .. أحسست بشيء نحوها لكني لا أحسن العبث والتسلية مع الجنس الآخر .. رأيت عددا من الشبان يحومون حولها ، لم أستطع الفعل مثلهم .. ليست لديّ خبرة في معاكسة البنات والجلوس معهن .. كانت نبيلة محبوبة القلب منذ الرؤية الأولى ، لم أستطع الاعتراف لها بذلك ؛ بل كانت تعمل حركات وإشارات تشجيعية لمصارحتها بهواي ..كانت تحس بي ؛ ولكنها خجلة من البدء بذلك الحب مع أن عيوننا تصرخ بذلك ، لم يكن لديّ الجراءة على عمل علاقة غرامية وعاطفية مع أي فتاة ومعها بالذات .. أعترف اليوم لك بهذا الضعف والخور .. تلك الأيام لم تكن مسلسلات الحب شائعة مثل اليوم .. كانت التلفزيونات غير ملونة ، وبثها ضعيف .. والسينما موجودة وروادها قلة ..وأفلامها موديل الثلاثينات وما بعد الحرب الثانية ، وأكثرها أجنبي .

كانت نبيلة تدرك أني من النوع الخجول جدا ، ولم تكن لي علاقات قبل الجامعة ، وأنني لم أرافق أنثى بقصة غرام ، وأن صفة الخجل تسيطر عليّ بقوة ، ومنعتني من مطاردة الفتيات ومصاحبتهم خاصة في الجامعة .. فهي فرصة للتمرد على العادات والتقاليد .. كنت أحترق من مطاردة الشبان لها وخاصة مرادا الذي يصاحب الفتيات ليثيرها للتعلق به .. كانت تهواني وتنتظر كلمة إشارة ؛ ولكني عجزت عنها فترة طويلة يا إدريس .. وكنت أخشى استسلامها لمطاردات الآخرين .. وأتحسر على ضعفي وجبني .. وتفاجأت عندما علمت أنها من سكان

حي بهية ـ نحن من أهل نفس الحي والشوارع ـ وعلمت أن والدها طبيب كبير في المستشفى التعليمي فزاد رعبي من الاتصال بها ، ولم أستطع أن أعترف بإعجابي بها .. ومضت السنة الأولى دون أي علاقة خاصة بها .. وكنت أدعو أن تكون من نصيبي عند الزواج .. وكان زميلنا في الفصل مراد مطاردا جادا لها رغم شيوع غرامياته في الكلية والجامعة ، بل علمت أنه يغار مني نحوها ؛ فكأنه علم أو أدرك تعلقها بي .. ومن أجل ذلك كانت ترفض أي علاقة معه .. هذا عرفته فيما بعد ، لم تكن لديّ جراءته ، وإن تمنيت بعضها ، عدنا للجامعة في السنة التالية ..كان التعليم في ذلك العهد بنظام السنوات والفصول ، ليس كاليوم بنظام الساعات والاختيار .. انتهى الصيف وعدنا للدراسة .. لم نر بعضنا خلال عطلة الصيف .. علمت أنهم يقضون بعض الزمن في بريطانيا حيث تعلم والدها .. رحبنا ببعض في مطلع الفصل كعادة الطلاب بعد العودة القسرية .. كانت عيناها تخترق جسمي وقلبي .. وكلما وقفنا نتحدث مع بعض كنت أخشى أن تعترف لي بحبها ؛ ولكنني أدركت أنها تنتظر أن أنطق بها .. كانت تفتعل المحادثة والمحادثة معي وأنا أضعف عن الاعتراف بحبها .. تقول لي كيف حالك ؟ ما أخبارك ؟ أرد بحياء بدون فضفضة حتى أن مرادا صرخ فيّ مرة ساخطا يا رجل البنت تموت فيك ترفضني من أجلك ، قل لها تلك الكلمة الساحرة ، أنت في الجامعة .. لا أستطيع أن أقولها ، وهي لا تستطع قولها والبدء بها مع أن عيوننا قالتها مئات المرات ..كنت أرى مشاكسات ومعاكسات الطلاب لها وهي صامدة ؛ كأنها اختارتني وحدي فقط رغم جبني وإهمالي لها .. وأدركت هي ضعفي وخجلي .. أخذت رقم تلفون البيت ، وكانت تتصل للحديث حول المحاضرات والنشاطات ، وتسأل عني وعن صحتي وأنا أتكلم بحدود الرسميات والزمالة .. وقلبي يكاد يقفز من صدري يا إدريس هوى ولوعة ..وفي مطلع السنة الثالثة استطعت أن أعترف لها بحبي وولهي بها .. فقالت لي سنتان يا سيف أنتظر هذه الكلمة الساحرة أخيرا اعترفت بما تكلمت به العيون من أول سنة .. أحببتك من الأيام الأولى .. رفضت كل الشبان من أجلك من أجل هذه الكلمة ..أنت عيوني يا سيف .

اعترفت لها بحبي لها من تلك الأيام ؛ لكني لم أستطع نطق تلك الكلمة .. وأنا لم أقلها لأحد من قبلك يا نبيلة !

ـ أنا متأكدة من ذلك .

وعرفت السعادة تلك اللحظات ، وغرقنا بالحب والهوى .. الحب العذري ..لم أكن أستطيع مجاراة فتاتي في الهوى والغرام ، لقد كنت أستمتع بسماع كلامها وغزلها وغرامها .. وأتعجب من مصدر الكلام .. كانت تعيش في قصة حب كبيرة ، ولا أصدق أني ذاك الفارس يا إدريس.. وكانت تقبل القليل مني ؛ لأنها عرفتني لا أحسن الكلام الكثير .. أحببتها بكل عمق من أعماق قلبي ..كنت مشغوفا بها .. كانت ملكة فؤادي بحق تلك الأيام .. وبعد شهور من الحب حتى تمكنت من نيل قبلة منها ..كانت القبلة الأولى ، فعلت كما يفعل المحبون في الأفلام التي نراها في السينما يا إدريس .. فكل الزملاء علموا بحبنا وهذا أمر طبيعي في شوارع الجامعة وحدائقها .. قلما لا تجد شابا يرافق فتاة باسم الحب باسم الحرية باسم المدنية والحضارة .. لم يكن هذا مستهجنا خاصة بما يسمى الكليات العلمية حتى أننا نسمع عن مغامرات عاطفية في كليات محافظة كالشريعة .. ولا أدري صحة ذلك رغم أن المجتمع محافظ كما تعلم .. فهذا لم يكن في الكليات .. أحببت حبيبتي بإخلاص ؛ وربما أكثر مما تقرأ في رواياتها العاطفية الغربية كقصص الحب الفرنسية من زولا وزيفاكو وديماس وهوجو كان الزميل مراد من أكثر الناس إغاظة مني .. يتهمني بخطف حبيبته منه .. لقد فزت عليّ أيها الصديق .. لقد عشقتها قبلك ؛ ولكنها صبرت ونالت ..وأنا أعتبرك خطفتها مني .. ربما أتذكر هذا الكلام ؛ لأن الرجل لعب في مأساتي دورا لئيما شيطانيا.

هذا الكلام أسمعه منه رغم أني قضيت سنتين يا إدريس قبل أن يصبح حبنا حقيقيا كما سردت لك ..وهو يزعم فشله في اصطيادها كما يقول ؛ لأنها تعلقت بي ..وما أدراني بذلك قبل الاعتراف ؟! ..كانت تحدثني عن الحب وعن حب الروايات التي تقرأها وأنها تعيش رواية من تلك الروايات ؛ ولكنها لم تعين إحدى الروايات .. فأنا أقرأ روايات أما روايات الحب

الرومانسي فقليل أفعل .. كنت أقرأ قصص المغامرات والصراعات.. فهي تعيش كما كانت تحلم وكما كانت تقرأ هكذا تقول .. جعلتني بطل تلك الروايات .. كان حبنا عذريا كالذي تعلمناه في المرحلة الثانوية ، كان عذريا إذا صح ذلك في مثل هذا الزمن .. لم أنل إلا قبلا معدودة في ظروف ومناسبات خاصة .. كنت أجرؤ على مسك يدها كما كنا نرى ذلك في الأفلام العربية والأجنبية .. هل هذا ينقل المشاعر والأحاسيس ؟ لست أدري .. لكننا نغرق في الهوى والغرام ، أحببتها بجد ولم أجرؤ على أكثر من ذلك .. وكنت مغرما بتبرجها وسفورها .. هي ابنة حينا حيث لا أهمية للسفور والتبرج .. كانت فاتنة .. وهي ابنة طبيب كبير في المستشفى التعليمي ، ومحاضر في كلية الطب وجراح .. كنت أراها مخلصة لي وشريفة بمعنى الكلمة ؛ لأنها اختارتني دون الزملاء حبيبا وصديقا ؛ ولذلك مضت السنة الثالثة ونصف الرابعة ونحن في غاية السعادة ، ونحلم بالزواج فور التخرج والانتهاء من الدراسة والاستقلال عن أسرتينا .

كانت والدتي تعرف بهذا الحب وباركته ، وكذلك أمها السيدة الفاضلة .. وأعتقد أن كل الأسرة تعرف ذلك .. لكن لم يتحدث أحد معي عنه .. كل واحد مشغول بحياته العاطفية والدراسية .. وهي أخبرت أن والدتها تبارك لنا ، وتدعو لنا بالزواج في نهاية المطاف .

كتبت لها عشقا بضع رسائل عاطفية .. وقلت فيها ما لم أستطع التفوه به أمامها .. كانت تطرب وتلذ على رسائلي ، وتعجب بها غاية الإعجاب ، وتستمتع بها وتقول : إنها تقرأها بشغف ووله .. تقرأها عشرات المرات .. وكنت أكتبها في مناسبات خاصة كمناسبة العيد أو إنهاء الفصل إنهاء السنة الدراسية .. في أي مناسبة جميلة أكتب لها معبرا عن مشاعري نحوها عن هيامي بها إعجابي بها ورغبتي الجامحة بالزواج منها .. رغم تساوينا بالسن ، وأتمنى أن تكون ذريتي منها .. هي لم تكتب لي سوى رسالة واحدة .. لم تكن تحب الكتابة مثلي.. كانت تقول ما تشتهي مشافهة .. وكانت قادرة عن التعبير عن أحاسيسها وغرامها بالكلام

كنت أرى أن زواجنا بعد هذا الحب العاصف سيكون أفضل وأنجح زواج .. رغم أن شعارا

يتردد في ثنايا الكليات أن التخرج نهاية لكل عذابات الحب والغرام .. أي سيذهب هذا الحب أدراج الرياح .. القليل من يتزوج فتاة أحبها خلال الجامعة واتخذها زوجة .. فأيام الحب ليست كأيام الزواج والمسؤولية .. فكنا في شوق إلى إنهاء الدراسة ؛ لنكون أسرة جديدة والحياة الحميمية.

صدقا مع حبي الجارف لفتاتي لم أحاول لمس أي شيء في بدنها سوى شعرها الفاتن ويديها .. ولا تنسى أننا أبناء حي يعتبر مثل هذه الحركات أمرا طبيعيا غير مستهجن .. وتنتشر مثل هذه القصص والغراميات فيه بكثرة رغم أنها فضائح .. لكنها لا تترك أثرا في الحي إنها مجرد خبر فلان وفلانة .. سمعنا عن قصص خيانات زوجية ..قصص سكر مخزية .. لم أفعل مع فتاتي ما يعيب مع أنني وكلي ثقة أستطيع معاشرتها كزوج من شدة الحب بيننا ..لا أرها ترفض ، ولم أحاول ذاك ..كان الزواج محتوما بيننا .. لم تكن العذرية تشكل شيئا في حينا .. وبيننا كان الطلاق هو حل لقضايا الشرف والعرض .. بيننا أي في أسر حي بهية .. التدين شكلي وضعيف تلك السنوات .. فلان طلق زوجته بسبب أنه وجد في غرفة نومه سيدا.. الزنا بالتراضي ..لا حرج في المكان .. كنت أريدها عذراء بكرا ليلة الزفاف .. كانت وحدها لي وأنا كذلك .. لم أعمل أي علاقة غرامية إلا معها .. وهي حسب علمي فعلت مثلي رغم طول انتظارنا للاعتراف بهذا الحب .. لقد اختارتني دون عشرات الصيادين .. فهي مقتنعة بي كحبيب وزوج الغد وشريك العمر وذلك بعد الدراسة.

قد سمعت قصة سيئة لشقيقتي الأصغر مني ؛ لكن الحي الذي نعيش فيه يعتبر ذلك من السخافات ، حتى والدي يعتبرها سخافة ..كما يعقد الشاب علاقات مع البنات .. لو فعلت ذلك البنت فلا حرج ..لا يحاول التثبت من القصة والخبر .. شعاره علينا أن نقبل للبنات ما نقبله لأنفسنا .. أختي غابت أياما عن البيت .. ولما عادت سألها أبي عن سبب الغياب مع ذلك الشاب .. فحلفت لأبي أنه لم يمسها مجرد رحلة .. فصدق أبي ولم يكبر الموضوع .. مع أن الشاب تحدث مع بعض الشبان أنه عاش معها كزوج أي عاشرها .. عاش معها أحلى أيام

حياته .. لم يعرضها على الطبيب الشرعي ، لا يريد المزيد من الفضائح والتوتر .. حقيقة لم تكن أخواتي الأصغر منا نحن الذكور على شيء من العفة والأخلاق يا أخ إدريس .. ولا أعتقد أن إحداهن تزوجت عذراء.. كان أبي وأمي يغضان الطرف عن أي سلوك شائن ، ونحن علينا الصمت وعدم الاحتجاج على أي تصرف لا يروق لنا ، ولا نتدخل في شؤون الآخرين ، كما لا نحب أن تتدخل البنات في أمورنا ..وهذا غالب على عائلات الحي في ذلك الزمن .

أقول ذلك حتى تعلم يا سيدي لو أني أقمت علاقة جنسية كاملة مع حبيبتي لا أحد سوف يلومني أو يتهمني بالسادية والإباحية .. لدينا في الحي تقاليد لا تعتبر إساءة للآخرين كنا كالأجانب بحق .

رغم التغيرات التي شابت الحي في هذه الأيام بدخول عائلات أقل غنى عن عائلات الستينيات .. هذه الأشياء والافعال مستهجنة في بيئات أخرى والأحياء الشعبية .. وإن لم تخلو كما تعلم من سوء وفحش ؛ لكنهم يتسترون عليه أو يشهرون به ويصبح قضية غسل عار .

لم أفعل أي سوء مع حبيبتي ..وقلت لك كنت أعشق تبرجها وعطرها الفواح ..كنت أرافقها للمسبح .. وذلك أكثر من مرة .. أنا أحب السباحة ..كنت أجلس أتفرج عليها ..وفي المسبح تكون الأنثى عارية أو قل شبه عارية .. أنت تعرف ثياب البحر اليوم ..فأصبحت شائعة وخاصة مع شيوع سباحة النساء في المسابقات .. وكنت أرى بعض الفتيات تحاول الإساءة إليها في المسبح العام .. فكانت تبتعد ثم تخرج .. وذلك باسم المزح والمدنية .. وكانت وغيرها بعد السباحة يستلقين على الرمال أو مقاعد خاصة للتشمس .. وهذا في حي مثل حينا ؛ بل علمت أن في قصر والدها مسبحا جميلا .. وللمسابح قصص وحكايات ..كيف يغار رجل على زوجته أو أمه أو أخته عند تلك المسابح ؟!.. وأملك لها صورا بلباس البحر ؛ وربما مع غيري مثل هذه الصور .. لكني لم أكن أنظر إلى ذلك بمنظار الغيرة والشرف .. الأمر عادي عندنا .. واعلم أن العذرية لم تكن تشكل عندي عقدة ؛ لذاك لم أسالها عنها في يوم ما .. لكن

من يوم اعترفنا بالحب كنت لا أحب أن أسمع عن علاقة لها مع غيري .. وهي تعرف هذا .. كنت أراها عذراء ومن كلامها أيضا .. وهذا الأمر لم يكن مهما في الحي البنت نفس الشاب .. معنى ذلك أن ممارسة الجنس مباحة في الحي ، ولا تثير لغطا وصراعات .. ولا يعني هذا أننا لا نسمع بمشاكل بسبب ذلك وبسبب الغيرة ؛ إنما هي أقل من غيرها من الأماكن ، والحل باب المحكمة أو الصمت .

اللبس أيضا كان كلبس بنات أوروبا ؛ بل ملابس أوروبا تباع في الحي وموضات باريس ولندن متوفرة ومستوردة .. حافظت أنا وفتاتي على عفتنا ليس تدينا أيها الصديق ربما فطرة حياء خجل .

والحق أنها لم تسع لإغرائي يوما .. كانت مقتنعة مثلي أن غرفة النوم هي المكان الصحيح للعلاقات الجنسية الحميمية والصحيحة .. وقد يكون لشخصي الضعيف دور في الابتعاد عن تلك العلاقات الآثمة .. كانت الإباحية كما تعلم في تلك العقود تجتاح العالم الغربي الأمريكي والأوروبي .. والأمهات تعاني كما تحدث الصحف والمجلات ..وكانت بداية الأفلام الإباحية، وانتشار الإجهاض وموانع الحمل ، وكنا متأثرين بالغرب للغاية حفلات سهرات نوادي مسابح .

زارتني فتاتي عدة مرات في بيت والديّ ، وذلك بعد تقدم العلاقة الغرامية بيننا ، قابلت أمي وأبي وأخواتي وإخوتي .. وكان والدي مسرورا من علاقتي بها .. فوالدها أشهر جراح في الحي والمدينة .. وكذا مرة غمز وسأل عن مدى علاقتي بها .. وقال مازحا : هل نلت منها شيئا ؟ يقصد المعاشرة فأقول حبنا عذري حب قيس وليلى وروميو وجولييت فيضحك عاليا ويقول : يا رجل لو أمك ضحك في وجهها شاب لرمتني في الشارع فأرد قائلا : أمي لا تفعل ذلك ، أمي كبيرة .

عندما كبرنا كانت الأم تعاني من عدد من الأسقام ، ورغم تبرجها كنساء الحي لم تكن تكثر الجلوس مع الرجال في لقاءات خاصة ، فلا أعتقد أنها تسلم نفسها لشاب أو عشيق .. أما أبي

يا صديقي إدريس أعتقد جازما أن له مغامرات نسائية ، ونام مع بعضهن .. أبي تزوج صغيرا دون العشرين.. أنا لم أر شيئا عليه ؛ لكننا نسمع من بعض أصدقاء أو أبناء أصدقاء الوالد نسمع بعض الغمز .. وأنه لديهم جمعيات سرية لممارسة البغاء والزنا ، لم أحاول أن أعرف .. لكن الأمراض الجنسية تفضح الناس وتكشف المستور .. لم يكن الأمر مهما ومخزيا لنا كأسرة كما قال لي أخي حازم ..حياته هو حر فيها ..كلٌ حر في حياته وصحته .. لم يكن الدين مؤثرا في بيتنا ؛ ربما كنا نستغرب وجود مسجد في الحي .. كان المهم لنا المال والدراسة .. مصدر المال غير مهم .. وهو ينفق علينا بسخاء.. وكلنا دخل الجامعة وتعلم على نفقة الأب إلا أختي مريم الكبرى ؛ لأنها تزوجت مبكرا .. وأخواتي بكل صراحة لم تكن سيرتهن سواء في الجامعة أم الحي تسر ما عدا طبعا المتزوجة .. والحق لم نكن نهتم بقصص البنات ومغامراتهن الاهتمام الكافي والمهم .

مضى الفصل الأول من العام الدراسي الرابع وهو الأخطر في علاقتي بنبيلة خالد ، لم تحاول فتاتي إغوائي رغم ما بيننا من قوة الحب .. والإغواء أو الإغراء شائع في الجامعة ، وكثيرا ما تشيع قصص حب عنيف أو قل علاقات جنسية كاملة في ذلك المجتمع .. لا تدري السبب البنات أم الذكور .. في مطلع الفصل الثاني أو قل في آخر الفصل الأول من العام الرابع في كلية الهندسة حدث تطور في حياتنا الغرامية أخبرت نبيلة أن قريبا لها ولوالدها طبيب متخرج من بريطانيا يكثر تردده إلى قصرهم تصحبه أمه .. في البداية كان كل شهر يزور البيت مرة أو مرتين ، ثم أصبحت زيارته تتكرر كل أسبوع .. وهمست أمها في أذنها أن الرجل يفكر بالزواج منها كما تتحدث أمه .. وهو ينتظر الظرف المناسب ليحدث الدكتور خالد بهذه الرغبة .. والشاب طبيب أعصاب ودماغ متخرج من بريطانيا وسافر إليها بمساعدة الدكتور خالد .. فربما يرى بالزواج منها شكر للدكتور خالد ..وطلبت أمها أن تتحدث معي عن الخطبة لقطع أي تفكير بذلك .. وتعلن خطبتنا بشكل رسمي .. واقترحت أن يتم العقد الشرعي والزواج بعد التخرج أو قبله بقليل .. وبعد تردد معتاد مني قلت لها: أنا ما زلت

طالبا آخذ مصروفي من أبي .

قالت : أنا أعرف ذلك ؛ ولكني أريدك ولا أريد أن أخسرك .. فأبي يعرف نتيجة حب طلبة الجامعة .. فهو يعرف الكثير عن علاقات الطلاب والطالبات والنتيجة لا زواج بعد التخرج فالرجل يعمل كطبيب وقريب أبي .. وانا لولا حبي الكبير وحب ارتباطي بك ما تقدمت بذلك .

بعد محاورات ومجادلات قبلت أن تقابل أمي ثم أبي ، وتفهم أبي وأمي وجهة نظرها ـ وهما يعلمون بعلاقتي الخاصة بها ـ وتشجع والدي لزواجي أكثر مني ، ولم يتوقع زواجا قبل الحياة العملية يا سيد إدريس؛ إنما بعد التخرج والعمل كما هو معتاد عادة .. تحدث أبي مع والدها في نادي الحي نادي السادة ، ووافق الدكتور على زواجنا أو خطبتنا بكل بساطة في النهاية ، وعلمت من أبي أنه تردد في قبول هذه المغامرة ، وتحدث لأبي أن ما يحدث للشباب في فترة الجامعة وأثناء الدراسة أساسه هش ، لا يعتمد عليه في تكوين حياة أسرية صلبة وناجحة ، وسيضعف الانجذاب بعد انتهاء الجامعة ، ودخول معترك الحياة العملية، وابتعاد المتحابين عن بعضهما .. فالشاب يحتاج لوقت ليكوّن نفسه في العمل والسوق .. والفتاة تسرع بالزواج للهروب من شبح العنوسة ، وخشية فوت القطار ؛ لكنه من حيث المبدأ قبل رغبة أبي بزواجنا قبل التخرج ، وبعد فترة خطوبة تعزز أواصر المحبة بيننا ، وتعهد له أبي بتوفير السكن اللائق لابنته والنفقة علينا حتى نتخرج ونعمل ونستهل حياتنا العملية .. فرحت وسعدت بهذه النتيجة والتصرف الشجاع من والدّينا .. وأعلنت الخطوبة في حفل عائلي صغير في منزل الدكتور خالد ، ولبسنا الذبل كما يقال ، وقيل إن الزواج سيكون بعد انتهاء السنة الرابعة وقبل السنة الخامسة والأخيرة لنا في كلية الهندسة .. وأهداني والدي بهذه المناسبة سيارة صغيرة وجميلة .. كانت حياتنا تمشي هادئة ورائعة .. وأخذنا نحلم بليلة الدخلة كالمراهقين والحياة الزوجية والذرية .. وكم سنخلف وماذا سنسمي الأبناء؟!

شخص تضايق جدا من هذه الخطبة الزميل مراد ، كان مقهورا من ذلك لماذا لا أدري بالضبط ؟!

وذلك عرفته بقوله لنبيلة ذلك ، وقالت : ما زال مراد يكن لي الغرام والهوى ، ويقول لها إنه أحق بها من سيف ألا تنهره وتكلمه أن يدعني وشأني ، ويبتعد عني ؟ لم أعد أحتمل سماع تعليقاته والحديث معه ؟ وتحدثت معه بذلك ، وأعلمته أن الفتاة اليوم أصبحت بحكم الزوجة لي ، فبارك لي وقال: إني أمزح معها يا سيف .. مباركة عليك فتاتك.. فلي من الصديقات ما يغني عن فتاتك.

ولما علمت أن قريبها خفت رجله عن بيت والدها بعد إشهار الخطبة خفت الحديث عن الزواج ، ولم نتزوج في صيف السنة الرابعة .. وكنت أصحبها في سيارتي إلى الجامعة.. لقد استفدت من الخطبة امتلاك سيارة خاصة بي .. وبينما نحن في الأيام الأولى من السنة الأخيرة والخامسة في كلية الهندسة ..همست الفتاة بأن علينا أن نتزوج بأسرع وقت ممكن ، ولا نكتفي بالخطبة ، وبررت أن والدها تعرض عليه وزارة الصحة العامة في الوزارة الجديدة ، وتخشى أن ينهي العلاقة بيننا إذا تسلم هذا المنصب المهم ، وأن تصبح ابنة وزير الصحة ، ويتعقد الزواج ووالدها ممن يحبون الفخر والخيلاء .. فاتحت أمي ثم أبي فقال : فعلا عليك بالزواج قبل أن يصبح الدكتور وزيرا فالرجل عنده نفخة ، فقد يضطر لتزويج ابنته من وزير أو ابن وزير .. فأسرع أبي إلى لقاء الدكتور ، وبين له رغبته بإتمام مشروع زواجنا ، وأن الوقت حان للاقتران ، وسيتحمل المسؤولية خلال هذا العام .. واستأجر لي شقة في حي بهية ، وأخذنا بالإعداد ليوم الفرح والزفاف وكان زواجنا في أكتوبر عام ١٩٦٣ .

كانت حفلة كبيرة مشهودة في قاعة نادي الكبار في الحي ، غرق الضيوف بالشراب والطعام والرقص حتى الثانية فجرا ، وبعد انتهاء الحفل الكبير حملتنا سيارة إلى شقتنا يا إدريس ونحن في حالة يرثى لها من الشراب ، ولما انصرف المرافقون وأغلقنا الباب على أنفسنا كنا في غاية الإنهاك والنعس ، وذهبنا في عناق طويل لم نستيقظ منه إلا عند العاشرة صباحا ، وبدأت حياتي الزوجية ، ولم أتمكن من الدخول الشرعي إلا بعد ثلاث ليال من الزواج ، كنت مرعوبا من الحياة الجنسية ، ومضى الأسبوع الأول ونحن في غاية الحب والسعادة ،كانت فتاتي رائعة ،

اعتقدت تلك الأيام أنني أسعد الخلق بهذه المرأة .. والزواج رائع يا سيد إدريس خاصة إذا كان عن حب صادق ! كان حبي لنبيلة صادقا وكبيرا ـ رحمها الله ـ قدم لنا الأهل والأصدقاء التهاني وتمنيات الحياة السعيدة ، وقدم بعض الزملاء والزميلات التهاني لنا عن أنفسهم وعن طلبة الكلية أو معارفنا من الكليات الأخرى .. توقفنا عن الدراسة مدة أسبوع واحد فقط ، ثم عدنا للدراسة ونحن نرفل بالحيوية والشباب ، واحتفلنا مع الأصدقاء في مطاعم الجامعة .

قلت لك تأخر دخولي على فتاتي بضعة أيام ورغم ذلك لم تحاول الضغط عليّ كان الأمر طبيعيا كانت سعيدة بي وقلقة عليّ من الناحية النفسية عندما فشلت في أول الزواج حتى أني خشيت أن أذهب للطبيب النفسي .. وأدركت فتاتي أنها الفتاة الأولى في حياتي ، وليس لدي تجارب جنسية كما يفعل بعض المترفين ، حتى أن بعضهم يسافر أوروبا لمثل هذه التجارب .. وكانت مسرورة من ذلك .. فكنت أرى حبها العميق في عينيها وابتسامتها ..وأنا كنت مغرما بها إلى حد لا يوصف ..فكل من زارنا أو رآنا علم كم من السعادة تغمرنا وتحيط بنا خلال الأسبوعين الأولين من حياتنا الزوجية .. لم نكن نعلم ما يخبئ لنا القدر ، وما يدبر لنا أهل الشر والحسد ، لم أفكر بعداوة أحد لنا لأننا لم نعاد أحدا .

أمضينا الأسبوع الثاني من زواجنا في زيارات اجتماعية بين أهلي وأهلها ، فكنا ندعى لتناول العشاء بمناسبة الزواج .

كنت أمتلك الكثير من الصور الفوتوغرافية لفتاتي وحبيبتي نبيلة ..صور في النزهات في الحدائق في الجامعة ، صورها مع أفراد أسرتها مع أسرتي مع طلبة الجامعة .. صور لها في ثياب البحر على أطراف المسبح داخل الماء.

بعد زواجنا بأكثر من أسبوعين ، قل عشرين يوما التقيت بالمهندس مراد زملينا في الكلية في ساحة من ساحات الكلية بناء على طلبه ورغبته لأمر خاص ومهم ، فقبلت وبعد السلام ومقدمات لم أفهم منها شيئا عن النصيحة والشرف والحقيقة .. قال : لم يعد يسمح لي ضميري بالصمت يا سيف.

ـ لم أفهم سبب كل هذا الكلام !

ـ كان يجب أن أقول لك هذا الأمر قبل زواجك من السيدة نبيلة .

ـ ماذا كنت تريد أن تقول؟!

ـ أقول إنها سلمت نفسها لغيرك ..لم تأخذها عذراء يا سيف.

ـ نبيلة!

ـ نعم ، نبيلة .

ـ كيف ؟..كانت عذراء!

ـ خداع .. زواجك العاجل لم يتح لي الفرصة لأكشف لك ذلك .

لما رأى صمتي ودهشتي وحيرتي تابع فقال : امرأتك رأيت لها صورة عارية مجردة من الثياب كل الثياب .. وقال مالك الصورة وهو يكشفها لي إحدى زميلاتك

ـ صورة عارية لنبيلة مجردة من الثياب .. من هو الشاب ؟!

ـ نعم ، الصورة ليست معي .. إنها معه هو ليس أحد الطلاب .. كان اللقاء في مقهى أنا رأيت صورة واحدة فقط ؛ ولكنها لنبيلة خالد .. والرجل يرغب برؤياك ليبيعك الصورة .. نعم يريد أن يبيعها لك .. طلب مني عرض ذلك عليك

ـ لا تعرف من هو؟

ـ رتب لي أحد الأصدقاء لقاء معه .. ليصرف عني ما شاع عن تعلقي بها كما تعلم

ـ كيف سأقابله ؟!

ـ في المقهى اليوم الساعة الخامسة عصرا أو مغربا .. فالأفضل أن تحصل على الصورة حتى لا تنتشر بين الزملاء .

ـ أين؟!

ـ في المقهى الكوكب الذهبي في مركز المدينة .

ـ كيف سأعرفه؟

ـ هو سيتعرف عليك ، ستجد الرجل ، وهو سيعرفك على نفسه، ويطلعك على الصورة .. ودبر أمرك معه .. أنا مجرد مرسال .. بريد بينكم .. هو فعل ذلك معتقدا أنني ما زلت أهوى السيدة ..وأنا أكدت لك صرف نظري عنها ما دامت زوجة لك .

افترقنا وأنا في غاية الذهول من صدق خبريته .. وأنا لا أصدق أن تتصور الفتاة مجردة من الثياب ..وأن تمارس الجنس مع أحدهم ؛ ولكن قصة زواجي والعجلة فيها جعلت القلق يدب في نفسي .. صممت على الذهاب للمقهى ، ومتابعة الموضوع قبل الحديث مع نبيلة .. هل زنت نبيلة قبل الزواج ؟! لا أصدق ذاك ؛ ولكنه غير مستعبد في بيئة فاسدة يا إدريس .. هي لم تتحدث يوما عن علاقة خاطئة مع أحدهم .. وليلة الزفاف كانت بكرا عذراء مع أن الأمر لا يهمني .. كل أخواتي تزوجن بدون عذرية كما أعلم .. وقعن في مشاكل قبل زواجهن ما عدا السيدة مريم ؛ إنما الذي أزعجني أكثر الصورة العارية .. لماذا تتصور فتاتي عارية بدون لباس ؟ ولمن تفعل ذلك؟ لم تكن مستهترة خالعة في الجامعة .. كانت من أكثر الفتيات تبرجا وسفورا ومرحا ، لم تكن خليعة .. لما تخلع ثيابها أمام مصور ؟ رأيت الأمر كبيرا مزعجا .. أنا أعرف عشقها للصور الفوتوغرافية .. أما التصور بدون لباس فهذا جنون وفحش .. نحن نعشق الصور والتصوير .. هل أنا غطاء لأمر أكبر وفاحش ؟ لم أرجع إلى البيت رغم أن فتاتي كانت مريضة وغادرت الكلية مبكرا .. تناولت الغداء في قلب المدينة ..وذهبت في المساء إلى المقهى بعد أن تعرفت عليه ودخلته قبل الذهاب للقاء صاحب مراد المشفق عليه ، ويعرف شهوته ورغبته في زوجتي قبل زواجنا .. أنا أدرك حقد مراد ؛ ولكن بعد الزواج ظننت أن الأمر خفت ، وانتهى بعد زواجنا ، وبعد ذلك اللقاء الحاد بيني وبينه .. والمساء أو الليل يهبط مبكرا في فصل الشتاء .. وجلست تقريبا في المكان الذي تعرفه ؛ المقهى جدد كما قلت لك ؛ ولكنها نفس المساحة .. وبعد طول انتظار جاء رجل بلحية قصيرة سوداء وشارب أسود ضخم ؛ كأنه ممثل في سينما أو على خشبة مسرح ، وكان يلبس قبعة كالتي يلبسها الأجانب

وبذلة سوداء .

وقال لي: أأنت المهندس سيف ؟

ـ نعم ، لعلك ذلك الرجل !

ـ نعم ، أنا الرجل المقصود ، أنا أملك صورة مثيرة لزوجتك .. لست المصور لها ، أنا وسيط بينك وبين المصور .. أعيش على فضائح الناس والعائلات.

لزمت الصمت ، وكنت أحدق فيه باحتقار وذهول ، وتابع كلامه الأحمق : كان عليّ أن أصل إليك وبيعك الصورة قبل زواجك ؛ لتكون المساومة أفضل يا سيد سيف حاكم وردة ؛ لكن كل تأخيرة فيها خيرة .. وليست زوجتك أول فتاة تصور مجردة من ملابسها الداخلية فكثير من طالبات الجامعة لهن لدينا صور مثيرة .. هذا مصدر دخل للمصور وللصياد وللبائع مثلي أنا لا يمكن أن أقول لك من صور الصورة ، ومن استدرج الفتاة ؟ وهل تصورتها بإرادتها ؟ لأني لا أعرف إلا أن أقابل من تهمه الصورة فقط ؛ لكن زملاء لكم يساعدون في ذلك ...

ـ مراد منهم؟

ـ ليس منهم يا سيد سيف .. نعرف أن مرادا كان مهتما بزوجتك قبل الزواج ، وتنكد من زواجك منها .. وهو صراحة يكرهك ويغار منك ؛ ولكنه لم يشارك في قضية الصورة .. لا أدري هل أقام علاقة خاصة مع زوجتك أم لا ؟!

أخرج الرجل صورة ملونة ، وقدمها لسيف وهمس قائلا : أليست هذه حرمك المصون ؟

أخذت الصورة ، كانت لها ، كانت كما ولدتها أمها يا إدريس .. صورة قبيحة فعلا يا سيد .. وتساءلت بسخط وغضب : أهي لها حقا ؟!

ـ أنت لا تعرف البنات .. أنت رجل مسكين يا سيف ! مغفل بصراحة .. كلمات الحب تطربك ..كل البنات في الجامعة يفعلن ذلك .

ـ كل البنات!

ـ طبعا إلا القليل .. فلوس تدفع لهن مقابل هذه الصور.

ـ نبيلة تريد فلوسا !

ـ ربما تصور للابتزاز والنيل منها مقابل إعادة الصورة لها .. اغتصاب وتهديد .. المتاجرة بالأجساد شائعة اليوم.. انظر إلى الصورة جيدا .

نظرت إليها جيدا ،كانت صورة نبيلة خالد فتاة أحلامي وسألت نفسي : لماذا تتصور هذه الصورة ؟! وسمعته يقول : كم تدفع ثمنا لها؟

ـ ومن يضمن لي أنك لا تملك غيرها ؟!

ـ أنا أضمن لك ذلك ؛ لأني سأعطيك الصورة والفِلم أو قل مقطع الفِلم المسودة حيث المكان الذي عليه الصورة .

ـ أهذه نبيلة خالد زوجتي أم خدعة ؟!

ـ ولماذا أخدعك ؟ مراد لما عرف أنها صورتها حاول شراءها ؛ ليضغط عليها بالصورة ويتخذها عشيقة .. فأقنعته أن أبيعها لك وينسى أمرها

فقد أمست زوجة .

ـ وكيف تعرفها أنت ؟

ـ أنا لا أعرفها شخصيا .. أنا الوسيط بينك وبين خصومك.

اشتريت الصورة والنكتف (صورة سالبة) يا إدريس بعشرين دينارا ، وغادرت المقهى وأنا لا أرى النور وأردد زوجتي تتصور عارية .. لماذا فعلت ذلك ؟! لماذا لم تخبرني عن ذلك الطيش قبل الزواج ؟! كان طعم الخداع مرا في فمي .. كانت صورة لها حقا .. حسمت أمري معها وأنا أغادر المقهى .. وأدركت أنني ضحية لمكرها وخبثها .. ولم أكن الرجل الوحيد في حياتها لو كانت محبة صادقة ما تصورت هذه الصورة القبيحة .. ما تعرت أمام رجل ومصور .. لماذا تزوجتني؟! هل حقا كان هناك رجل يرغب بالزواج منها ؟! هل حقا سيصير والدها وزيرا ؟! ذهبت بي الظنون والهموم والأفكار السيئة إلى أقصاها .. ذهبت للخمارة وشربت وشربت حتى انتصف الليل .. الخمر مباحة عندنا ؛ لكني لم أكن أكثر منها إلا في المناسبات والظروف

القاسية .. العائلة كلها تتعاطى الخمر كالماء في البيت .. ربما في الأسبوع أتناول كأسا صغيرا .. لم ننظر إليها أنها حرام ..هكذا تعلمنا ..كان الشاي مشروبي المفضل والمغرم به .

فتحت الباب وهي نصف نائمة ، وكانت تتثاءب : أين كنت ؟ تأخرت يا حياتي .

دخلت والتعب ظاهر عليّ والسكر بين ، فقالت وهي تجلس : سكران يا سيف أكنت في حفلة ؟ راحتك شديدة .

ـ مررت على الخمارة وشربت كأسا .

ـ أنت شربت زجاجة.. أتريد العشاء ؟ أنت مرهق .. وتأخرت كثيرا ألسنا في شهر العسل ؟!

ـ العسل ..كنت في مشكلة صغيرة كبيرة لا أدري !

جلسنا في الصالة وقالت : مشكلة .. ما هي؟ أنت لست طبيعيا يا سيف الحبيب ؟!

تنهدت بعمق وقلت : أتسمحين لي بسؤال ؟

قالت بانزعاج: تفضل

قلت بدون حياء : هل عمرك نمت مع رجل غيري ؟

نظرت إليّ مصعوقة وقالت : لعلك سكران أكثر من اللازم !.. شربت كثيرا الليلة .

قلت بعصبية : أجيبي على سؤالي .

ـ سؤال مزعج ! وهل قال لك أحد إني نمت معه ؟!

أخرجت الصورة ، وقلت : أهذه صورتك ؟

مسكت الصورة ، وحدقت بها وقالت : كأنها صورتي!

ـ كأنها صورتك أم صورتي !

ـ لا أذكر يوما أني تجردت من ثيابي لأتصور مثل هذه الصورة الفاضحة .. ولماذا أتصور؟ وأكشف عورتي لمصور .

قلت بقسوة وغل : الزانية لا يهمها .

صاحت وقد طار النوم عن وجهها : لا تقل ذلك يا سيف.. أنت أعرف الناس بي .. والله ما

تعريت إلا لك .. هذه الصورة لا أدري كيف أخذت لي ؟ لا أنكر أنها صورتي ؛ لكن كيف صورتها لا أدري ! .. الوجه في الصورة لي .. ما القصة يا سيد سيف ؟!

وقصصت عليها لقاء مراد والمقهى والمعلومات التي تجمعت لدي فقالت : شاب يصور بنات الجامعة عاريات .. الأمر غامض وكبير ..وهل الجامعة دار دعارة يا سيف ؟ لا أنكر أن هناك بعض الساقطات والساقطين يلهثون وراء الشهوات والفجور ؛ إنما هم قلة .. هناك مكر .. هناك خداع يا سيف .. هذه الصورة أول مرة أراها .. وما زلت حائرة بطريقة تصويرها .. أين الرجل الذي شاركني الفراش؟ ولماذا صورني ما دمت خليلته ؟! وأنا صدقا لا أعلم أين صورت هذه الصورة ؟ أنت الرجل الوحيد يا سيف الذي شاركني الفراش .. هذا مكر .. صحيح لي أصدقاء في النادي والمسبح والجامعة ؛ لكن لم أصبح عشيقة لأحد .. وأنت الحب الوحيد لي .. وصبرت سنتين حتى أسمع هذه الكلمة منك .. وكان أمامي الكثير من الشبان هل سمعت قبل أن أرتبط بك بمغامرة لي ؟

ـ الصورة!

ـ نعم ، الصورة لا أذكر أني تعرضت لتخدير واغتصاب .. لقد كنت عذراء ليلة الدخلة يا سيف !

ـ الصورة!

ـ لماذا أخونك يا سيف ؟! هل تراني غانية وبنت هوى ؟! لماذا أزني ؟! لماذا أتصور عارية ؟! هناك مكر .. لي سنوات أحبك .

ـ قبل الزواج

ـ لم يحصل ذلك.. أنا عذراء كما تعلم !

ـ كيف صورت؟!

ـ لست أدري ؟

ـ هي صورتك .

ـ لا أنكر أنها صورتي ..لا أدري كيف صورت ؟!

ـ ما العمل ؟!

لما رأيتها لم تكذب بأن الصورة لها ؛ ولكنها لا تعرف كيف صورت ؟ وأين ومتى ؟ وقع في قلبي أنها تخدعني ، وأنها اتخذتني تغطية لفحشها وشهواتها وفجورها .. كيف تكون بريئة ؟! فالصورة لها كيف صورت ولا تعلم ؟ هي تعلم ولا تريد الاعتراف ؛ لأنها لا تستطيع نفي الصورة عنها.. قضينا ليلة سيئة من حياتنا.. حاولت بكل قوة وحيلة معرفة كيف وصلت الصورة لهؤلاء الشياطين ؟ وكيف تعرت أمامهم للتصوير ؟! ولماذا قبلت أن تصور ؟ ولم أستطع أن أصدق أنها لم تفعل شيئا قبيحا .

وقالت : افرض أني مارست الجنس مع أحدهم قبل الزواج أهذا يهمك ؟

ـ طبعا يهمني .. أنا رجل أغار وأحب طهارة زوجتي.

قالت باستسلام : حقك ذلك ..وأقسم لك إنني لم أقدم جسدي لأحد غيرك حتى قبل أن أتعرف عليك .. أنا سلمت نفسي لك وحدك .. هل رأيتني حاولت إغرائك وممارسة الجنس معك ؟

ـ معي لم تفعلي ؛ ولكن هذه الصورة كيف وصلت لهؤلاء الرجال ؟ كيف عرف مراد اللعين بأمرها ليخبرني بها ؟.. ولماذا تعجلنا بالزواج قبل التخرج كما كنا مخططين ؟

ـ أنا لا أعرف كيف حصلت هذه الصورة ؟! ولا أذكر أني فقدت وعيي في حفلة في مناسبة .. لا أتهور في السكر والعربدة .. ولا أتأخر في العودة للبيت إذا شاركت في مناسبة .. وكنت أحدثك عن كل تلك السهرات والحفلات .. وأغلب الفتيات اللواتي يقبلن التصوير عاريات يكن ذلك بإرادتهن يا سيف .. والفتاة التي تقدم بدنها للزناة فلا يهمها صورة عارية .. وأنا لم أعرف الزنا رغم أنه غير محرم في تقاليد الحي .. ولا أنفي وجود خيانات زوجية من كلا الطرفين ، وقد يحدث الطلاق بسبب ذلك وينتهي الموضوع .. وأكثر الخائنات تعلم أن زوجها يخونها فتفعل مثله .

ـ لقد أحببتك من أعماق القلب يا نبيلة ..كنت أجمل شيء في حياتي الماضية وفي الجامعة ؛ ولكن بعد هذه الصورة القبيحة لا أعتقد أني أستطيع الحياة معك ، وتحت سقف واحد ، لو رأيتك تتحدثين مع أي رجل سيقع في قلبي أن خيانة ترتب ، حتى لو تبادلت معه النظرات سيقتلني الشك والريب ، لقد دمرت حياتي

ـ عليك أن تصدق يا سيدي أني طاهرة لك وحدك .. لم تحصل مني أي خيانة .. وأنا على استعداد إلى قطع كل معرفة مع أي رجل ؛ لتطمئن أنك الرجل الوحيد الذي يحق له أن يمتلكني .. هناك مكر كبير يا سيف!

صحت بجنون : مكر .. الصورة مكر .. كيف صوروك؟! أنا أرى أن مكرك ظهر ..وأنني مغفل ..

ـ لا تقل ذلك يا سيف .. أنت تظلمني بهذا الاعتقاد .. وحقق العدو مبتغاه من إظهار هذه الصورة .

ـ ولكنها صورتك صورتك يا سيدتي .. وتزعمين أنك تجهلين طريقة تصويرها .. أيصدق هذا ؟!

ـ لو لم أكن أحبك يا سيف وأريدك ما تعجلت بالزواج منك .. ولقبلت بقريبي الدكتور غريب .. والعجلة بالزواج لأن والدي سيصير وزيرا .. وسوف ترى ذلك .. وخشيت أمي وأنا أن يفرق بيننا هذا المنصب .

ـ الخيانة صعبة ومؤلمة على شخص مسكين مثلي يا نبيلة! إنها صعبة على نفسي وروحي .. عذاب سيسلط علينا ..علينا أن ننفصل بهدوء ، ونعلن أي حجة أمام الناس .. لا يجب أن يعرف بأمر الصورة أحد

ـ تريد الطلاق

ـ الأفضل لنا ..لا أستطيع أن أعيش سعيدا معك .. وبيننا هذه الصورة .. عندما أشرب شيئا سيقع في خلدي أن به مخدرا ما أو منوما ، إن تعبت وتوعكت سأظن الظنون فيك يا سيدتي ..

ألا تذكرين مكان هذه الصورة ؟!

ـ لا أذكر ، لا أعرف متى وأين صورت هذه الصورة القذرة التي جعلتني في نظرك مومسا ؟ هل تعرف أنت ؟

ـ أنا! كيف سأعرف وأنا اليوم عرفت بأمرها وقابلت من باعني إياها ؟ لم أستطع معرفة مكان التصوير .. عليك أن تعودي لبيت أهلك لنرتب أمر الطلاق .

ـ لا حل عندك غير هذا ..افرض أني غلطت وتصورت هذا الصورة بإرادتي وطلبت العفو .

ـ الشك الشك .. أنت تنكرين فعلتك يا نبيلة .. والصورة هذه تقول إنك تصورت .. الشك سيدفعني للجنون .. كنت سعيدا بك كل هذه السنوات .. وأنا لا أرى لي فيك شريكا شريكا في جسدك .. إذا صورة تزعمين أنك لا تعرفين كيف لقطت لك ؟ فكيف إذا فعلت أكبر من ذلك .. كيف سأصدق أنك لم تفعليه ؟!

بكت كثيرا وفعلت أنا مثلها ؛ لكن لم تعد الدموع تحل ما بي من غضب ويأس، وحسمت أمري لا نساء بعد اليوم في حياتي ،ولن أقبل أن أعيش دابة ولي زوجة ينزو عليها الذكور ، حاولت ثنيي عن الطلاق في الصباح .. ورفضت الحياة معها بعد رؤية الصورة الخلاعية .. وأنا خشيت ما وراء الصورة .. وبعد يومين قابلت والدها وقال: لماذا تريد الطلاق وقد قبلت أن تكون لها زوج وتعجلت الأمر قبل التخرج ؟

أخرجت الصورة وقلت وأنا ادفعها إليه: هذه السبب يا سيدي!

أمسك بها مطلعا وقال: ابنتي هذه!!

ـ نعم، ابنتك .. واعترفت بأنها لها ؛ لكنها تزعم أنها لا تعرفت كيف ومتى وأين صورت ؟

ـ الصورة صورتها ولماذا تتصور عارية ؟!لماذا ؟!

ـ لا أدري يا سيدي الدكتور !

ـ كيف حصلت عليها ؟

ـ عصابة تغرر بالبنات وبيع صورهن لمن يهمه الأمر !

وأقسمت البنت أمام والدها وأمها إنها لا تذكر كيف حصل الأمر معها ؟ ولا تذكر أنها تعرضت لتخدير في بيت في سهرة ..ودافعت عن نفسها وأنها تعرضت لخدعة وشيطنة ، ثم وافق الأب على طلاقنا بدون شوشرة .. وخلال أيام كان كل واحد منا يملك شهادة طلاق شرعية .. فصدم والدي للأمر وغضب عليّ ، فذكرت له مضطرا أمر الصورة فسكت .. وظل غاضبا عليّ حتى تخرجت من الكلية ، وأنا في حالة نفسية صعبة ، ثم عادت الأمور إلى ما كانت عليه قبل الزواج .. وانتهى أمر نبيلة في حياة الأسرة .. والكل كان مصدوما من قصة الصورة .

وبعد التخرج تزوجت نبيلة من قريب والدها الدكتور غريب ، وكان والدها قد أخبره بقصة الصورة ، وأنها سبب انفصالها عني ، وأن البنت تعرضت لحيلة ماكرة .. وللسخرية دعوني لحضور حفل زفافها.

وعملت في شركة ، ثم انتقلت للعمل في مصنع دواء لخالي كنائب مدير ومهندس صيانة .. كنت مهندس ماكينات وآلات .. ومضت الأيام رتيبة وبدون زواج .. كل النساء نبيلة خالد ورفضت تجربة الزواج بكل قوة وإصرار .. وما زالت الصورة الغادرة أمام عيناي .



الحياة بعد الطلاق

تزوجت فتاتي من قريبها غريب ، وأصبح والدها وزيرا ، ورفضت كل زواج عرض عليّ سواء عن طريق والدي أو أمي أو أخواتي .. أصبحت كل النساء خائنات في نظري ، إذا الفتاة التي أخلصت لها تخونني وتتصور عارية .. ولما طلقت نبيلة هجرت الشقة المستأجرة ، وعدت لغرفتي في قصر والدي .. ولما استلمت العمل في مصنع الخال محمود وابنه ياسر أعطاني والدي قطعة أرض مجاورة لقصر الوالد ، وأخذت ببناء قصري الذي تعرفه ، وأغلقت بابي بوجهك ..وفي أقل من سنة كمل البناء ، وأخذت بتأثيثه .. كانت أمي تدعمني ، وكذلك أبي على أمل أن أتزوج مرة أخرى .. وانتقلت للحياة فيه بعد التأثيث ، وأغلقت أمامهم الرغبة باقتناء امرأة فيه .. ورفضت كل استعطافات أمي ، ولم أقتنع أن النساء ليس كلهن نبيلة .. أصبحت لديّ عقدة سوداء نحو النساء عامة ..كل ابتسامة أراها بين فتاة أو امرأة ورجل يخطر في بالي الفحش والزنا بين الطرفين ، وأن تلك الابتسامة أو الحوار ترتيب لأمر سيء .. كره شديد نحوهن .. وكنت في فترة أغضب وأصرخ وأثور إذا تحدث أحدهم عن زواجي .. أصبحت النساء فاجرات في عقلي غير صالحات لحياة صالحة .. وما زال الشعور الذميم لليوم في قلبي .. عرض عليّ أبي العلاج النفسي ، ولم أقبل أحببت حياتي التي أنا عليها وأنا حر فيها .

وقبل أن أضيف ما تبقى من معلومات أقول إن السيدة نبيلة انتهت من حياتي كجسم ، وما زال جرحها في قلبي ينزف لم يمت .. ولم يحدث بيننا أي اتصال .. تزوجت كما قلت لك وعلمت أنها ولدت أكثر من مرة .. وأصبح والدها وزيرا للصحة العامة فعلا كما أخبرت ؛ ولكنه هلك قبل أن يكمل عامه الأول في الحكومة ..كان يحضر مؤتمرا طبيا إقليميا على ما أذكر وتعرض لحادث سير مروع أدى إلى وفاته في المستشفى ، وعاد للبيت في تابوت الموت رحمه الله .

كنت أغضب وأتضايق جدا عندما يقال أمامي خبرا عن نبيلة من قبل أمي أو أخواتي ؛ وربما أثور وأصرخ فيهنّ ؛ ولكننا ما زلنا سكان حي واحد .. رغم زواجها استقرت زوجة فيه ،

شيد لها والدها وزوجها قصرا أو فيلا كبيرة أيضا .. وهي عملت في شركة هندسية منذ تخرجت .

بعدما استقر عملي الوظيفي في المصنع أخذت حياتي بالرتابة والروتين .. دوام من الصباح حتى العصر ، وأحيانا في الليل لتصليح آلة متعطلة أو تركيب آلة جديدة أو متطورة أو صيانة خط إنتاج أو إضافة خط إنتاج ، لم أكن اجتماعيا مع عمال ورجال المصنع .. عمل فقط علاقات عامة مع الإدارة والشركات ..لم أكوّن أي صداقة خاصة مع شخص أو أشخاص في الداخل والخارج .. وعلاقاتي مع معارفي القدامى ضعفت وتلاشت مع مرور الوقت .. العزلة هوايتي .. أحببت الكتب ؛ ربما بقيت هذه الهواية القراءة ، وأحيانا التلفزيون في البرامج الثقافية والحوارية .. كان لديّ خادم فليبيني يقوم على خدمتي وتنظيف ورعاية البيت .. سعت بعض فتيات المصنع صيدي وتكوين صداقات معي طمعا ؛ ربما بالزواج من حضرتي .. وكلهن اعتبرهن نسخة عن نبيلة الفتاة التي أحببتها بصدق وشرف .. ولم تكن في نظري بعد تلك الصورة الماجنة شريفة ولا عفيفة .. وحاولت بعضهن إقناعي أن النساء لسن نسخة واحدة ..سعى ابن خالي مدير المصنع الدكتور الصيدلي ياسر تزويجي من شقيقة له .. فذكرت له ضعفي النفسي والجنسي وعدم صلاحيتي للنساء ، ولم تعد لديّ طاقة لمعاشرتهن .. مع مرور الوقت قلّ اهتمام الأهل والأقارب بزواجي من جديد .. ويعجبون من صبري عن النساء .. وشاع أن طبيعتي ماتت .. وأني معقد ومريض ، وبعضهم يقسو ويصفني بالغبي والمجنون.

ثم تعلقت فترة بالسفر إلى مدن العالم السياحية ، زرت إيطاليا وأمضيت فيها شهرا ، ولم أقع في الزنا ، وهو شائع دون عقبات حقيقية أوروبا إباحية ، وتجد فيها أحياء وقرى للبغاء والجنس وللشواذ كما في فرنسا وكندا ، زرت إسبانيا وغرناطة فاس ومراكش لندن وبرلين تونس اليابان ايران .. بعض مدن الهند ، ثم مللت السفر والسياحة ، وعدت للسكون .. في آواخر عام ١٩٧٥ماتت والدتي وهي حزينة كما قالت عند الموت لأنني لم أتزوج لأنجب من يحمل اسمي .. حاول أخي أمير تزويجي بعد هذا الأسف من طبيبة تعمل معه في المستشفى ..

واستغل مأساتها وترملها لأقبل بها .. وكدت ألين ، ثم نفرت فجأة من الزواج والنساء والخضوع لامرأة ، وذكرت نبيلة التي حسبتها أشرف أنثى تتصور مجردة من الثياب ؛ كأنها بائعة هوى أو مومس تعمل في حانة أمريكية.

وقدر الله بعد موت الأم بشهور وفاة أخي الكبير حازم الطبيب ، فقد كان يعاني من مرض عضال ، وترك زوجة وولدا ذكرا وبنتين .. وبعدهم بسنوات لحق بهم أبي وترك أرملة شابة لعوب ، كادت تهلك العائلة والأسرة بكثرة مطالبها ، وتستولي على أموال العائلة ؛ لكن طلقها أبي فجأة متهما إياها بالتزوير .. وحصلنا على ميراث كبير .

وبعد وفاة أبي بسنتين عام ١٩٨٥ تركت العمل في المصنع ، وقبعت في بيتي لم أعد بحاجة للعمل والراتب .. وغرقت أكثر في الكتب والفكر والتاريخ والروايات الغامضة .. وتابعت فترة المسلسلات التلفزيونية ، ثم هجرتها أصبحت مملة ومسخرة ومكررة .. ومات خادمي الآسيوي وتكفلت بنقل جثمانه للفلبين .. واستعنت بخادمة قريبة عرفني بها أثناء حياته .. فلما مات رغبت بالعمل في بيتي .. ورغم كرهي للنساء كما تعلم وعزوفي كل هذه السنين عن الزواج والحياة مع امرأة قبلت هذه الخادمة .. وهي التي فتحت لك الباب .. وهي رغم صغر حجمها تقترب من الستين سنة .

ألفت بعض الكتب في الهندسة والصيانة بحكم عملي في المصنع وللفنيين معنا ، ثم قبلت نشرها كذكرى وليست تجارة ، وهي خمسة مؤلفات حول كهرباء المصانع وخطوط الإنتاج ، وبعد تقاعدي واستقالتي تعرفت على فتاة شابة ؛ كأنها في الخامسة والعشرين زاعمة أنها تحب أن تستفيد من تجربتي في العمل بمصنع الدواء ؛ لأنها تحمل نفس تخصصي في هندسة المصانع والميكانيك ،وأن ابن خالي ياسر أرسلها لتتعلم مني ، وتكسب خبرتي ولو بشكل نظري وحوارات ، وتحولت الدروس والخبرات عن الزواج والحياة الزوجية ، وأنها تتمنى أن تكون زوجة لرجل مثلي ، ولو كان كبيرا ، فتنبهت لمكرها وطلبت منها عدم العودة للبيت ؛ ولتفكر برجل من سنها، وعاد الهدوء للبيت ولنفسي بعد طردها .. اليوم البنات تطارد الشباب في كل

الأماكن لم يعد الأمر مقصورا على الجامعات.

لما تركت المصنع رفضت العمل في أي مكان آخر.. أعطيت نفسي التقاعد دون مقابل .. حصلت على ضماني دفعة واحد ؛ لأنني لم أكمل سنوات الاشتراك معهم .. ولي تقاعد من نقابة المهندسين ؛ ولكني حولته لجمعية خيرية .. وكنت أحيانا أضطر للذهاب لمصنع الدكتور ياسر للمساعدة في صيانة ماكينة أو مشكلة فنية .. أمارس السهر لساعات طويلة ؛ ربما أسمع آذان الفجر من جوامع الحي قبل النوم .. أحب السهر ، وأنام في مطلع النهار .. ألفت بعض الكتب الثقافية ؛ لكني لم أطبعها سأعرضها عليك ، وأكلفك بطباعتها بعد موتي .. وأدع لك مالا لتنفيذ ذلك .. واعلم أنني أعاني من مشكل في القلب والأوعية الدموية وعانيت أعراض الجلطة القلبية ؛ ولكن الله سلم ، وما زلت أعاني ، ولست آسفا على هذه الحياة .

والآن أتحدث عن الرسالة التي سمحت لك بقراءتها قبل زوال عام ١٩٩٤. سمعت بموت السيدة نبيلة بمرض السرطان المعروف اليوم للناس ، علمت بموتها في نفس اليوم الذي دفنت فيه من إحدى أخواتي القاطنات في هذا الحي حي بهية والتي كانت على علاقة معها بسبب المجاورة في الحي .. حتى فكرت بحضور جنازتها ؛ ولكني ضعفت وجبنت على فعل ذلك مع أني شاركت بجنازة والدها عندما أتوا بجثته من حيث مات .. وحتى العزاء لم أذهب إليه مع أخي أمير أو مع أخواتي ، لم تطاوعني نفسي على فعله ، رفضت مرافقتهم ، ثم انتهى أمرها عندي ، وللحق كثر طيفها تلك الأيام ، وعادت بي الذكريات إلى الجامعة إلى أول يوم تقابلنا فيه .. وسعادتها باعترافي بحبها حتى وصلت للصورة اللعينة الصورة التي دمرت حياتي وكياني يا إدريس .. بكيتها بحرارة بحرقة .. نعم بكيت .. وصرت أتخيل حياتها قبل الجامعة التي حدثتني عنها وحبها لقراءة الروايات العاطفية والغرامية .. وحبها لحياة مثل تلك الحكايات .. وأنني أحد أبطال قصصها .. ثم تذكرت حياتها مع غريب وصبرها على فجوره الذي شاع في الحي .. عشت أياما مع تلك الذكريات والمشاهد والمواقف .. قد تعجب إذا قلت لك تلك الأيام لم أستطع فتح التلفزيون ، لم استطع قراءة كتاب.. وفكرت بالموت

القريب منا .. وأهمس وأنا أتمشى في حجرات القصر .. لقد ماتت الحبيبة الأولى والأخيرة في حياتي .. ماتت سألحق بها قريبا .. وعدت أتسأل كما تسألت خلال هذه السنين هل ظلمتها بطلاقي ؟ كيف صورت تلك الصورة اللعينة ؟! أيعقل أن تخضع فتاة لمثل ذلك المشهد دون علمها ؟! وهي كانت تنفي بقوة تعرضها للتخدير والاحتيال .. كانت سيرتها طيبة يا إدريس في الحي.. لم أسمع قصة سوء عنها ، لم أسمع إشاعة أنها تخون زوجها رغم ما عرف عنه من فساد وفجور .. أتخيل ذاك الرجل البائع للصورة ، وأتذكر المهندس مرادا وإظهار شفقته عليّ واضطراره كشف الأمر لي زاعما حزنه على الخداع الذي تعرضت له من الزواج من نبيلة .. صدقت أنها خدعتني ليلة الدخلة في مسالة غشاء البكارة لما نسمع من مكر بعض الأطباء وتزوير مثل ذلك .. لم أعرف اسم رجل المقهى .. كانت لهفتي فقط إلى رؤية الصورة التي تحدث عنها مراد .. لم أسأله من أنت ؟ الغضب والقهر يغمران قلبي تلك اللحظات.. ظهرت بالمغفل وتسرع بالزواج ليستر على فضيحة ؛ ولكن لو أراه سأعرفه يا أستاذ إدريس .

أعترف أمامك أن موتها هزّني جدا ، أنا صحيح منذ تركتها لم يحدث بيننا لقاء ، لكن صدف أن تلاقت عيونا في مناسبة اضطر أن أكون فيها كعزاء كعرس أبناء أخواتي ، لم يحدث بيننا كلام ولم أنس طيفها فهي المرأة الوحيدة في دنياي ، ونحن أبناء سن واحدة كما تعلم ، ودرسنا في كلية واحدة .. أرعبني موتها مع أني عرفت الموت بموت أمي وأخي ، ثم أبي وبعض الأقارب وأبناء الأخوات ؛ لكن موتها جعلني أفكر بالموت ونهاية الحياة .. موت نبيلة دفعني أن أقرأ في القرآن الكريم ، نحن مسلمون بالاسم .. كان أبي متمردا على الإسلام أو قل لا يعرفه سوى معرفة سطحية تقليدية .. لم يكن يعرف الصلاة .. رمضان كغيره من الأيام ، لم نمارس الصوم كل الأسرة .. أمي في آخر أيامها علمت أنها صارت تصلي ؛ وربما تصوم .. قرأت بعض أجزاء المصحف تلك الأيام .. لقد فكرت بالصلاة والذهاب للمسجد ، ثم نكست .. كنت أتخيل جسد حبيبتي المسجى وهم يصلون عليه ، وأقول هل عرفت نبيلة الصلاة يوما ؟ هي مريضة من سنوات .. حي بهية فيه مسجدان مسجد قديم بقدم الحي ، ومسجد بني من عهد

قريب ربما من خمس أو ست سنوات .. لقد خيم الموت على نفسي أكثر من اللازم .. صدق تأثرت بموتها أكثر من وفاة أمي وأخي وأبي وخالي والد ياسر .. لا أدري السبب الحقيقي لهذا التأثر .. أخذت أفكر بالحياة التي بعد الموت.. وهل حقا هناك عذاب في الحفرة التي يدفن فيها الإنسان أم هي خزعبلات وتهويمات يتسلى بها الشيوخ ؟! تمنيت أن أصلي ولكني لا أعرف شيئا .. ومع الوقت وفي أقل من شهر ذهب الحزن والخوف والذكريات ، عاد الهدوء النفسي لنفسي ، وذهبت أيام نبيلة الحلوة من حياتي رويدا رويدا.

عدت أتفرج على التلفزيون ، أقرأ الصحف والمجلات التي تعودت على قراءتها، ومع ذلك لم أنس ليلة قررت طلاقها يا إدريس كانت مصدومة ومذهولة من الصورة .. وكيف وصلت لي ؟ وكيف صورت ؟ لم تعترف لم أعرف كم تركت من الذرية إلا عند موتها ؟ عرفت أن لها ولدا واحدا فقط ، وابنتين ؛ ربما مات لها أطفال صغار .. وبينما أنا على هذا الحال وصلتني الرسالة التي تطلب مني مسامحتها على الآلام التي سببتها لي وحرماني من الزواج والذرية .. وكررت التأكيد أنها لم تخنّي يوما ، وأن الصورة أخذت لها بطريقة ماكرة وغامضة ، وتطلب مني مقابلة بائع الصورة ؛ لعل ضميره استيقظ بعد كل هذه السنين .. وأنها سامحتني وأن لا دخل لها في عقدتي نحو النساء .. قرأت الرسالة مرات ومرات ووقع في قلبي أنها صادقة وبريئة .. وقلت لولا أنها بريئة ما عادت تقسم هذا القسم .. أنا ابتعت الصورة لأنها الحقيقة الثابتة .. ولم أسع للتفاصيل ، لقد أعمى الغضب والصدمة هذه النفس .. وماذا يهم من معرفة المصور ومكان التصوير في تلك اللحظة ؟ المهم أنها قبلت التصوير بهذه الطريقة الوقحة .. وأعطيت الصورة ومقطع الفلم لوالدها ليلة تحدثنا عن الطلاق وسببه ؛ وربما افترضت ليلة ابتعت الصورة أن نبيلة تعرف كل هذه التفاصيل .. فلماذا أسمعها من الرجل والذي اعتقدت أنه مجرد بائع ؟ .. لم تعترف بمكان التقاط الصورة ، ولا بوقت وقوع الجريمة .. وبعد تردد طويل وتفكير بضعة أيام قررت أن أعود للماضي إلى الوراء إلى تلك الأيام التعيسة السوداء في حياتي .. أعود لمقهى الكوكب الذهبي كوكب الصورة عسى اللقاء بذلك البائع .. ذاك الرجل

البريد ، ومعرفة المزيد من المعلومات عن الجريمة والخيانة.

كنت في المقهى كما تعلم في مطلع هذا العام طامعا بلقاء ذلك السيد الذي قابلته قبل ثلاثين سنة ، الذي اشتريت منه صورة من كانت زوجتي بعشرين دينار ، باحثا عن الرجل الذي شارك بتدمير حياتي .. صورة دمرت حب سنوات الجامعة ..إنها تطلب مني وهي تموت أن أعرف الحقيقة ، وأعرف أنها بريئة ؛ لكن الصورة حقيقة ، ولم تنكر أنها صورتها ، فهي كانت تمني النفس أن تعرف كيف خدعت ؟ لتصور بعريها .. ومن الذي أجرم بحقها ؟ كيف حصل الخداع والمكر ؟ أنكرنا أن تكون الصورة مركبة من قبل مصور محترف .. فخبير تصوير يدرك التركيب .. إنها صورة حقيقية لها بدون ملابسها .. لم تكن الصورة داخل غرفة استحمام لأنها كانت مستلقية على أرض ما .. فكرنا أن تكون صورة أخذت عند مسبح وجرى التركيب .. لكنها صورة لها أخذت مرة واحدة .. كما كان ذلك واضحا في التصوير .. وأمر الخدع في التصوير وارد ..إنه عمل أفلام وسينمات .. واليوم التلفزيونات بالممثل البديل .

لم يكن المهم عندي الصورة نفسها .. المهم ما وراء الصورة من زنا وإباحية.. ذهبت إلى ذلك وما أنا إلا غطاء وستار .

الفتاة تريد أن أصدق أنها لا علم بطريقة الحصول على الصورة كيف صورت مجردة من الثياب؟! .. بكت وبكيت يا إدريس تلك الليلة ؛ لكني اتخذت القرار .. وكان في نظري السليم والأفضل لنا .. الشك والوسواس مرض مرعب ومزعج ، فوجدت أن أبحث لعلي أجد هذا البائع وأضغط على ضميره بعد كل هذه السنين ؛ لعله يكشف الخدعة التي تعتقدها نبيلة .. هذا سبب وجودي في مقهى الكوكب البحث عن سيد رأيته قبل ثلاثين عاما في جلسة دقيقة وصعبة من حياتي .. فكرت أن لمراد صديقنا في الجامعة يدا ؛ ولكن بعد طول نظر قلت إن السيد كان دوره إرشادي للمقهى فقط .. ولا أراه رأى الصورة ؛ إنما قابله البائع وذكره بهواه لنبيلة ، وأن هناك فرصة للتفريق بيننا ، وطلب منه أن تكون المقابلة في المقهى ..لأني التقيت به بعد سنين ، وأنكر رؤيته للصورة شخصيا ؛ إنما حدث عنها وانتهى الكلام ..

خلاف المرة الاولى زعم أنه رأى الصورة .. وهو قد طاردها سنتين دون أن يظفر منها بشيء.. ولو عبثيا وحقدا هو شارك بتدمير حياتي .

ذهبت للمقهى وتقابلنا أنا وأنت ، أنا وجودي على أمل مشاهدة الرجل بين رواد المقهى ، والتعرف عليه بعد كل هذه السنين ، مجرد أمل .. أنا لم أذهب للبحث عن صحفي .. تعجبت من اهتمامك الزائد بي ، فلم أطمع بالتعرف عليك ولا على غيرك .. مجرد جلوس بضع ساعات في المقهى على أمل رؤية الخصم .. أنا رأيته مرة واحدة مكثنا ربما ربع ساعة .. فعلا غمرني العجب من متابعتك لي .. فأنت لا تعرف لماذا أنا هنا ؟! لا شك أنك لا معرفة لك بذاك الشيطان .. وعجبت حقيقة من فضولك ، ولكن لما عرفت متأخرا أنك صحفي بررت هذا الفضول لم هو مشهور عن فضول أهل الصحافة ودس أنوفهم في كل شيء .. قلت هذا الرجل لا أتصور أن له علاقة بذاك الرجل .. ودهشت كثيرا من مطاردتك لي ، ومعرفة المزيد عني .. فأخذتها تسلية ، ورفضت طبيعتي أي تقرب مني .. أنا لا أحب الأصدقاء .. هذا أمر مات عندي يا إدريس !

رتبت ـ كما تعلم ـ جلوسي في أول الأمر ما بين العصر والمغرب ، ثم فترة صباحية فيما بعد ، لم أرتب نفسي لتكوين صدقات مع رواد المقهى .. أربكتني حقا يا إدريس أتسأل ماذا يريد هذا الرجل مني ومن تعقبي هنا وعند المطعم؟! وهذا المطعم كان مطعمي المفضل أيام العمل في المصنع .. وعندما أكون في قلب المدينة واحتاج للطعام .. وأفضله على مطاعم حي بهية والعرب .. وقد كنت أدعو بعض الناس إليه ، عند الاضطرار لدعوة أحد المهندسين أو الضيوف خلال سنوات المصنع .. فظل مطعمي المفضل.. كنت أرغب أن تبتعد عني .. وعجبت لإصرارك على الاحتكاك بي .. نعم ، رغبت أن تبتعد وتدعني وشأني ..كنت ترغب في الثرثرة معي غصبا عني .. وكانت مطاردتك لي محل استغراب ودهشة .. حقيقة كنت لا أحب تكوين أي علاقة معك .. ودهشت جدا لما رأيتك أمام بوابة بيتي ..ولماذا تسعى للوصول للبيت ؟! وأعتقد أنك استعنت بشخص لما رأيت إصراري على عدم تعريفك على

مكان سكني .. هذا مجرد عناد وردة فعل وتسلية أيضا ، قالت لي الخادمة : رجل أول مرة أراه يطلب الحديث معك .. ولم أكن على موعد مع أحد ..لا يأتيني أحد بدون ترتيب يا إدريس .. صعقت عندما رأيتك ، فكانت ردة الفعل إغلاق الباب بوجهك محتجا على تدخلك بالقوة في حياتي وترددك على الحي حتى أن صاحب إحدى البقالات أخبرني أنك تسأل عني عن أسرتي وتفاجأت بزيارتك لي في المستشفى ..كنت لا تطاق ، ولا أعرف الغاية من كل هذه المطاردة والتعقب .. وكنت أفكر أن أسألك عن كل هذه المطاردة ، ثم أضعف خشية تطور الحوار والاتصال .. ولكنك في النهاية انتصرت يا إدريس واستسلمت لصداقتك .. وعسى أن تكون نعم الصديق وأنا في آخر العمر .. ها أنا فتحت لك خزائني وأسراري !



بعد مضي أكثر من نصف سنة على أول نظرة كانت بين سيف الدين وإدريس أصبح إدريس ملما بتفاصيل كثيرة عن حياة سيف .. وقرأ المذكرات والصفحات التي كتبها عن حياته .. وكان لقاؤهما الليلة في بيت إدريس لمناقشة المذكرات والقصة ..كانت لقاءاتهما في الفترة الماضية في المقاهي العامة أو في مطعم سيف المفضل .. وبعد تردد سلم سيف بزيارة بيت إدريس ، وإن الكلام من الأفضل أن يكون في داخل البيوت .. وبعد تقديم المشروب المفضل لكليهما الشاي الساخن ، ووضع أمامهما أطباق الفاكهة جلس الرجل يتحاوران .

قال إدريس : قرأت قصة حياتك أكثر من مرة .. أنت جئت المقهى لهدف وحيد ، وهو مقابلة بائع الصورة آملا بصحوة ضميره بعد هذه السنين بإضافة معلومات تساعد أو تبين وتؤكد براءة السيدة نبيلة من الزنا ومعرفة قصة تصويرها عارية .

ـ نعم ، هذا ما تطلبه الرسالة لأتأكد أنها مظلومة ، وتعرضت لكيد كبير

ـ أنت لم تفكر قبل رسالة الوداع والمسامحة التي جاءتك من السيدة بمقابلة الخصوم .

ـ نعم ، لم أفكر ؛ لأن الأمر انتهى تلك الليلة ، أصبح تاريخا يا صديقي ..

وما الفائدة ؟! لكنها رغبة امرأة تموت أو ماتت.. أنا بعد حدوث المأساة الكبرى في حياتي لم أعد أفكر بمراد أو برجل المقهى ؛ لأن الصورة لها ، ولا أعتقد أن الشيطان إذا كان هناك شيطان قام بتصويرها.

ـ شيطان الإنس فعل ذلك لوجود الصورة كحقيقة بينة .. هي تجهل كيف حصل ذلك ، وتنكر بشدة .. وأقسمت لك ولأهلها أنها ما فعلت ذلك!

ـ أنا لم أفكر كثيرا بسبب مصارحة مراد لي بتلك البلية ؛ لأني كنت أكرهه بشدة .. ولماذا تحدث عن ذلك بعد زواجنا ؟! لكن باختصار هو رجل حاقد .. اعتقد أني انتصرت عليه بزواجنا مع أنه قضى سنتين بمطاردتها ومحاولة صيدها .. وله قصص مخزية مع البنات .. وأنا متأكد لو صاحبها ونال حاجته منها لهجرها كما فعل مع الأخريات .. كان سيئا مع بنات الجامعة ؛ ولكنه كان صادقا بأمر الصورة .. ولا أدري هل شاهدها بأم عينه كما زعم في الأول أم حدث عنها؟!

قال إدريس : الرجل قصده واضح ، كان مغرما بها ومشتهيا لها ، وطاردها حتى يأس .. وقد يكون ناقما عليها حانقا ؛ لأنها فضلتك عليه ، وارتبطت بك دونه .. وهو جون دوان الكلية كما فهمت منك .. فالغرور مشكلة كبيرة عندما يتلبس الشخص .. وظلت تصده ولا تعيره اهتماما فجن جنونه .. ورأى أنها بعد إشهار الخطبة أنها ستكون زوجة شرعية .. خطط لتلك الصورة والحادثة ليدمر زواجك .. وهو الخبير بشخصيتك وطباعك خلال سنوات الدراسة خطط للانتقام وتدمير حياتها وحياتك ؛ لأنها اختارتك دونه .. الحقد مدمر ترتكب بسببه حروب دموية .. وإن غلفت بأمور أخرى لخداع الناس والأتباع .. الحقد أسود يا مهندس سيف .. لكن الأمر الغامض كيف تمكن هو أو غيره من تصويرها دون علمها ؟ وهي تنكر بشدة تعرضها للتخدير .. لو اعترفت بأنها خدعت وخدرت انكشف الأمر ؟ وما علينا إلا أن نعرف من قام بتخديرها .. هل غرر بها واستطاع تخديرها وصورها ليبتزها كما يحصل من

مجرمين العصر ؟ .. أما رجل المقهى فهو مجرد بائع أو مثل دور بائع مقابل مبلغ من المال .. هذا العمل يحتاج إلى ماكر أو أكثر .. فرجل لا دور له في عملية التصوير .. هل يعرفه مراد أم دل عليه ورتب له الأمر ؟ أي أن مرادا نفذ تعليمات معينة .

ـ تحليلك جيد ، وقريب من المنطق كما يقال .. وأنا السيد لم أره إلا مرة بعد إنهاء الجامعة .. ولم ندخل في تفاصيل الطلاق والصورة .. لم يكن هناك دافع لذلك .. هو مجرد بريد مراسل في ظني .. ولا أعتقد أنه قام بالتصوير وإلا أدركت نبيلة ذلك .. ولم ترافقه بجلسة خاصة .. لقاءات الكلية للسلام وتبادل التحية .. هما كانا في نفس القسم الهندسي الهندسة الكيمائية .. أما أنا فكنت في الهندسة الميكانيكية ؛ لكن تجمعنا كلية واحدة وجامعة واحدة .. وعلمت أنه عمل في الخليج العربي في شركات نفط .

ـ ونستطيع الحصول على مكان عمله من نقابة المهندسين وجمعية المهندسين يا مهندس سيف لكن صفة اللقاء به ما هي ؟ وهل سيتكلم بكيف عرف بقصة الصورة بعد ثلاثين سنة ؟!

ـ لم أفكر بمعرفة دوره في التصوير واللعبة ؛ لأن الصورة يومئذ حسمت الموقف ..كان عليّ أن أعرف من الرجل البائع .. أنا شعرت أن مرادا يمثل دورا معي .. استغل لنقل رسالة الصورة وأنا يومئذ كان يهمني مشاهدة الصورة .. من طلب منه بيعي الصورة ؟ !ربما حلم مراد بالزواج منها بعد طلاقي لها نتيجة الفضيحة ..وهذا كان صعبا يا إدريس حتى لو كان مهندسا فوالدها أرستقراطي رغم فتح مجال الحرية لبناته ، فلا أعتقد أن يزوجها لشاب أدنى اجتماعيا منه إلا اذا هربت وتزوجت سرا .. فهذا كان يراعى في الحي .. وسمعت منها مثل هذا الكلام قبل انفصالنا .. هو أي مراد لم يذكر أنه رأى الصورة صراحة زعم أنه سمع عنها فهمت أنه رأها ، وأنه ينصح لي موهما إياي أن وراء الصورة أفعالا قبيحة لنبيلة ، وأنه مشفق عليّ ، وأن ضميره لا يسمح له بالصمت ، وأن بائع الصورة طلب منه أن يجتمع بي في ذلك المقهى ، رغم جو الجامعة المعروف لك من ناحية الانفتاح الكامل بين الجنسين ، وكثرة العلاقات الجنسية الخاطئة .. الصورة كانت مملوكة لرجل المقهى فلو التقيت به وذكرته بها ؛

ربما يتذكرني ؛ وربما لا .. هذه سنون طويلة .. وبعدها نستطيع أن نتكلم مع مراد في القصة وحجم دوره ؛ لأنني لما رأيت الصورة توقعت أن تعترف نبيلة بالطريقة والوقت الذي حدث فيه هذا القبح .. أنا صدمت من رفضها الاعتراف .. ووقع في قلبي أنها تكذب وأن القسم كذب ،كما يفعل الكثير من الناس اليوم لم تعد للأيمان أهمية للأسف .. ولكن اليوم أجزم أنها صادقة ، وإلا ما اهتمت بالأمر وكتابة تلك الرسالة لنبش الماضي وهي تموت .

قال إدريس : نعم ، هي حزينة من أجلك ، وإنك تركت النساء بسبب تلك الزيجة ، وإنك تعيش بدون ذرية ، وإنها لا تتحمل سبب ذلك .. وفي الرسالة إيحاء معين ، لم أفهمه بعد حقيقة يا مهندس ! يعني ما الفائدة من نبش الماضي بعد هذه السنوات الطوال ؟ وهذا لن يعيدك للوراء ، لماذا لم تكتب لك قبل الموت بسنوات ؟! هذا سؤال .. وهي لا تستطيع أن تنكر أن الصورة لها ما دامت لها .. وهي كانت مذهولة من تصويرها ، وكيف فعل بها ذلك ؟ كيف خلعت ثيابها ـ رحمها الله ـ لتتصور تلك الصورة القبيحة ؟! فعلة تفعلها بنت هوى من أجل حفنة فلوس .. ليس من أجل قضاء شهوة جامحة .. والواقع يدل أنها تعرضت لتخدير أو تنويم ، وجردت من ملابسها بدون أن تحس بذلك .. وأنه فعل بها ذلك من أجل الصورة ، ثم أعادوا إلباسها ثيابها ، وأن ذلك تم في وقت وجيز .. لذلك لم تشعر أنها خدرت أو نومت .

قال سيف : لكنها لا تذكر هذا الوقت وهذا الموقف .. أين تعرضت للتصوير ؟! لا تعرف مكان أخذ الصورة .

ـ لا أعتقد أنها تنام عارية ليؤخذ لها هذا المشهد دون وعيها .

ـ لم تكن الصورة على سرير أو حتى فراش .. كانت على أرض مفروشة بشيء يشبه الموكيت الأرضي أو فراش صالة رياضة .. نبيلة كانت مرحة في الجامعة ، وتشارك في النشاطات المختلفة ، والرحلات العلمية ، والترفيهية .. فلها معارف على مدى الجامعة .. ولم تكن بائعة هوى ؛ ولم تكن متحفظة في اللباس والاختلاط .. وهذا أعتبره امتداد لحياتها في الحي .. فكانت تجلس مع الشباب بثياب قصيرة للغاية.. الموضة .. تلبس ملابس السباحة أمام

الشباب دون خجل .. وتتصور بذلك معهم .. ولما تصادقنا لم يتغير ذلك كثيرا ، ولم أعترض على لباسها وتبرجها ومكياجها .. وكانت ترفض أي صداقة غرامية.. فبعضهم انصرف سريعا ، وبعضهم كمراد ظل لديه أمل حتى مع شيوع قصة تعلقنا ببعض .. فهو ربما اعتبره كعلاقته مع الفتيات والطالبات .. كنت أغار ليس بغيرة أهل البادية والقرى أو الشيوخ .. لم يكن للدين أي دور في حياتنا .

ـ نعم ، أعرف هذا الواقع في مثل حياة هذه الطبقة الغنية ، والتقيت بشخصيات خلال سنوات العمل لها مثل هذه الصفات ، نحن أبناء مثل هذه الأحياء ـ حي الشاعر ـ كنا في تلك الحقبة نستهجن ذلك التقليد الكامل للحضارة الغربية ، والطبيعة الممجدة للحرية الشخصية ، ولو على حساب الأخلاف والتقاليد الإسلامية .

قال سيف : أنا يا سيد إدريس لو اعتقدت فقط أنها مجرد صورة لما طلقتها .. أنا اعتقدت أن وراء الصورة دعارة .. وزواجي العاجل تغطية لهذا الانحراف ، وأنه يجري من ورائي أشياء قذرة .. عندما ترى صورة لفتاة تظنها أشرف فتاة ، فسيذهب ذهنك إلى أكبر من ذلك .. تلك الأيام لم تكن أشرطة الفيديو معروفة أو موجودة .. تصوير فلم سينمائي يحتاج لمصور بارع ومكان للتصوير عدا الديكورات .. فكانت الصورة الفوتوغرافية الأسهل لابتزاز الفتيات وإجبارهن على ممارسة البغاء والزنا ..كانت الصورة الماجنة وسيلة ابتزاز وصيد منتشرة .. عرض الأفخاذ والظهر والبطن لم يكن ممنوعا في حي كحي بهيه وأشباهه .. فالمسابح المختلطة متوفرة في النوادي والمدن الرياضية والمسابقات .. فذلك تراه بدون جهد .. أما العري تماما فكان خفيا ..كان الأهل في مثل حينا يسمحون للبنات بمصاحبة الفتيان واللعب معهم ، وإقامة علاقة عاطفية بينهم ؛ لكن يحذرونهم من علاقات جنسية كاملة لما يترتب عليها من مشاكل كبرى من ذهاب البكارة والإجهاض والحمل خارج عقد الزواج ..والبعض يتهور وتحدث قضايا أخلاقية تحتاج لترقيع ، ولم يكن الزواج الحل فهم مراهقون لا يتحملون مسؤولية وطلبة مدارس .. فيسافرون لأوروبا للإجهاض ؛ لأن قوانينا تمنع ذلك .. وإذا غامر

طبيب يجري ذلك في عيادة خاصة ليس في مشفى .. وقد يتقبل الحي الخيانة الزوجية ؛ لأن الرجل هو خائن كزوجته .. كان الرجال يتقبلونها أو يحصل الطلاق بدون شوشرة .. والموضوع سريع النسيان في الحي لكثرة تكرار ذلك يا سيد إدريس .. أنا كما كتبت كنت أتقبل سفور وتبرج نبيلة .. ولم أكن مستعدا ؛ لأن أكون خنزيرا وغاضا الطرف عن دعارة .. كان البعض يغض الطرف عن الزوجة باسم المدنية والتقليد الأعمى للغرب .. والنساء في حينا بنات ذوات ، ويملكن المال وشريكات لأزواجهن في المصانع والشركات والتجارة .. وإن لم تكن شريكة يكون أبوها أخوها قريبها شريك الزوج أو والد الزوج .. فالزوج يسكت ويخضع للواقع ..

وبعد صمت للحظات تابع : هل من طريقة لديك للوصول لذاك الرجل رجل المقهى ؟ فهذا سبب ترددي على مقهى الكوكب الذهبي كل هذه الشهور ؛ ولكني لم اصدفه .. صدفتك أنت يا صديقي الجديد !

ـ رجل يقوم بعمل مريب لا أعتقد أن يكون من زبائن هذا المقهى ؛ لكنه يعرفه .. إنما هو مسرح لتسليم الصورة ؛ لأنه إذا كان فيه ذرة عقل سيبتعد خشية أن تعود إليه لأي سبب .. واختاره ـ والله اعلم ـ لأنه لا يتردد عليه واللقاء كان بينكم قبل ثلاثين سنة هل ما زال حيا أم مات ؟! أكان من جيلنا ؟

ـ أظن ذلك ، كان في العشرينات مثلنا ، حتى وقع في قلبي عندما رأيته بأنه أحد طلبة الكلية متنكرا ..كانت له لحية سوداء قصيرة ، وشارب سميك ؛ كأنها أدوات تنكر .. وقلت لنفسي : من حقه أن يفعل ذلك ؛ لأنه يرتكب جريمة .. أنا يومها كنت مهتما بالحصول على الصورة .

ـ أيكون مراد متنكرا ؟!

قال بحزم : لا أعتقد ذلك ، مراد أعرفه جيدا ، نتقابل في قاعات ومطاعم الجامعة ، وكان المهندس مراد سمينا أكثر من الرجل الذي قابلته .. ربما من طلبة الكلية أو مستجدا ..كنت في السنة الخامسة ، وعادة طلبة التخرج لا يبدون اهتماما بالطلبة الجدد ؛ لأن الوقت قد حان

للابتعاد .. فنختصر مصاحبة المستجدين.

ـ أنت تنفي أن يكون لمراد دور أكبر من توصيل خبر الصورة لك .

ـ من كلامه أنه مجرد رسول .. رجل المقهى لم أره مرة أخرى ، حتى لو خلع اللحية المزيفة لعرفته يا إدريس .

ـ اختيار هذا المقهى بالذات له سبب .. فالمدينة مليئة بالمقاهي ، هل لمراد علاقة بالمقهى ؟

تريث قليلا ثم قال : لا أعتقد .. فمراد كانت ضمن الطلبة الشيوعيين ، كان ملحدا ؛ وربما هوى وشهوة .. فكنت أراه كثيرا مع طلبة اليسار ، وأقطاب الحركة الشيوعية في الجامعة .. ولم أعرف عنه أنه رجل مقاهي إلا إذا كان للشيوعيين مقاهي خاصة .

ـ المقهى لم يكن محسوبا على الشيوعين ؛ لكن في نفس الشارع كان مقهى لهم اسمه مقهى العمال .

ـ لم أعرف عنه كما قلت رجل مقاهي .. عرفت أنه طاردها كثيرا وخاب في صيدها .. ولا أعتقد أنه استسلم لخطبتنا ؛ ولكن صعب الأمر عليه .. وهو من المتأثرين كما قلت بالحركة الماركسية التي كانت تملأ الدنيا في عقد الستينيات ..كان كما تذكر المد الشيوعي قويا ومنتشرا في كل بلدان العام بدعم الاتحاد السوفيتي الذي نراه اليوم ذاويا مفككا .. وأولئك الشبان لحقوا بالأحزاب تلك لأهداف شتى ، ومنها الإباحية الجنسية للأفكار التي تروج عن شيوعية النساء .. وتجد بعض النساء متأثرات بهذا الجنون ، فسقطن في الرذيلة باسم الشيوعية والعقدة الجنسية والكبت الجنسي.

ـ أعرف ذلك عمليا ونظريا ، ما هو أنا ابن تلك العقود السوداء .. والتقيت بالكثير من الرفاق كما يحبون أن يسموا أنفسهم.

نهض إدريس ، وأعد القهوة من جديد ، ولما سكبها في الأكواب سمع المهندس يسأله: كيف ستساعدني في لقاء رجل المقهى؟

ـ بالتأكيد سوف أساعدك ، قضيت شهورا لأعرف حكايتك ، وأسمع القصة التي لم تخطر

على البال !

ـ أنت لم تعمل وحدك وبمفردك .

ابتسم وقال معترفا : ساعدني أحدهم ، كنت أنا مكشوفا لك ، ولم أفلح بمعرفة بيتك لأسأل عنك ، فاستعنت بشخص صديق بذلك ونجح .. وهو زميل قديم ، وظلت صداقتنا قائمة بعد تقاعدنا الوظيفي.

ـ هل ستعرفني عليه؟

ـ هو يحب ذلك ، وإذا أحببت أن نشركه معنا في معرفة الحقيقة والمؤامرة فذلك خير .. فالقضية ليست سهلة بعد كل هذه السنوات .. فالبحث عن س أو ص محتاج لجهد وفكر .

ـ الرياضيات سين مجهول ، وصاد مجهول فالبائع مجهول والمصور مجهول

ـ المجاهيل كثيرة في قضيتنا .. فصاحبي هو الذي جمع المعلومات الأولية عنك ، وعرف زواجك من ابنة الوزير ؛ ولكنها عند الزواج لم تكن ابنة وزير بعد ، ولما طلقت كذلك .. لم يكن والدها وزر بعد ، لم نعرف في البداية من الوزير ؟ لأنه لم يطل مقامه في الوزارة قد مات ـ رحمه الله ـ أنا وصاحبي عملنا في وزارة الصحة بعد دراسة الجامعة بكالوريوس صحة عامة وغذاء ـ ثم انتقلنا للعمل في صحة بلدية المدينة كمفتشين صحة ورقابة على المواد الغذائية والمحلات والمطاعم .. وظللنا في تلك الدائرة حتى بلغنا سن التقاعد الوظيفي .

ـ على كل حال إن كنت ترى حاجتنا إليه ، فأشركه في أمرنا .. القصة كلها بين يديك .. ليست بالحكاية السرية التي تتطلب الإخفاء .. والمرأة صاحبة الصورة ماتت ـ رحمها الله ـ وأنا كما قلت لك لم أكن أنظر إلى أهمية معرفة كيف صورت وأين ؟ ما دامت الصورة لها .. وأنا رغبت بتنفيذ رغبتها .. وأنا أسامحها أمامك ؛ ولكني حقيقة تعقدت من النساء بسببها.. فإذا هذه التي وثقت بها وأحببتها من كل قلبي تتعرى لغيري .. فكنت مصدوما غير مصدق للخيانة ..إنما الصورة تقول صدّق يا سيف فصدقت .

أفكار

عند انتصاف الليل غادر سيف الدين منزل صديقه الجديد ؛ وربما الوحيد هذه الأيام ، وكانت المرة الأولى التي يدخل فيها بيت السيد إدريس ، وركب سيارته عائدا لحي بهية حيث يسكن في قصره الذي بناه في منتصف الستينيات .. وبدا أنه ارتاح نفسيا لما أشرك إدريس في قضيته القديمة الجديدة .. وقد يكون كما أخبر أنه منذ ترك العمل في المصنع لم يسهر خارج البيت وهو في البلد أي إذا لم يكن مسافرا ..وكان يهمس لنفسه : هل السيد مراد يعرف أكثر مما قال لي عن تلك الصورة ؟! هل الحل عند مراد كما يقول إدريس ؟ هو الشخص المعروف في القصة أما رجل المقهى س فيبدو أن الوصول إليه من المستحيلات .. هل يتكلم مراد بعد هذا العمر وبعد موت نبيلة ؟ هل أسعى للقاء به ؟ مَن مِن زملاء الكلية كان الأقرب إليه ؟ كان مراد صديق الجميع .. هو كان مقرب لطلاب الحركة الماركسية .. لم يكن مبرزا في الحركة ؛ ولكنه كان يشارك في نشاطاتهم واحتفالاتهم ، وعرف بذلك .. وإن لم يكن رأسا بينهم ؛ لأنه كان مهووسا في مطاردة البنات .. وكما سمعت اتخذ الشيوعية وسيلة للغراميات ، وعدم وخز الضمير في العلاقات الإباحية الكاملة .. لم يكن نشاطه الحركي كبيرا ومؤثرا .. لم يكن يجاهر بأفكار ستالين ولينين وانجلز .. كانت فتاة تجاريه في هذا الموضوع ؛ لكنها لم تكن تحبه ، ولم تكن له الاحترام ..كانت تراه انتهازيا وشهوانيا صياد فتيات .. كانت سوزان ماركسية حتى النخاع كما يقال .. وكانت تحب العلاقات العاطفية ..وأعتقد أنها أقامت معه علاقات خاصة لا أدري ما اسم عائلتها .. حاولوا إقناعي بحركتهم .. ولما رأوا أني ابن أثرياء انصرفوا عني ولا يطيلون الحديث معي .. سأترك مهمة اللقاء بهم لإدريس .. وسيجد طريقة لسبر أغوارهم.

قبل الواحدة ليلا دخل القصر ، وأدخل السيارة موقفها الخاص ، ودخل الفيلا بمفتاحه ، ثم الحمام ، وذهب إلى المطبخ ، وأخرج بعض الفاكهة ، وعندئذ ظهرت الخادمة تعرض خدمتها ، فشكرها وطلب منها إبريق قهوة ، وغادر المطبخ إلى مكتبه وتمدد على أريكة ، وقال : هل

تستحق نبيلة البحث في حقيقة الصورة ؟ إنها صورة دمرت حياتي وحبي .. وهل بعد عقود ثلاثة أستطيع الوصول للخائن ؟ لم لا تكون الصورة حقيقية فعلا كما هو ظاهر لنا ؟ كيف صورت وهي لا تذكر فعل ذلك ؟! لعلها تعرف ، ولم يكن لديها الشجاعة لتقول وتعترف .. هي تريد أن تقول إني مخطئ في تصديق أمر الصورة ، وأنها خائنة لفراش الزوجية .. رجل المقهى لماذا طلبت مني اللقاء به بعد كل هذه الأعوام ؟! كيف يصور الإنسان بدون علمه ؟ هذه صورة فوتوغرافية خاصة ، ليست صورة في شارع أو مكان كعرس أو حفل .. يقول إدريس : لابد أنها تعرضت للتخدير أو التنويم ، ثم صورت كما تفعل إسرائيل في تجنيد العملاء العرب للعمل ضمن شبكات تتجسس على المناضلين العرب .. يستدرجون الهدف إلى مكان خاص ، ويخدر ويصور بأوضاع مزرية مخزية ..ويهدد بها للخضوع لهم .. ويدرك الشخص أنه تعرض للتخدير .. أما نبيلة فإنها لا تعترف بتعرضها للتخدير .. ولماذا صورت لها هذه الصورة ، ولم تظهر إلا بعد زواجنا ؟ هل سلمت نفسها لرجل قبلي وكنت أنا الغطاء لستر ذلك ؟ وتزوجت من غريب قريب والدها ، ولم يهتم بحادث طلاقنا أو أمر الصورة .. وصدقت فعلا وصار والدها المرحوم خالد وزيرا بعد زواجنا بشهور كما أخبرت .. كانت صادقة لم يكن زواجنا دجلا وكذبا .. لا مجال للندم أيها الإنسان .. آه يا نبيلة ! حتى بعد أن مت عدت لتعذبيني .. اضطررت لكتابة قصة زواجنا ليطلع عليها إدريس معترفا بأسرارنا لماذا لم أسع لمعرفة كيف كان التصوير والخداع ؟ كيف احتالوا للنيل منك ؟ أنا أرى أن الصورة صورت قبل زواجنا .. ربما فعلوها لابتزازك والنيل منك .. لقد كانت من فاتنات الكلية ، وإليك الكثير من العيون ترنو وتهفو .. كان عليّ أن أهتم بأمر الصورة أكثر من ردة الفعل والغضب .. لقد كنت أسمع عن خدع توريط البنات وجرهن لحفلات المجون .. ولم أهتم أو أقتنع بما يشاع .. حيرة حيرة .. هل أخذت الصورة رغم أنفها ودون علمها ؟ كيف كيف كان ذلك ؟ الغيرة هي التي دفعتني للفراق وعدم التهاون .. أنا اعتبرت ليلتها الصورة علامة دعارة وإباحية ، كانت تحبني حقيقة ، ورفضت الكل لتصل إليّ .. وكم كانت سعيدة

لما اعترفت لها بالحب ؟ كانت تستمتع برسائل الحب التي أكتبها لها وتحتفظ بها ، وتكثر من قراءتها .. هل ظلمتك يا نبيلة بالطلاق ؟ ولكنها صورتك أنت .. وأنت اعترفت أن الصورة لك لم أحتمل فكرة أنها امرأة وغير عذراء ؛ لأنني اعتقدت ذلك ، وهي أوحت لي بذلك .. ودخولي الشرعي تأخر لليلة الثالثة ، وكانت عذراء بكرا كما يقولون .. لماذا أثّرت بي تلك الصورة القذرة ، وجعلتني أعتقد أنني ضحية خداع ؟ لقد مكر بي مراد بإيهامي أني مخدوع بفتاتي .. كنت أحمق ، وصدقت كل تلك الإيحاءات ؛ لأنها كانت ملاكا عندي .. فصدمت .. ولم أحسن التفكير ؛ وربما مهارتها في العلاقة الجنسية ، وخاصة بعد فشلي لليلتين بالدخول أوهمني أن لها تجربة .. وهي بررت ذلك بأنها قرأت عن ليلة الزفاف ، والحالة النفسية للزوجين تلك الليلة .. لم تهتم بكلام الفتيات والزوجات .. وهل أحد يقرأ عن ليلة الدخلة ؟ أليست الطبيعة البشرية الفطرة البشرية تمكن الإنسان من عمل ذلك ؟ لماذا تريد نبيلة مني العودة للقاء رجل المقهى بعد كل هذه السنين الطوال ؟!هل تركت شيئا آخر عند أبنائها لي ؟

قام عن الأريكة يتمشى في غرفة المكتب المنزلي ، ودخل غرفة المكتبة المنزلية التي ينفذ إليها من مدخل المكتب .. فهما حجرتان جعل إحداهما مكتبة ، والأخرى مكتبا .. تناول البوم صور خاص بأيام الجامعة .. زملاء الكلية والجامعة ، صور داخل الجامعة .. مناسبات .. رحلات طلابية .. مهرجانات جامعية .. حفلات تخرج .. ندوات .. ذكريات كثيرة .. أخذ أول الأمر ينظر صور نبيلة حيث تعرف عليها في مطلع السنة الأولى وكيف فرح بأنها من سكان الحي ؟ ورأى صور بعض الفتيات اللواتي أعجب بهنّ كزملاء ، كالآنسة سوزان .. ثم خفتت الصداقة بسبب تعلقها بالحركة الشيوعية .. ورغم أنه لم يكن متدينا ، ويبتعد عن الزملاء المتدينين ، وينفر منهم ومن مناقشاتهم ، كان غير محب للإلحاد وإنكار الله .. حاول تذكر أسماء الزملاء في الكلية والجامعة عامة .. لم يكن يكتب على ظهر الصور الأسماء والتواريخ كما يفعل البعض .. بعضهم تذكر اسمه وأكثرهم نسيه .. وبعض الصور يتذكر مواقف معينه بينه وبينهم .. هو لم يكن من عشاق التصوير ؛ ولكنه كان يحرص على امتلاك الصور بشرائها ممن

صورها أو طلب طباعتها من الهواة .

قال وهو يجلس على أريكة المكتب : عليّ الاتصال ببعض الأسماء ، سأجد عناوينهم أو أرقام هواتفهم لدى النقابة .. بيت كل المهندسين حسب الأنظمة .. فكل مهندس عليه أن يحصل على موافقة النقابة قبل مزاولة عمله .. وكل من يسدد اشتراكه يحق له التصويت في انتخابات النقابة والمنافسة .. وأعتقد لو دفعت لإدريس بعض الأسماء سيستطيع الحصول منهم على معلومات تفيد في معرفة تفاصيل المؤامرة .. فالرجل يكتب للمجلات والجرائد ، وله وسائل في التحري والاستقصاء ، لقد استطاع التحري عني ، ومعرفة نصف حياتي .. والرجل مجتهد كما ظهر لحتى الآن ، وهو صديق آخر العمر .. رجل فاضل ، وله ظروف كظروفي .. لم يتزوج بعد ترمله ، ولم يقدر له الإنجاب ، ويعيش وحده كما أعيش أنا .. وسأتعود عليه ، فهو رجل مثقف واجتماعي .. سأتخذه صديقا ، وقد قبل مساعدتي في الوصول لرجل المقهى .. وهل الشيطان مراد ما زال على قيد الحياة ؟ وهل سيعترف بدوره السيء في تدمير حياتي وحياة نبيلة بعد هذا السن ، وبعد موت نبيلة ؟.. أكيد علم بموتها إن لم يكن من زملائنا زملاء تلك الفترة فمن النقابة .. أيعقل أن يصل به الحقد علينا لتدمير زواجنا الصالح ؟ آه الحقد عدو مرعب ! أليس إبليس يدمر الناس منذ بدء الخليقة منذ تم طرده من الرحمة الإلهية ؟ الحقد مرض أسود كان اللعين يشتهيها ، ويمني النفس من النيل منها ألم يتفوه بذلك دون حياء وأي احترام لي ؟ أهؤلاء كانوا يحلمون بحكم العالم والعالم العربي ؟ الحمد لله أن الشيوعية ماتت في بلادها قبل سنوات .. انهارت كلعبة (ليكو) مات الاتحاد السوفيتي الذي أكثر فتكا وخبثا في العالم ، ولقد لعب دورا كبيرا في نشر الفساد والدمار والإلحاد العالمي .. ماذا ستفعل ولو أضفت شيئا جديدا لحياتك ؟ لماذا أردت فتح صفحات الماضي ؟ ماذا سأجني ؟ المسامحة سامحتك يا نبيلة .. سمعت إدريس يقول : إن الرسالة فيها رسالة غامضة وشيئا غير مقابلة رجل المقهى .. ماذا فيها أيها الناس ؟ إنها تقول إنها ليست سبب تحريم الزواج على نفسي ، وترك التفكير بالذرية.. أنا يا نبيلة قمت بمساحتك .. ويومذاك شككت بسوء سيرتك بمجرد رؤية تلك الصورة

القذرة ، ولم يشفع لك حبنا الكبير .. نعم ، كنت مصدومة مثلي .. كنت تغادرين البيت وأنت تأملين أن أنادي عليك في اللحظة الأخيرة كما يحدث في القصص والأفلام .. لكني قد اتخذت القرار وأنا عائد من المقهى ..كنت تتجرعين السم وأنا مثلك .. عروس تطلق في شهر العسل شهر الحياة الجميل .. شهر الأحلام .. كم أنا قاس ؟.. لماذا لم أصبر حتى أتيقن من الفساد ؟!

لما اتصل إدريس بمقر نقابة المهندسين استطاع أخذ عنوان المهندس مراد جميل بيسر وسهولة فعنوانه لم يكن سرا يجب إخفاءه .. وكان قبل ذلك قد راجع دليل الهاتف العام .. وحدد بعض الأرقام التي تحمل اسم مراد جميل ؛ لأن المهندس سيف لا يعرف الاسم الكامل لمراد ؛ فكان لابد من الاستعانة باستعلامات النقابة العامة للمهندسين في المدينة ، ووجد أن حضرة المهندس من الأشخاص المعروفين بالنقابة ، ومثل مجلس النقابة في القوائم اليسارية ، ومثله المهندسة سوزان خرزة.

تحدث متصلا ببيت المهندس مراد ، وردت عليه امرأة أخبرته أنه خارج البيت ، فوعدها بالحديث معه مرة أخرى .

كان الأمر سهلا وميسرا في الوصول للسيد مراد جميل ، وذلك أدهش سيف وقال: عجيب .. الحقيقة أنني لا أشارك في أي نشاط نقابي يا إدريس ! كنت في البداية أسدد اشتراكي الشهري بنفسي ؛ ثم بزملاء المصنع نيابة عني .. ومرات عن طريق حسابهم في البنك .. فالقانون كما تعلم يا صديقي يلزم المهندس الانتماء للنقابة لمزاولة المهنة داخل البلد ، ولا يلزمه الانتخاب والتصويت .. هذا أمر تطوعي .. وأما جمعيات المهندسين المختلفة فيكون الاشتراك فيها اختياريا غير إلزامي ..كل نوع من فروع الهندسة له جمعية خاصة .. ولها فروع شائعة في المدن الكبيرة .. فلا اهتمام لديّ بنشاطات النقابة ، ولا الجمعيات ..كل خريج عليه الحصول على بطاقة نقابية وإلا لا يعتبر مهندسا رسميا .. كما هناك مجلس طبي ونقابة تصرح لهم بالعمل داخل البلد .. أمور تنظيمية .

قال إدريس : هناك نقابات مهنية الاشتراك فيها اختياريا ، ليس إجباريا .. والسيد مراد له

نشاط نقابي وسياسي كما فهمت من ذلك الموظف .. ومثله زميلتك سوزان .

ـ نعم ، هما كانا ضمن الحركة الشيوعية النشطة في تلك الفترة من التاريخ .. وسوزان كانت أنشط منه في تنظيم الندوات والاحتجاجات وإبداء الرأي والنقد .. وبعد التخرج لم أعد أراه وعلمت أنه رحل بكفره للعمل في دول الخليج في شركات النفط .. أنا لم يكن لي أيام الجامعة أي نشاط سياسي أو اجتماعي ، كنت أميل للثقافة والفن أكثر .

ـ سمعتك تقول "عمل في الخليج" ربما كان هذا في زمن معين .

ـ صحيح ، فنحن لنا ثلاثون عاما متخرجون .. هل ستسعى لمقابلته؟

ـ لابد من مقابلته ؛ إنما المهم كيفية جعله يتحدث عن دوره في مقابلة ذلك الرجل .. فهو لن يعترف بسهولة عن أي شيء إذا كان له دور إجرامي في تصوير تلك الصورة .

قال سيف : نعم ، نعم، السيد مراد ماكر ، ومن أخبث الناس .. أنا لولا اهتمامه المبكر بنبيلة لم أهتم به هو مجرد اسم ورفيق جامعة ؛ لكن شغفه بها ، وشغفي بها جعلنا نهتم بأخبار بعض .. وفزت بها برضاها ورغبتها ، ولم أكن أهتم بنشاطه السياسي إلا بشكل عارض .. ولما حصل الطلاق لقيني وتظاهر أنه حزين لأجلي ؛ وزعم أنني تسرعت في الطلاق .. ولم أعر حزنه وشفقته اهتماما والحلول الأخرى ؛ بل لعلمي بهواه ناحيتها قلت مباركة عليك .

فرد بكل شهوانية ووقاحة : ليتها تقبل ، هي الوحيدة التي أعجبت بها ، ولم أظفر منها ولو بقبلة واحدة .. بعدها قلّ الحوار بيننا .. مجرد تحية باليد ، وتخرجنا ، ولم أفكر يوما أن أتصل به أو أهتم بسماع أخباره أو زيارته .. هو مجرد زميل كلية كالكثير غيره .. لم أكن منافسا له على قلب نبيلة .. أنا ملت إليها كما أخبرتك كما فعل هو أو غيرنا ؛ لأن الفتاة كانت ذات جمال أخاذ وفتنة للناظرين .. وهي جاءت للجامعة من بيئة منفتحة على الآخر .. فجلوسها معنا ومع الشباب أمر طبيعي بالنسبة لها .. وليس كل من تعرفت أصبح فارس الأحلام ، وظل الصمت والنظرات بيننا حتى استطعت أن أصارحها بغرامي لها .. فوجدت أن لديها من الهوى مثل ما لديّ .. وكانت تنتظر هذه اللحظة الخطيرة من حياتنا .

ـ أفهم عليك ؛ وربما هو لم يحتك بك إلا بسبب غرامه بالبنت ، وظن أن بينكم أمر ؛ لترفض صداقته ومعاكسته .. هل حدثك عن الشيوعية ؟

ـ أول عهدي بالجامعة كان لي صداقة مع شاب اسمه أحمد ؛ ولكن صداقتنا توقفت بعد حين .. ربما من جانبي ، كان صديقا من نفس الشعبة .. كنا أصدقاء .. وكانت تجري بينه وبين مراد والشيوعيين والملحدين مناقشات حول الفكر الماركسي وانتصار الشيوعية في الحرب الثانية على النازية .. وهم يتناسون أن الرأسمالية شاركت في الحرب الثانية .. واكتسحت فرنسا وأفريقيا واليابان .. تعلم أنه كان هناك تضخيم للدور الروسي في القضاء على هتلر ، وتقسيم ألمانيا وأوروبا .. وكانت سوزان وغيرهم يدخلون في المناقشات ؛ ولكننا لم نقتنع بأفكارهم وأحلامهم سواء مراد أم سوزان أو حتى فواز شاب أكبر منا .. وكان رأس في الحركة اليسارية ويعدونه أحد الرموز في الإلحاد .. وبعد تخرجه اختفى من الجامعة خاصة في السنوات الأخيرة .. ولم أعد أسمع عنه كما كان أيام الجامعة في السنة الأولى والثانية .. آخر ما سمعت أنه غادر للاتحاد السوفيتي .. كان يشارك في تجنيدنا .. كان الشيوعيون في مطلع الخمسينيات والستينيات ذوي همة ونشاط في ساحات الجامعات والبلاد .. وغرر بكثير من الشباب للانضمام للحركة الشيوعية والأحزاب الشيوعية .

قال إدريس : سأسعى لزيارة لحي المهندس مراد ؛ ربما استطعت من جمع معلومات عنه .. وأنا أعرف عددا من الشيوعيين القدامى .. فعليّ أن أسمع أقوالهم في مراد جميل .. يظهر لي أن الرجل لم يكن مشهورا مبرزا خارج الجامعة وحتى داخل الحزب الشيوعي ، رغم نجاحه في بعض دورات النقابة كعضو كما فهمت من موظف النقابة .

ـ أنا أول مرة أسمع عن عضويته في المجلس النقابي ، وإذا حصل سيكون ذلك باسم الكتلة اليسارية .. والحزب الشيوعي أفشل حزب .. واليوم في التسعينيات ظهروا بكل وضوح أنهم أحزاب كرتونية صناعة روسية ، كانوا أدوات للمعسكر الشرقي.

ـ جمعتهم الشهوة للسلطة والشهوات للانحلال.. اليوم نحكم عليهم بدون تردد .. فقد

كانوا سببا في تدمير الأمة .. كانوا دمارا كما رأينا في اليمن العربي حتى الاشتراكية التي زعموا أنها ستحقق العدالة الاجتماعية والرفاهية للشعب العربي فشلت في تحقيق أحلام الفقراء حتى أوروبا كما وضح لنا لم تكن في سعادة ورفاهية وتقدم .. وجدت دول نامية مثلنا .. اعلم يا سيف ما أحببت الشيوعية يوما .. لست متعصبا للدين .. لا ، لا، لم استطع هضمها والتصديق بأحلامها وجنتها الأرضية .. كنت أستغرب من اعتناق بعض الشباب المثقف لأفكارهم وجنونهم .

وقال سيف : وأنا مثلك لم تستهويني فكرة الأحزاب والصراع الطبقي ، وكان يعتبرني البعض أرستقراطيا ابن أثرياء ابن الطبقة الرأسمالية ناهبة أموال الفقراء والعمال .. ثم حدث تعلقي بنبيلة فازددت ابتعادا عن مهاترات السياسة وشهوة الحكم .. وغالب الناس مثلي .

ـ هذا صحيح ، إن الفقراء ماذا سيجنون من الأحزاب ؟ وهمهم تأمين عيش العيال.. والأغنياء معهم المال .. فالاهتمام بالسياسة هو لتحقيق شهوة الوصول لكراسي الحكم والوزارات والجاه عامة .

ـ نعم ، فالغني يرفض الشيوعية ؛ لأنها ستأخذ ثروته وماله وممتلكاته باسم المساواة .. وكان سقوط الشيوعية في أوروبا مدويا .. وظهر أن عمليات الترميم والإصلاح عمليات واهية .. وكانت كثيرة وخفية ، ولم تصمد أمام تقدم التكنولوجيا .. ولم تقدم الشيوعية للعالم إلا القتل والفتك والظلم .. والتقدم لا يحتاج لأحزاب شيوعية سوفيتية ولا صينية .. الصين دولة كبرى يحكمها حزب شيوعي وصولي واقتصادها رأسمالي .. الأحزاب خلقت للحكم والإدارة .

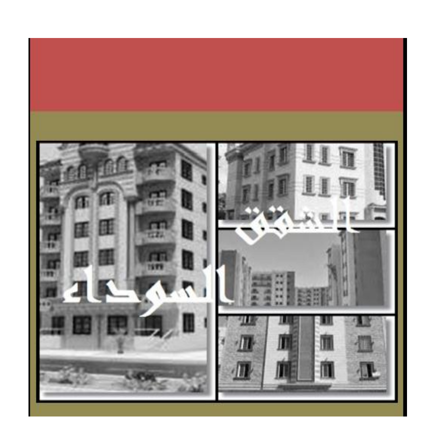
قال إدريس : أنا كتبت عدة مقالات في جريدتنا الأسبوعية الشرق المضيء عن انهيار الشيوعية والسقوط الاشتراكي العالمي ، وزوال جدار برلين ، واختفاء الاتحاد السوفيتي ، وظهور الاتحاد الروسي .. النظام الرأسمالي نظام مرن ومتلون يستطيع أن يتمدد كالمطاط .. يعود للتاريخ والمرحلة الصناعية والشركات الكبرى والمناجم .. وهو غير مرتبط بعقيدة دينية .. والنظام الشيوعي الصارم جرب وفشل .. وهو فاشل من بدايته ؛ ولكن انتصاره على المعسكر

النازي والفاشي رفعا من أسهمه أمام العالم وشعوبه .. ثم انهار كليا، لم يعد يجدي الترقيع .. والصين بلد زراعي في الأصل لم يكن بلد عمال ومصانع ، واستطاع المزواجة بين الزراعة والصناعة ، وترك ماركس ولينين .

ـ الإسلاميون يدندنون حول نظام اقتصادي خاص بهم .

ـ الإسلام لا يمكن أن يكون بديلا عن الرأسمالية في الوقت الحاضر بسبب الضعف العسكري والتشتت .. ويعتمد على مقياس الحلال والحرام في المعاملات التجارية والصناعية .. فالنظام الرأسمالي محمي بنظام عسكري قوي .. والنظام الإسلامي مرن يتأقلم مع أي نظام .. لقد استطاع النظام المالي الإسلامي أن يجد له مقعدا دون الاحتياج للربا ، كما نرى في البنوك الإسلامية ، وتقبلت الشعوب الإسلامية ذلك .. الإسلام يراعي حقوق الفرد ، وحقوق الجماعة والمجتمع .. والتصنيع الإسلامي في بداية الدرب ، وصناعة النفط كبيرة وهامة في بلدان العالم الإسلامي .. وهو معدن مهم لكل الشعوب .. وهذا لا يحتاج لشيوعية ولا رأسمالية .

ـ اليوم يا صديقي النفط عصب الحياة والاقتصاد العالمي.



المقابلة

استطاع إدريس من دفاتره القديمة ـ دفاتر حفظ أرقام الهواتف ـ استخراج أرقام بعض الرجال ، وكتب أربعة أسماء ، وأرقامهم الهاتفية .. فهؤلاء الأربعة كانوا في الحركة الشيوعية العربية ، ومنهم اثنان كانوا يعملون ضمن كادر البلدية للمدينة ، وظلت علاقته بهم حتى بعد تقاعده ، ويصدفهم في شوارع المدينة وأحيائها.

اتصل بالسيد صبحي أحدهم ، فرحب وأبدى ترحابه باللقاء الخاص ، وحدد له صبحي المقهى المناسب ، واليوم المناسب ، ثم اتخذ موعدا مع الزميل الثاني ، ورحب الآخر باستقباله في بيته .. والرجلان الآخران لم يتيسر ردهما ، الأول منهما لم يرد هاتفه ، والثاني وجد فيه أسرة أخرى ؛ كأنه تنازل عن الرقم للساكنين الجدد ، وانتقل لحي آخر .

في البلاد عادة تسمى عادة السؤال عن أهل العريس والعروس ، وقد أشرت إليها سابقا ، وهي عندما يتقدم شاب لطلب يد فتاة مجهول من أهلها ، يأخذون عنوان سكنه أو مكان عمله ليسألوا عنه عن أخلاقه خدمة للفتاة ، وإبراء للذمة ، وأنهم فعلوا ما عليهم من واجب .. فيذهب والد الفتاة أو شقيقها أو قريبها للقيام بهذه المهمة الحساسة ، فيقابل بعض الجيران لبيت الطالب والخاطب ؛ لذلك عندما يسأل شخص عن شخص يقع في قلبه للوهلة الأولى أن الموضوع موضوع زواج .. وقد يكون السؤال أيضا عن أهل وعائلة الخطيبة ؛ لذلك لما جلس إدريس مع صبحي ، وانتهى العناق والترحيب والعتاب .. فهم لم يلتقوا من زمن .. ظن الرجل أن أحد أقارب مراد جميل أو أبنائه يريد خطبة فتاة قريبة لإدريس .. فهو يعلم أن إدريس بدون زوجة أرمل ، وبدون ذرية منذ عقود .. وإدريس يستعمل هذا الأسلوب الإيحائي للحصول على معلومات شخصية .. فبعد أن قدم للموضوع قال : أنا أحب أن أسالك عن المهندس مراد وذريته ؛ لأني علمت أنه من رجال الحركة الشيوعية في الستينيات ، وهو من جيلي كما تعلم ؛ ولكني لم أصطدم به رغم اهتمامي بالحركات السياسية العربية .. قلت لابد أن أجد لدى حضرتك بعض المعرفة عنه .. فأنت الخبير باليساريين صغارهم

وكبارهم .

قال صبحي : شكرا ! وكيف لا أعرفه يا رجل! أنت تهينني .. أنا أعرف كل شيوعي في المدينة وربما في المدن الأخرى حق المعرفة .. وأعرف مع أي جناح هو محسوب .. فالشيوعية أجنحة كما تعلم حسب مصدر الدعم والإمداد .. أنا في الحركة الشيوعية من أيام زمان ؛ لكن معرفتي بالزميل شخصيا محدودة .. هو مهندس كما قلت ، كانت بدايته في الستينيات فعلا ؛ وربما تعرف على الشيوعيين في الثانوية العامة .. كان طلاب أيام زمان يتحمسون للعمل الحزبي والحركي .. واشتد عوده أثناء الجامعة حيث كانت الحركات اليسارية واليمينية ذات قوة وحماس وصراع حاد .. وعرفته في اجتماعات الحزب الشيوعي ، لم يكن بالمميز ، كان يعمل ويوزع البيانات والنشرات من أيام الثانوية ؛ لكنه لم يكن ينافس على الصفوف الأولى .. كان مهتما بالنساء أكثر من الفكر والثورة الأممية العالمية .. ثم سافر في السبعينيات إلى الخليج العربي للعمل في قطاع النفط .. وهناك المال والرأسمالية ، وتخيل انتقال شاب من بيئة شيوعية إلى أكثر البيئات العربية محافظة تلك الزمان .. رحل من بيئة الكفر كما يقول عنا المشايخ الجهال إلى أرض الإيمان والثروات .. ولكنها لا تخلو من العلمانيين والشيوعيين .

ـ آ .. أعرف .. أهو ما زال في الحزب الشيوعي ؟

تريث لحظات وقال : بعدما عاد بعد عشرين سنة أصبح مجرد اسم .. وربما أصبح برجوازيا رأسماليا يا إدريس .

ـ هو ما زال يناضل عن الشيوعية .

ـ لم يعد يناضل ؛ إنما يتفاخر بذلك ؛ لأنه ترعرع ونفش على يد الأفكار الشيوعية ، وتلك المبادئ .. كيف سيدافع عن حق الفقراء والعمال وهو يعيش في الفلل والقصور والسيارات ؟! ما العلاقة بينكم ؟!

كان إدريس يتوقع مثل هذا السؤال في أي لحظة ، فرد دون تردد : ليست بيننا علاقة ؛ لكن أحد الأصدقاء لي سيكون بينهم شيء فأحب أن يتعرف عليه أكثر على أسرته .

ـ آ .. فهمت ؛ ربما تحدث مصاهرة .

ـ تقريبا .. فكلفني بمهمة التعرف عليه من قرب فلجأت إليك لمعرفة المزيد من المعلومات .

قال صبحي : قلت لك في أول الشباب حيث كان طالبا في الجامعة كان نشيطا إلى حد ما ، ثم في النقابة التي تجمع مهندسين البلاد .. وفي منتصف السبعينات سافر للخليج فقل نشاطه الحركي .. ومع موت الشيوعية في أوروبا الشرقية وروسيا ضعفت علاقته بها .. أصبحت مجرد ذكريات .. وقلّ حماسنا جميعا .. نعيش على ذلك التاريخ ؛ بل أخذ البعض يصلي مع حمله تلك الأفكار .. وإذا تحب شيئا خاصا فأنا مستعد للمعاونة .

ـ هل قابلته من زمن حديث ؟

ـ لا ؛ ربما لي عشر سنوات لم أره .. إنما نسمع أخبار بعض عبر لقاءات عابرة ومناسبات اجتماعية أو شيوع خبر مثير أو لقاء في جنازة .. هو ترمل مثلك ، ثم تزوج ثانية .. وسمعت أنها كانت شيوعية مثله ، ولم تتزوج من قبل .. وهو اليوم يسكن في الحي البني.

ـ أنا معي هاتف منزله ، واتصلت بالبيت قبل أن أفطن لك ولم يكن موجودا .. فأنا كما تعلم أخاف من الأحزاب سواء كانت يمينية أم يسارية ، وجع راس واجتماعات وندوات وحلقات العب وحدك تيجي راضي .

قهقهة صبحي وقال : أنا أعرف شعاراتك الجبانة ..وأنا مستعد يا عم إدريس لترتيب لقاء لك معه .. أنا حقا مستعد لذلك .

ـ إذا احتجت لذلك سأسعد برفقتك .. أفهم أنك لا تعلم شيئا مهما في حياة الرجل إلا أنه كان مفتونا بالنساء أكثر من الحزب والأفكار .

ـ نحن مع الوقت نستطيع فهم نفسية الشخص .. هل هو مقتنع بالأفكار أم مجرد ببغاء وله مأرب أخرى ؟ الأيام تكشف المستور .. فكثير ليست لديهم همة للعمل الحزبي .. إنما مجرد عضو وخامل أو لغايات خاصة كالتحرر من قيود العبادة والصوم والمساجد والتقاليد الدينية المعقدة .. وممارسة الزنا دون حرج وضغط ديني وضمير .. قل تمرد على الدين ، وذلك تلك

الأيام العصيبة في تاريخ الأمة أو ردة فعل لسقوط فلسطين والإفلاس العربي .. انتشر زعم أن الدين سبب الهزائم والانتكاسات والنكبات .. وكذلك انتشار الإلحاد في العالم .. حلال حرام غض البصر زنا شذوذ لواط اختلاط كلمات كثيرة يتخلص منها الشيوعي .

ـ أنتم دعاة للإباحية .

ـ الحرية الكاملة للنساء ليست دعوة للإباحية .. لماذا يرتبط الشخص بواحد إلى الأبد التغيير مطلوب ؟

ـ أنت بعدك شيوعي ؟

ـ وسأموت على ذلك .

ـ الاتحاد السوفيتي مات

ـ سوف ينهض من جديد .. وبقوة أكثر من الأول .

ـ لا أعتقد ذلك يا صبحي .. نحن تعلمنا أن من يموت لا يرجع ولو كان حضارة !

بعد جولة للسيد إدريس على بعض عناصر شيوعية عرفها أثناء حياته ، رتب أحدهم لقاء خاصا للسيد إدريس مع المهندس مراد جميل ، ووجد أن الرجل يعمل شريكا في شركة تجارية كبرى ، وكان اللقاء في منزل المهندس مراد ، واستقبله على أنه صحفي في جريدة أسبوعية ، وقدم له بطاقة عمله في تلك الصحيفة ، وتبين لإدريس أن الرجل قد اطلع على بعضها أعدادها في غابر الأيام ، وزاد إدريس فقال: أنا صحفي حر .. أكتب لعدد من الصحف .. أكتب مقالات .. أقرأ كتبا وأعلق عليها .. أريد أن أكتب عن الماركسية في الستينيات .. عهد ازدهارها في العالم العربي .. وعن سبب سقوطها في أقل من مائة عام .. والناس كانت تنتظر وصولها للمرحلة الأخيرة من المراحل الشيوعية .. قدمت روسيا الشيوعية أعمالا كبيرة القنبلة الذرية بعد سنوات قليلة من قنبلة أمريكا .. الصواريخ البالستية العابرة للقارات .. الهبوط على القمر وغزو الفضاء .. كانت منافسة قوية للغرب وأمريكا بالذات .. وفجأة سقط جدار

برلين ، وانهارت روسيا نفسها .. وقد علمت أنك رجل مثقف ، وإن لم تتبوأ مركزا كبيرا مميزا في الحزب الشيوعي العربي .. وفي فترة الستينات تبوأت مقعدا في نقابة المهندسين على قائمة اليساريين .. وأنا مهتم بشيوعية تلك الحقبة من الزمن .. عصر الستينيات ؛ لأنها كانت قوية بقوة الاتحاد السوفيتي .. فكانت قوية في العالم العربي والإفريقي والأمريكي الجنوبي والآسيوي .

انتقل الكلام لمراد فقال : هذه الفترة كان المد الشيوعي على وشك اكتساح العالم ، وكانت الأفكار اليسارية لها صدى في جميع بقاع الأرض .. حركات ثورية منتشرة في أمريكا اللاتينية ، عدا عن انتصار الثورة الكوبية كاسترو جيفارا الثائر الأرجنتيني العالمي .. ماو في الصين خروتشوف في روسيا .. ونحن شبان صغار كنا مبهورين بتلك الأسماء والثورات العالمية .. والأمة العربية تعيش في تخلف ورجعية وانقلابات غامضة حتى وقع في نفوسنا أن الدول كلها على وشك أن تتحول إلى اشتراكية وشيوعية .. فكنت ترى بعض أو الكثير من الأحزاب القومية تضيف كلمة اشتراكية لاسم الحزب مغازلة للاتحاد السوفيتي .. كانت الحرب الباردة على أشدها .. والصراع محتدم في الشرق الأوسط وأفريقيا وأمريكا الجنوبية

ـ نعم ، يا سيدي أنا أحب أن نتحدث عن تلك الفترة في بلادنا عن ذكرياتك تلك الأزمان .

ـ هل لديك أسئلة معينة أم أتكلم عن الشيوعية بشكل عام ؟

ـ تكلم عن نفسك ، كيف تأثرت بالفكر الشيوعي ؟ كيف كانت البدايات الأولى ؟ وأنا أسمع وأختزل ، ولما أعد المقال للنشر سأعرضه عليك لتعديل لتصحيح .. ولنرغب القارئ بالقراءة .. عليك أن تذكر قصصا وحكايات شخصية ، وأشياء خاصة ليجد القارئ بها شيئا جديدا ومثيرا .. على أن لا يكون عليك ضرر منها لشخصك وغيرك .. وقد علمنا مما سألناهم عن شخصك الكريم ورشحوك للحديث عن فترة الستينات ذكروا أنك صاحب مغامرات نسائية خاصة أيام الدراسة في الجامعة .. فكيف ترى بنات اليوم مثلا مع بنات ذلك العهد ؟ هذه ثلاثون سنة .. هل نجحت الحركات النسائية في تحرير امرأة من تقاليد المجتمعات العربية

أم أخفقت أم بقيت على ما هي عليه من عدة عهود ؟ وبعضهم يقول إنهن عدن للوراء .. كان لابد من جمع بعض المعلومات عن شخصكم الكريم ؛ ليكون البحث والمقال مقبولا لدى قراء جريدتنا الأسبوعية .. كيف كانت الشيوعية في الوسط الجامعي كلية الهندسة حيث درست ؟ من كان يتقبل الفكر الإلحادي أكثر الشباب الشابات حتى أن بعضهم ذكر أنك تعرفت على ابنة وزير وابنة ضابط كبير ؟

تطلع مراد في عيني إدريس لثوانٍ وهتف : ما مصدر معلوماتك يا كابتن ؟

ـ زملاء لك في الحزب والجامعة .. وذكر اسم صبحي زميله في البلدية

ـ آ ! أعرف هذا الشاب ؛ لكنه لئيم ، وهو لم يدرس معي .

ـ هو سمع من رفاق لك ، واستمعت من غيره حتى أن أحدهم ذكر فشلك من تكوين صداقة عاطفية مع ابنة الوزير السيدة نبيلة خالد ، كان والدها مدير المستشفى التعليمي .. يبدو أنها قصة كبيرة من الجميل التحدث عنها للقارئ .

ـ تلك الأيام لم تكن ابنة وزير .. هذه المرأة لا يمكن نسيانها .. ولقد علمت أنها ماتت من زمن قريب من شهور أو سنة .

ـ ماتت !!

ـ نعم ، ماتت ابنة الوزير .. أما ابنة الضابط فكانت معنا في الكلية وهي فتاة ساقطة

ـ ساقطة يعني فاسدة .

ـ نعم ، صاحبتها فترة ، ولا تنسى أنني كنت في أول الشاب ، وفي أول عهد الاختلاط ، ثم وجدتها تصاحب خمسة غيري فتركتها لهم .. أما المهندسة نبيلة خالد فرفضتني كحبيب وإن كنا زملاء كلية واحدة .. ووالدها كان وزيرا حقا ؛ لكن كنا في آخر سنة للدراسة والفصل الأخير

ـ نعم ، اختارت السيد سيف وردة زميلكم .

قال بامتعاض ؛ كأنه يعيش تلك اللحظات : نعم ، سيف ابن التاجر بياع السكر كنا نطلق

عليه ذلك فاز علينا .. لقد أعدتني لتلك الأيام الجميلة .. كان والد هذا المهندس من كبار تجار البلد والمدينة .. وقد تزوجا أثناء الدراسة .. ولم يدم زواجهم ولم يعمر .. وحاولت التودد إليها من جديد ؛ لكنها أسأت إليّ ، واتهمتني بإفساد زواجها .. عجيب أمر الناس كيف يعرفون هذه الأمور؟!

ـ الأخبار تمشي ، وبعضها ينتقل من جيل لآخر .

ـ ليس لديّ مجال للمقارنة أنتم الصحفيون أقدر على حل ذلك ؛ لأنكم تلتقون بالأجيال القديمة مثلنا والأجيال الحديثة .. الشيوعية في فترة الستينيات كانت مهوى الشباب .. الشيوعية كانت حلم بسبب الدعاية الخلابة .. أنا عرفت الشيوعية في المدرسة الثانوية كنشاط كان خال لي شيوعيا .. كان يعطيني بيانات ونشرات مطبوعة لدسها للطلاب سرا ، ثم ضمني لخلية .. وأصبحت عضوا مهما فيها ، ثم التحقت بالجامعة ، وسريعا اتصلت بخلايا الطلاب الشيوعيين سواء في الكلية أو على مستوى الجامعة كلها ، ثم على عناصر داخل المدينة ..كان الأمن السري يتابع نشاطنا .. أحيانا يضيق علينا ، وأحيانا أخرى ؛ كأنه لا يرانا .. لم نكن نشكل خطرا تلك الفترة على النظام السياسي بعد .

وتحدث عن حياته في الحزب الشيوعي والعمل النقابي بعد إنها الدراسة ، ثم عاد للحديث عن علاقاته النسائية بذكاء من إدريس ، ثم ساقه من جديد للحديث عن علاقته بالمهندسة نبيلة وهل سعى لتجنيدها للحزب أم قصة غرام فقط ؟ ولماذا رفضته بعد طلاقها ؟ فذكر أنها فتاة متحررة ؛ ولكنها كغيرها من أبناء الأرستقراطيين تكره الشيوعية ، وتراها عدوا للأغنياء .. وهي كانت من سكان أهم أحياء تلك الطبقة في ذلك الزمن .. كانت غارقة في حب الأدب والروايات الرومانسية والغرامية .. ووقعت في غرام زميل مثلها من تلك الطبقة من شعبة غير شعبتنا الهندسية.

ـ ولكنه تزوجها في النهاية ، وطلقها قبل نهاية شهر العسل كما علمت من المهندسة سوزان حتى أنها ذكرت أن لك علاقة بطلاقها .. والقصة كما فهمت ظاهرة في الجامعة وبين الطلبة .

ـ أعرف تلك القصة ، فعلا تزوجت زميلنا سيفا كما تحدثنا ، ولم يكن لي يد في طلاقها ..كانت بعض الفتيات تكثر من عمل صداقات مع الشباب أكثر من بنات جنسها .. والزواج قليل بين الطلبة في تلك الحقبة من الزمن .. لأننا نكون في سن متقاربة .. وكانت فتيات تعمل صداقات مع بعض الشباب ، وتحدث قضايا أخلاقية مثل بنت الضابط التي حدثتك عنها .. كانت نبيلة لها صداقات كثيرة مع الجنسين .. لكن لم يسجل عليها علاقة خاصة أو تورط في قضية أخلاقية .. واختارت سيفا كفارس أحلام ثم تفاجأنا بالخطبة والزواج ؛ لكنها كانت لعوبا ، وكان سيف متقوقعا على نفسه ؛ لعله عرف شيئا بعد الزواج ، فاضطر للانفصال .. وقد سمع مني بعض هذا الكلام ..لابد أنه وجد شيئا كبيرا ؛ ليطلق .. هو لم يفصح عن السبب ، وهي كذلك .. كانت النهاية مدهشة ومحيرة لجميع المعارف .. قد يكون عرف بعض عشاقها .. كانت فاتنة ، وتلبس ملابس مثيرة وعطور ثمينة.

ـ عشاق في شهر العسل !

ـ ممكن يا إدريس ! أنت تعرف جو الجامعات .. فهو جو الشهوات مع العلم .. وتأثر البنات بشعارات الحرية للمرأة والتجربة ، ورمي الأخلاق وراء الظهر .

ـ أنا درست تلك الفترة مثلكم .. التبرج موجود ؛ لكن كنت أرى الزي أكثر حشمة من اليوم.

ـ أكيد أكيد اليوم زادت الناس وزادت الأزياء .. والفاجرة لا يهمها الوقت .. نحن عجبنا لزواجهم .. وعجبنا لطلاقهم .. وهي اليوم في دار البعث كما يقول المشايخ .. نحن الشيوعيون كما تعلم لا نؤمن بالبعث ، والحياة بعد الموت .. هذا في الماضي .. اليوم بعد موت الشيوعية أخذنا نفكر بما يقوله هؤلاء الشيوخ .

قضى إدريس أكثر من ساعتين مع المهندس مراد بحديث عن الشيوعية وحياته في الحركة الشيوعية ، وأحيانا عن زملاء الجامعة ، ولما وصل البيت وجد المهندس سيف في انتظاره فمشيا لأحد مطاعم حي الشاعر، وتناولا العشاء ، وعادوا لمنزل سيف ، واشتغل إدريس بالصلاة ، واشتغل سيف بمشاهدة مكتبة إدريس المتواضعة .

ولما انتهى من صلاة العشاء صنع القهوة ، ووضع الفاكهة ، وقدم له ما كتبه عن اللقاء، فلما تصفحه قال : لم أفهم شيئا من هذه الورقة .. إنها عن الشيوعية!

ـ هذا هو غطاء الجلسة .. اعترف بمحاولة إقامة علاقة مع نبيلة وابنة ضابط ، ويصف نبيلة بصفات سيئة .. ولم يتكلم عن سبب الطلاق بينكم أي قصة الصورة ولا بكلمة .. إنما أنها خانت زوجها ..كيف دون تفصيل؟ لم يتوسع في الحديث عن غرامياته .. ولم يعترف بمحاولة الزواج منها بعد الطلاق .. وكان يتوسع بالحديث عن نشاطه الشيوعي .. فاضطر للصمت .. ذكرت اسمك أكثر من مرة ؛ ليتحدث عنك ، فلا يتوسع .. جعلت مصدريّ معلوماتي عنه من صبحي والسيدة سوزان التي لم أرها بعد .. ولما أكتب المقال المعد للنشر سأعرضه عليه .. فأنا أكتب عن الشيوعية في تلك الحقبة ، وليس عن زواج سيف ونبيلة .

ـ أفهم رأيك ووجهة نظرك ..وهذا جيد !

كان إدريس يحدث صاحبه إيادا عن تطورات القضية ، والسعي للوصول إلى مصور الصورة السيئة أو لمن صورت ؟ .. وكيف احتالوا على تصويرها لابتزازها بها ؟

فقال إياد : إذن تعرفت على السيد مراد العاشق المطارد لها لآخر يوم في الجامعة .

ـ اضطررت أن أفتعل تحقيقا عن شيوعية الستينيات لعلي أصل للحقيقة والطريقة إلى تلك الصورة .. قابلت عددا من عناصر تلك الحركة ، وخلطت معلوماتهم مع معلومات سيف وقابلته .. هو يحب الحديث عن الماضي كغيره من الناس ؛ ولكنه كان حذرا من الدخول في تفاصيل علاقته مع بنات ذلك الوقت بسبب إنهن إما أمهات وزوجات أو ميتات ، لذلك لم يتطرق نهائيا لتلك الصورة التي دمرت حياة أسرة .. وهو أول من تحدث عنها لسيف فلا يمكن نسيانها .. ربما لو دام الزواج لانتهى أمر الصورة .. اعترف بإقامة علاقة بفتاة ابنة ضابط لم أعرف صفة الضابط رتبته ، ووجدها تصاحب خمسة غيره .. اعترف بمحاولة إقامة علاقة مع نبيلة قبل تعرفها على سيف ؛ ولكنها اختارتاه دون الجميع .. فهناك غيره حاول الصداقة

معها كصداقة حب .. أما زمالة الجامعة فهم كثر .. معارفها كثيرون وأطلق عليها صفات تكاد تجعلها بغيا .. وأعتقد الحقد دافع الاتهام .. لم يتطرق بصراحة وجراءة لسبب فشل زواجها من سيف .. ولم أذكر أمرها له خشية أن يداخله الشك في هذه المقابلة في أهداف المقابلة

ـ هل عمل علاقة معها ؟

ـ نبيلة ! لا ، طاردها حتى التخرج ، حتى بعد طلاقها سعى إليها .. وأعتقد أنه هو الذي رتب أمر الصورة قبل وقت الزواج .. كان يدبر لتهديدها والنيل منها .. فهو الذي شجع سيف على الطلاق بصورة ذكية وحذرة ، بوصفها بالخائنة والغادرة له والمرأة اللعوب .. فتخيلها المسكين سيف بنت هوى وفتاة بارات وحانات أو مومسا، وأنه خدع من الزواج بها .

ـ وما العمل الآن ؟

ـ رغم أنها مهمة صعبة ، والفشل ظاهر ؛ لكنها مسلية يا إياد .. يوجد أمر أتسلى به .. ووافق رئيس تحرير الجريدة خلدون على عمل هذه المقابلات التاريخية للجريدة .. فهي فترة مهمة من تاريخ التحرر العربي والحركات العالمية .. وسأقابل بعض العناصر الأخرى ، وندندن حول قضية الصورة خدمة لسيف وخدمة للجريدة .. أستعد للقاء شيوعية مهمة في تلك الجامعة السيدة سوزان أشار إليها سيف والسيد صبحي .. فقد كانت نشيطة ومهمة ، وما زالت ؛ كأني فهمت ذلك من صبحي .. ولما ذكرت اسمها أمام مراد أثنى عليها .. ولم يتوسع بالكلام عنها .. فليس من السهل أن يكشف الرجل غرامياته ، رغم أنه كان مشهورا بينهم بحب النساء والزنا .. وهو اليوم زوج وله أولاد وبنات .

قال إياد : ألا تريد تعريفي بصاحبك ؟

قال : سأفعل عندما يسمح لي بزيارة بيته ستكون رفيقي زاعما أني بحاجة لسيارتك ليلا .. وذلك عندما نتقدم خطوة إيجابية .. هو بدأ ينفتح عليّ .. وستكون بيننا يا إياد .

ناقش الصديقان الأفكار والحيل والأساليب المناسبة لإتمام التحقيق .. وقال في نهاية المجلس

إياد وهو ينهض : تحتاج إلى بوليس سري لحل هذه المعضلة !

ضحك إدريس : حتى لو كان معنا بوليس سري ما استطاع الحل يا أخ إياد .. إلا أن نلتقي بالمصور نفسه .. ولكننا من خلال هذه اللقاءات البريئة قد نلتقي بالمصور أو المكلف له .. لم نحدد مكان التصوير .. أين صورت الفتاة ؟ لا يذكر سيف أي معرفة للمكان .. الخلفية صامتة والأرض مفروشة بنوع من السجاد الملصق بالأرض كالموكيت ..لا ديكورات في الصورة ولا كراسي .. والبنت لا تذكر موقع التصوير ؛ لأنها تنكر معرفتها بالموافقة على هذه الصورة .. فأعتقد أنها خدرت بطريقة شيطانية .. وحملت إلى حجرة مجردة ، وصورت عورتها وأعتقد أنها صورت أكثر من مشهد .. ولما أدت الصورة دورها اختفى أمر تلك الصور.

ـ أذكر أنهم أعطوه الفِلم!

ـ للخداع ؛ وليعتقد أنها صورة واحدة فقط .. وهم أعطوه قطعة من الفِلم الجزء الذي فيه الصورة .. لعبة ذكية مرسومة بفطنة وشجاعة .. هم صوروها للضغط عليها من أجل الدعارة ؛ ولكن زواجها أفسد الموضوع فافسدوا زواجها ببيع الصورة .. واستغلوا مرادا للقيام بجزء من الحيلة ، ونجحت الحيلة .. وتحقق مآربهم .. ونسوا أن هناك رجلا كان طامعا بها ، وقبل بها زوجة رغم وجود الصورة القبيحة الفاضحة .

ـ تقصد الدكتور غريب .

قال إدريس : نعم ، وليس من السهل أن يعترف مراد بشيء هذا الوقت ، وقد ماتت ، وصار أبا ؛ وربما جدا .. إن من المهم أن نعرف كيف خدعوا البنت ؟! ومن هم ؟! لغز كبير رغم وضوحه .. ولولا جهلها لهذه الصورة ما طلبت من زوجها بعد هجر ثلاثين سنة بعد طلاق أن يهتم برجل المقهى .. الشخص الذي باعه الصورة وقطعة من الفِلم ..وتتهمه بظلم نفسه قبل ظلمها .. وإنه تسرع في الطلاق ووصفها بالخيانة الزوجية .. أنا عندي تصور للجريمة وهو أنها سقيت مخدرا أو منوما وصورت ، وطريقة تخديرها أو تنويمها مجهولة لها .. لو ذكرت شيئا لقالته لسيف أو لوالدها .. فابنتها التي كلفت بنقل الرسالة لسيف لابد أنها

تعرف سبب الطلاق ، وكذلك الزوج غريب .. وصدق أن الفتاة لم تمارس الجنس مع أحد خارج اطار الزواج .. وهو خريج لندن ، وقد يكون متأثرا بعادات الإنجليز .. وسيف طلب مني عدم نشر القصة .. وقد أنشرها بتغيير الأسماء الحقيقية بأخرى .. ولكن إذا لم تحل قصة الصورة فلن تكون رواية ناجحة .. فكثير من النساء تطلق لأسباب تافهة للغاية .. إنك تذكر زميلنا منذر طلق زوجته ؛ لأنها طلبت منه أن لا يدخن أمامها وفي وجهها .. وعللت بأنها تتضايق من الدخان وكبر الشجار .

ـ نعم ، أذكر تلك المأساة ، ثم سجلت عليه طلقة ورجعت إليه.

ـ صحيح ، وآخر أعرفه طلق لرفض زوجته استقبال أمه ، ولم تكترث فطلقها ، والحكايات كثيرة

ـ قد يكون هناك أسباب خفية .. وتكون هذه القشة التي قصمت ظهر البعير .

ـ ربما تكون هناك تراكمات وترسبات .. لابد من معرفة المجرم .. للأسف حتى صديقنا الجديد سيف لم يهتم بالبائع كثيرا ولا يعرف اسمه.

قال إياد : يا صديقي لو سأله عن اسمه لأعطاه اسما مزيفا .

ـ أكيد .. ذاك راح عن بالي .. ما دامت لعبة ، لابد من التخفي قدر الإمكان .. الملاعين نجحوا لأنهم فهموا شخصية سيف ، وفهموا شخصية مراد .. وقد تكون لمراد علاقات معها بعد التخرج من الجامعة والانتماء للنقابة .. قد يكونون التقوا ؛ فلذلك ركزت على رجل المقهى .. فسيف لا يعرف عنها شيئا بعد الانفصال إلا أشياء عامة بحكم المجاورة في حي بهية ، وصداقاتها الهامشية لبعض أفراد أسرته .. الرسالة هي التي أعادت الأشجان.

ـ ولماذا ستقابل سوزان ؟

ـ كانت شيوعية مثل مراد ، ولها علاقة معه ومع نبيلة كطالبة وكعضو في النقابة والجمعيات .. وهي متقدمة في الحزب على مراد كما فهمت من صبحي .. أما سيف فهو زميل كلية فحسب ولا يعرف عنها الكثير كما أخبر سوى أنها كانت نشطة في الكلية والجامعة أنشط من مراد

حركيا.

ـ وهل ستعرف قصة الصورة مفصلة ؟!

ـ القصة شاعت فترة في الكلية بعد الطلاق ، ثم خفت الحديث عنها .. وستكون موضوعا لحلقة من الشيوعية في الستينيات ؛ ولعلنا نسمع منها شيئا عن تلك الصورة ولو عرضا .



بعد مضي ثلاثة أيام على لقائه بمراد اتصل به ليلا ؛ لأنه علم منه أنه لا يسهر في المقاهي بعد العودة من مكتبه في الشركة ، وأنه يتفرغ لأهل البيت ، والحديث معهم ، اتصل إدريس بعد العاشرة ليلا وذكر بنفسه ، فقال مراد : أهلا بك عرفت صوتك .. هل جهز المقال ؟

ـ تقريبا جهز .. وقد قابلت المهندس سيف الدين وردة شخصيا ، وهو من سكان حي بهية .. حي كان له عز ومجد في سالف الأيام .. وخاصة الستينيات .. وهو ابن نفس دفعتكم الجامعية ولكنه بعيد عن السياسة والانتخابات .. وهو كما تعلم زوج تلك الفتاة التي أخذت من وقت حديثنا .. وذكرت أنها طلقت بعد تزوجها بأيام .. حاولت معرفة سبب الطلاق السريع .. وعلمت أنها نكحت طبيبا من العائلة.

قال مراد : صحيح ! ولم تكن لسيف اهتمامات في السياسة والأحزاب .. كان والدها قد أصبح وزيرا للصحة .. ولكن الرجل لم تطل وزارته ، فقد تعرض لحادث مروري أودى بحياته في مؤتمر طبي في أوروبا ما زلت أذكر هذا .. قابلته أثناء عمله كمدير لمستشفى الجامعة التعليمي

ـ الدكتور خالد أسعد .

ـ نعم ، ماذا قال الرجل عن طلاقه لزميلتنا نبيلة خالد ؟!

ـ وجدته شخصا مترددا وانعزاليا ..وبعد محاولات قال : أنا أحببت الفتاة منذ رأيتها في الكلية ، وبعد سنتين دراسة اعترفت بحبي لها ، وقبلتني دون سائر المطاردين .. قال : كانت

محترمة ولها أصدقاء كثر من الجنسين ، ومن عدد من الكليات .. وكنا من العائلات الميسورة الغنية في نظر الطلاب .. وكلانا كان بعيدا عن السياسة والأحزاب ؛ ولكنني بعد زواجنا بأيام تفاجأت بصورة عارية لها عارية جدا ، ولم تستطع تبرير حدوث تلك الصورة .. وكان الانفصال بدون شوشرة .. وزعم أنك تعرف بموضوع الصورة ، وأنها سبب طلاقه ، وأنك أحد المغرمين بها منذ التقيتم في الجامعة ، وأنها رفضت صداقتك وصداقة غيرك.. وقال : إنه ابتاع الصورة من أحد معارفك .. هل هذه الحكاية صحيحة ؟

تنهد مراد بصوت بدا واضحا لإدريس .. وقال : أهذا خرج من فم سيف ؟!

ـ نعم ، يا سيدي قلت له عن اللقاء بك ، واستغربت من قصة الزواج والطلاق السريع ، فكان الفضول وراء هذا اللقاء حتى أنه قال: لو كانت معي الصورة لأريتك إياها ، ولم يتزوج بسبب هذه الحادث لليوم .

ـ فعلا يا أستاذ إدريس إن الرجل طلق زوجته التي أحبها سنوات الجامعة بسبب تلك الصورة السخيفة .. أنا لم أر الصورة ، وإنما حدثت عنها .. وأحببت نقل الأمر إليه ؛ ليتأكد .. ولم أرغب بأن يكون طرطورا ومغفلا عن قبح فتاته .. سأكشف لك سرا ما دمت تعمل في الصحافة والتحقيقات .. لقد تحدثت مع مديرك وتأكدت من تعاونك معه وعمل تحقيقات لصحيفته الأسبوعية وتوقع باسم مستعار الفتى نصار .. وإنك تقوم بتحريات متباعدة له .. وأخبرني أنك تكتب للصحف اليومية .

ـ شكرا ، أنا لم أخف عنك شيئا يا مهندس مراد .. واهتمامي بفترة الستينات لأنني ابن تلك الفترة مثلك .. وشاهدت الصراع الحاد والصارخ بين الحركات اليسارية واليمينية والقومية ، ولاحظت قوة الحركة الشيوعية في تلك الفترة .. وكتبت عن الرموز الكبيرة ودورها في أحداث ذلك العهد .. وسأكتب عن أربع شخصيات شيوعية عاشت ذلك الوقت.. وسأكتب عن أمور شخصية لأثير القارئ نحو هذه المقالات .. وسأقابل أربعة أسماء من التيار الإسلامي .. ونحقق في أمور خاصة حتى لا يكون التحقيق فكريا جامدا .. فهذا

معروف للمثقف .. أما القصص والمواقف فهي غير موجودة .. والمقابلات تكشف مثل هذه القصص العابرة

ـ نعم ، تلك الفترة كانت بمثابة العصر الذهبي للفكر الشيوعي .. وصراعه ضد الإمبريالية والاستعمار والاستعباد ..كانت الشيوعية نجم العالم ومثيرة للشباب وحماسهم .. وكانت تقام الدول على أفكار ماركس ولينين ، كما في كوبا كاسترو وماو في الصين وحرب فيتنام وكوريا الشمالية والمعارك الكبيرة في أمريكا اللاتينية .. وكان جيفارا

ـ لا أحد ينكر الزخم اليساري ، وهو يجتاح العالم تلك الفترة ..وانتشرت الأحزاب الشيوعية في العالم العربي والإسلامي بشكل واضح وقوي .. وكان الشباب الطلابي يندفع بقوة للانضمام لتلك الحركات الشيوعية .. فقراءة تلك الفترة أمر مثير في نظري وبالمقارنة مع اليوم فعلا كان ذلك العقد عقدا تاريخيا بالنسبة لكم .. نعود عن معلوماتك عن تلك الصورة التي تسببت بطلاق نبيلة في شهر عسلها.

ـ آ! الصورة صدق يا فتى نصار أنا لم أر الصورة بعيناي ، حدثت عنها ، وتضايقت من خداعهم لزميلنا البليد المسكين ، فلم يكن أمامي إلا أن أهتم بالموضوع ، وأتحدث للرجل عنها ، ودللته على مكان يلتقي به بمندوب أو وكيل المصور ، وذهب فعلا وقابل الرجل ، وابتاع منه تلك الصورة السخيفة .. أنا لا أدري لماذا تقبل فتاة أن تتصور وهي مجردة من الثياب ؟! حقيقة كنا نسمع عن مغامرات وحفلات نسائية في الجامعة لا تكاد تصدق يا رجل لكن الأنثى إذا فجرت ماذا يهمها بأن تتعرى للمصور وغيره ؟ كانت الإباحية تعصف في الشعوب تلك الفترة التي بدأت بعد الحرب الثانية ؛ لكثرة النساء والأرامل .. كانت بين الطلبة جمعيات سرية تشجع الزنا والفاحشة .. كان هناك من يسعى لنشر الدعارة بين المثقفين والطلبة.. والنساء جنود لذلك ؛ وربما تلك إحدى الجمعيات اصطادت نبيلة قبل زواجها وتصويرها للضغط عليها من أجل الدعارة ومن أجل أنها ابنة مدير المستشفى التعليمي .. هذه الصور هذه الغاية المهمة منها .. ولما وقع الزواج سعوا إلى إفشاله بعرض الصورة على

سيف .. وكان الطلاق غيرة ؛ ولكنها فور طلاقها أخذت تستعد لزواج جديد وتخرج .. وصار الوالد وزيرا فتركوها .. هكذا أتصور .. وكانوا يعلمون بحكم السنين محاولتي إقامة صداقة وعلاقة حب معها .. ولما سمع سيف خبر الصورة مني صدق ؛ لأنه رآني خصما له في حبها .. فوقع في قلبه أنني نلت منها قبل أن يصبحا صديقين .. و أنا أعترف أني نفذت رغبتهم غيرة وكرها للسيد ..لا أحد يحب الخيبة والفشل .. والجامعات العربية تتأثر بما يحدث في جامعات أوروبا المتحررة .. وعندنا من يدفع للإباحية والتحلل باسم الحرية وحق الإنسان أنا تلك الأيام حدثته عنها بقسوة ودون شفقة فقد اعتبرته فائزا عليّ أمام الطلاب والطالبات كنت آمل في النهاية أن أكون صديقها الوحيد .. لقد فتنت بها من أول ما رأيتها .. وتفاجأت بسرعة ردة فعل سيف وطلاقه لها مع الحب الكبير الذي شاع بينهم في مرافق الجامعة .. وأخبر الناس صحة قصة الصورة مبررا طلاقه .. ولم تقبلني الفتاة بعد طلاقها ، واعتبرتني سبب هذا الطلاق .. ثم خطبت قريبا لها ، وبعد التخرج تزوجته .. وهو سيد كبير في وزارة الصحة العامة .. ووالدها عين وزيرا قبل زواجها الثاني .. وهي قد رحلت عن الدنيا منذ

عهد قريب .. فقد نقل بعض أصدقاء تلك الفترة هذا الخبر .

ـ نعم ، أخبر المهندس سيف بموتها بمرض السرطان .. تحدثت أنت عن عصابات أو جمعيات سرية تعمل على إفساد الشباب وابتزازهم بتصويرهم عراة ليعملوا في دور البغاء .

ـ هذا صحيح ؛ وربما هذه العصابات السيئة الذكر ما زالت موجودة وبثوب جديد .. اليوم الآت التصوير تتطورت .. واليوم صور متحركة أفلام .

ـ هذا موضوع شيق ؛ ربما أهتم به .. ربما أستعين بك لمزيد من المعلومات لمعرفة كيفية القيام بهذا العمل خاصة قديما ومن يقوم به ؟

ـ المال المال أيها الإنسان .. عندما يدفع لمصور مائة دينار مائتان أكثر في ذلك الوقت كيف يرفض ؟! كيف يرفض؟!



وضع إدريس السماعة ، وقد شكر المهندس مرادا على هذا اللقاء الهاتفي المطول ، وقد استطاع الاحتيال وجره للحديث عن موضوع الصورة ، وقال لنفسه : هل هو صادق ببراءته من تصوير الصورة السخيفة كما يصفها ؟ هل حقا هو مجرد رسول بين العصابة وسيف الدين حاكم ؟!

جهز المقال الذي سينشره في جريدة قريبه الشرق المضيء كما رتب معه ؛ ليكون الموضوع صحفيا وليس أمرا خاصا .. وتكوّن المقال من صفحتين(إي فور) ، وصوره وعرض النسخة على مراد ، ولما اطلع عليها مراد وافق على نشرها بدون أي إضافة وأي تعديل ، وقال وهو يودع إدريس : متى ستنشر هذا في الجريدة ؟

ـ هذا يعود لرئيس التحرير .. وقد يضيف ملاحظات .. يختصره ، يقدمه على حلقة واحدة أو أكثر .. وعندما ينشر سأقدم لك نسخة مجانية من الجريدة .

ـ أريد عددا من النسخ .

ـ لا بأس ، سيكون لديك خمس نسخ مجانا .. ربما أستعين بذاكرتك عندما أقابل بعض الأشخاص .

ـ أنا مستعد لذلك .. فالذكريات جميلة بحلوها ومرها ، فكيف إذا نشرت؟! أعلمت جديدا في قصة الصورة ؟

ـ أنا تعجبت يوم لقائنا من قصة الطلاق السريع ، ولم تشرح لي التفصيل ، فسعيت للقاء المهندس سيف عن طريق عنوانه في النقابة وموافقته على اللقاء .. فشل قصة حب كبيرة كما حدثتني مثير لشهوة الصحفي .. نحن نسمع عن طلاقات سريعة ؛ ولكنها قليلة بصورة عامة وقع في قلبي أن الصورة مزيفة خداع تصوير ؛ ولكن الرجل أكد نسبة الصورة إليها .. وخطر في باله التركيب والخداع الفني كما يستخدم في الأفلام .. وقال : إن الصورة التي رآها لم تكن مزيفة ، ولم يعد يملكها دفع بها إلى والد الفتاة عندما تناقش معه حول الطلاق .. والفتاة أنكرت وبقوة أنها تصورتها بعقلها وفكرها ، ولا تعرف الخدعة والحيلة التي تعرضت لها

لتصور تلك الصورة .. وتمسك السيد بالفراق وإنهاء العلاقة الزوجية .. وأنا تفاجأت من كلامك عن جمعيات سرية للدعارة والإغواء .. وهو لم يسمع بمثل تلك الجمعيات ، واعتبر الموضوع انتهى ، وتعقد للأبد من ناحية النساء .. وما زال بدون زواج .. وأكد لي أن زوجته أو مطلقته لم تر تلك الصورة إلا تلك الليلة .. وصدمت منها .. والرجل الذي قابله في مقهى الكوكب الذهبي في مركز مدينتنا لم يره من قبل ، واعتقد أنه متخفي بلحية وشارب مزيفين .. ويرى أنه أحد طلاب الجامعة.

ـ أعرف مقهى الكوكب ؛ وربما دخلته مرتين ..كان المقهى المفضل لنا تلك الأيام مقهى الثورة العربية في شارع الأمواج .

قال إدريس : نعم ، أعرفه هو في طرف المدينة .. هو مقهى الشيوعيين كما يحب أن يسميه الخصوم

ـ نعم ، بل والمحبون ..كان أحد مقاهي الحركة اليسارية والماركسية .. كان فيه أمجاد الحزب واعتقالات الشباب من الأمن السري والقلم السياسي .

حك دقنه وسأل : هل تعرف ذاك الرجل الذي باع الصورة لسيف؟

ـ أنا لم أعرفه ، ولم أره ، ولا أدري هل هو أحد الطلاب كما تقول على

لسان سيف ؟ كان الحديث عن الصورة عبر تلفون في نادي الكلية استدعيت لمكالمة .. والرجل يعرف قصة هواي ، ومطاردتي لنبيلة ، وطلب مني فعل ذلك ، وغامرت وفعلت أو قل نقلت الطلب .. وحصل ما أشتهي ؛ ولكنني لم أفز بقلبها؛ بل زاد حقدها عليّ .. وكانت كلما تتلاقى عيوننا تبصق إلى الأرض .. وتكرر ذلك .. وسيف انقطع كل شيء بيننا .. وقد يكون أحد الطلاب فعل ذلك .. واستغلوا فشلي نحوها .. من ستقابل بعد نشر هذا المقال؟

ـ رئيس التحرير له خطة ، تتلخص بأنه يريد النشر بعد اكتمال جميع المقابلات ، مع أربع أو خمس يساريين ، ومثلهم قوميون وإسلاميون ، وأنا اقترحت نشر هذا المقال؛ لتشجيع الآخرين على التعاون والتحدث عن ذكرياتهم ، وسبب التحاقهم بتلك الأحزاب .

قال مراد مستحسنا الاقتراح : هذا هو الأفضل ؛ بذلك تقضي على التردد .. من ستقابل بعدي؟

ـ هناك فتاة اسمها سوزان عرجنا على ذكرها أثناء الحديث معك .. وهي من الناشطات حركيا تلك الأيام .. وقيل إنها ما زالت تدافع بقوة عن الماركسية رغم موتها في روسيا .. وقد رتبت أموري الفنية معها .. وأنا أجمع معلومات عنها وعن نشاطها .

ـ صديقة قوية ونشيطة .. أعرفها جيدا ، وعملت تحت رعايتها في الجامعة ، وقد صعدت قوتها خارج القطر في فترة من الزمن ؛ وربما زارت موسكو للمشاركة في نشاطات عالمية.. وإذا احتجت أي شيء عنها فسوف أجيب .

ـ أقدر لك هذا التعاون ، وهذه الشجاعة .. فأنت فتحت قصة عصابة التصوير .. فأنا أبحث عن عضو عمل في تلك العصابة الرهيبة.. فهي قصة مشوقة كقصة طلاق سيف ؛ لعلك تتذكر أحدا من أسماء أولئك.

ـ وإذا تذكرت سوف أفيدك .. أنت كيف تختار شخصياتك ؟

ـ قلت لك إن رفاقا لك هم رشحوك للحديث عن تلك الفترة ، ومنهم الأخ صبحي وهو زميلي أيام الوظيفة.

ـ أنت تقاعدت من صحة البلدية .

ـ نعم ، وأنا أكتب للصحف والصحافة منذ زمن بعيد .. والتاريخ والمذكرات تستهويني كثيرا مع أنها تحتاج لجهد ومال .. وأجرة المقال ليست كبيرة ، وكذلك أشغل نفسي ، لا زوجة ولا أولاد .. قد يذكر لي محرر في صحيفة يومية أو أسبوعية أو شهرية اسم كتاب فأطلع عليه وأقدم عرضا عنه لتلك الجهة ، أو أنا أعجب بكتاب نزل الأسواق فأقرأه وأقدمه لأحد الصحف مقابل أجرة زهيدة يا حضرة المهندس ؛ ربما تغطي مصاريف التنقل والطباعة .. والكتاب قد يقدم من الجريدة أو من المكتبة العامة لعلاقات خاصة معهم تسلية.

ـ هواية جيدة ، تحرك العقل وتنشطه .. وهي أحسن بكثير من الجلوس للعب الورق والنوم

والتلفزيون .

ـ أحسنت! وإذا لقطت حكاية مثيرة أهتم بها كموضوع الصورة ، وكموضوع الجمعيات السرية التي أشرت لها .. ولما أجمع معلومات عنها سأتابع الموضوع إلى اللقاء أيها الصديق .

ـ حياك الله .. أنا في خدمتك ، وخدمة المذكرات والتاريخ .

قبلت السيدة سوزان مقابلة إدريس لبن ، وقدم لها المقالة التي كتبها عن مقابلته المهندس مراد زميلها في الحركة الشيوعية العربية ، وذلك خلال عقد الستينيات ، وذكر لها اسم صبحي زميله في العمل وترشيحها لهذا اللقاء ، وكان اللقاء يجري في صالة بيتها ، وبحضور زوجها عماد ، ثم استأذن عماد لما فهم الموضوع ، وخرج من الغرفة، فقال إدريس : أهو على نفس الفكر؟

ابتسمت وقالت : عماد شيوعي عريق ؛ ولكن الشيوعية ضعفت ، واهتزت على مستوى العالم وأصبحت ذكريات لدينا يا أستاذ إدريس .. وأنت لماذا مهتم في الأمر ؟

تحدث حديثا مطولا عن اهتمامه التاريخي في فكر الستينيات ، وإنه كتب عشرات المقالات عن الأحزاب والأفكار ، وعن رؤوس وقيادات تلك الأحزاب والمسميات .. وفي هذه الجولة سيكتب عن رجال كانوا قريبين من القيادة أو الصف الثاني كما يقال .. وقد بدأ الحوار مع المهندس مراد ، ثم عرج من خلال التوضيح إلى الحديث عن قصة الطالبة نبيلة خالد ابنة المدير الأعلى للمستشفى التعليمي ، وابنة الوزير .. وقصة طلاقها السريع .. واضطر لمقابلة المهندس سيف وردة لاستيضاح الأسباب .. وكانت قصة الصورة ، ودور السيد مراد في ذلك الطلاق ثم ذكر الجمعيات السرية لتشجيع الإباحية والدعارة بين الطلبة .. وذكر لها أن المهندس سيفا من سكان حي بهية ، وكذلك المرحومة نبيلة ، وكال المديح لذلك الحي في الزمن الماضي .

وقالت : ومن لا يعرفه يا سيد إدريس ؟! هو كان جزءا من حي العرب

ـ صدقت .. وأنشأته السيدة بهية أو شيدت فيه قصرا عظيما ما زال يتربع فيه .. وتتابع الأثرياء ببناء قصورهم فيه حتى أصبح حيا مستقلا عن حي العرب .

ـ أنا زميلة لنبيلة ، وأعرف حكاية صداقتها لسيف وطلاقها .. تحدث مراد عن تلك الصورة .

قال : نعم ، تحدث عن الطلاق .. وسيف وضح سبب الطلاق السريع .. واعترف مراد بأن دوره مخبر لسيف بوجود تلك الصورة فحسب .. وذكر أن هناك جمعيات تشجع الزنا والإباحية .. عصابة من الطلبة والمصورين تقوم على تصوير صورة فاضحة للبنات وابتزازهنّ في الفجور والغواية

قالت : نعم ، كان هذا بيننا للأسف .. الفتاة التي لم يستطيعوا استدراجها برغبتها للسهرات والحفلات والمجون خاصة إذا كانت جميلة ومثيرة، يسعون لتصويرها في حالات مريبة وماجنة لتهديدها بتلك الصور.

قال : لكنه لم يذكر أسماء ، ولو اسما واحدا .. فقد شدني أمر هذه الجمعيات ، وهو يعتقد أنها ما زالت تعمل ؛ لكن بثوب جديد.

ـ لا أعتقد هذا .. البنات اليوم أكثر انفلاتا وطلبا للموضة والسفور .. كانت البنت أيامنا صورة في الجامعة ، وصورة أخرى خارج الجامعة .. اليوم العري مباح فلا حاجة للصور .. فأي مومس تقدم جسدها للتصوير .. المهم أن تأخذ المال .. وهناك دور دعارة مرخصة أو شبه مرخصة باسم النوادي الليلة والملاهي .. فلماذا الجمعيات اليوم يا عزيزي .. أصبحنا نرى أفلاما ليس صورا فحسب .

ـ هو ربما يقصد ذلك.

قالت : في رأيي ومشاهداتي أننا لم نعد لمثل هذه الجمعيات لمارسة الجنس الأبيض أو الرقيق الأبيض .. أغلب الدول تسمح بالدعارة سواء علنا أو سرا خاصة في البلدان الإسلامية .. كان التصوير والعري مصدر دخل تلك الأيام ؛ فربما تباع مجموعة صور عارية بمبلغ مهم سواء للفتاة أو المصور المحترف .. اليوم تشتري مجلة جنسية بدولار واحد .

ـ أتعرفين الخطة التي صوروا بها تلك المهندسة وقد كانت صديقتك كما فهمت ؟

ـ أنا لم أكن صديقة شخصية لتلك الجميلة يا إدريس تلك الفترة فيما بعد تصاحبنا ؛ أنا أختلط

بالطلاب من جميع الكليات للتنظير الحزبي وأعرف الشباب المهووس بالنساء في ذلك الزمن وسمح ذلك لي أن أطلع على أسرارهم فبعضهم يعتبر حزبنا إباحيا ، ويدعو للإباحية الجنسية

قال : مراد المهندس أثار رغبتي في معرفة المزيد عن تلك الجمعيات ، وكذلك ثمن الصور الباهض .

قالت: الصورة كانت مهمة في تلك الفترة للإيقاع بالفتيات اللواتي يخشين الفضيحة والعار .. كان ذلك مرعبا في تلك الفترة من بلداننا .. فبعض أو ربما أكثر المصورين أصحاب محلات التصوير يرفضون فعل تلك الصور خوفا من الشرطة أو من أهل تلك الفتاة ؛ فلذلك من يغامر يطلب أكثر .. قل ثمن المخاطرة .

قال : كيف كانوا يخدعون الفتيات وهن بنات جامعات ؟!

ـ عندما ننتهي من موضوعنا الرئيسي سأحدثك بكيف هذا ؟

ـ جميل ! فالمهندس مراد لا يعرف وإلا صارحني .. اقرئي ما ذكره مراد .

نادت زوجها الذي أقبل يحمل الشاي وقالت لي : تحدث مع المهندس عماد .. فهو أيضا مهندس ، وهو قريب لي .. أنا تزوجت من عهد قريب .. كان متزوجا ، ثم تركته زوجته من سنوات .. وتزوجنا .. أنا سأدخل المكتب وأقرأ المقال .

غادرت الصالة وتحدث إدريس عن نشاطه الصحفي ، وهوايته الصحفية منذ ثلاثة عقود وأنه يكتب في جريدة الشرق المضيء .

ولما عادت سوزان قالت : قرأتها ، إنها تجمع بين الأدب والتاريخ .

ـ سنتحدث عن كيف اهتممت بالحركة الشيوعية رغم صغر سنك؟ طالبة انتقلت من المدرسة إلى الجامعة .. وكيف قابل الوالدان اهتمامك الفكري المعادي لطبيعة المجتمع العربي المجتمع المتدين الأمي الجاهل ؟

قالت : كان هذا الفكر معروفا في العائلة ، لم يكن والدي شيوعيا ولا أمي .. لكن أحد أعمامي حمل الفكر اليساري العالمي .. عندما درس في القاهرة مصر .. والديّ لم يكونا متدينين ، لم نكن

نعرف صلاة صوم في البيت .. أبي يحتسي الخمر ومثله أمي بعد زواجها منه كما تقول .. وفي مثل هكذا جو فلم يُهتم بما نحمل من أفكار .. فهي أفكار موجودة في محيط العائلة منذ كنت طفلة وطالبة .. التحقت في الجامعة مطلع الستينيات ، وأصبحت عضوة في الحزب الشيوعي المحلي .. خضعت لدروس في الإلحاد والبيان الشيوعي الأول .. وتعرفت سريعا على نشطاء الحزب في الكلية والكليات الأخرى والمدينة .. وكان لنا تلك الفترة نشاطات قوية ومقنعة .. وكنا متفائلين لآخر درجة .. وكنا نرى أن الدول ستتحول لشيوعية قبل نهاية العقد .. تعرفت على مراد وغيره .. وكان المهندس مجرد شيوعي ملحد ؛ لكن نشاطه ضعيف بين الطلبة .. كان همه الأول الجنس والنساء .. كنا نلتقي معه من أجل الفكر فقط .. وبحكم الحياة في ذلك الوسط كنت أسمع عن مغامراته ومغامرات غيره .. لا أنكر أن عناصر كانت تدخل الحزب ليست مشبعة بأفكار الحركة العالمية ، كانت تحقق لها رغبات شهوانية دون مساءلة وحساب ، ودون تعب ضمير .. وهذا من الجنسين يقع .. فالحرية الجنسية موجودة في الفكر الشيوعي ، لا شيء عندنا اسمه العفة أو البكارة كما في بلادنا العربية ؛ لأن الشيوعية في مرحلتها الأخيرة هي المشاعية في كل شيء ، وعلى رأسها الحياة الجنسية .

ـ سمعت أن هذا الأمر حدث في روسيا الستالينية ثم توقف .

ـ بسبب الأمراض الجنسية .. وهذا النشاط الجنسي والعلاقات أمر شخصي .. لا أستطيع أن أنكر وجود ذلك بين الأعضاء الصغار والكبار .. ولكن الهدف الكبير للشيوعية العالمية تحقيق العدالة الاجتماعية لكل شعوب الأرض ، وإنهاء الرأسمالية والطبقية .

تحدثت عن حياتها الشيوعية خلال سنوات الجامعة ، وعن نشاطها وحماسها للثورة العالمية للقضاء على الإمبريالية ، وانتقلت للحديث عن نشاطها القوي في نقابة المهندسين ، وإنها من القلائل اللواتي فازت بالعضوية النقابية في أكثر من دورة ، واعترفت بأن الإسلاميين كانوا يحاربون بشدة في العمل النقابي ، وأن لديهم فكرا عفنا .

ولما انتصف الليل قال إدريس : سألخص الكلام كما فعلت في مذكرة مراد ، وأعرضها على

حضرتك ، فالذي ترينه غير صالح للنشر تضعين عليها خطا أحمر ، وما يحتاج لتعديل نعدله ، سأنصرف تأخر بنا الوقت ؛ لكن ليتك تحدثينني عن عصابات التصوير ؛ لعلي أجد في البحث بعد انتهاء مهمتي في المقابلات ، فأهتم به واجعله موضوعي القادم.

ـ حسنا يا إدريس نحن بدون ذرية إذا أحببت المبيت عندنا فالبيت يسعك !

ـ أنا هذا موعدي في النوم منتصف الليل .. لكن حتى لا أعود مرة أخرى أسمع أم تحبين أن نجعله لجلسة أخرى .

ـ هذا يرجع لك.

ـ أنا أحب الآن ؛ لأني في المرة القادمة سأقدم لك ما سينشر .

قالت : الحكاية باختصار قد كان في الكلية أو بين طالبات الجامعة فتيات ذات جمال وفتنة ، ولا يسمحن بالتصور عراة ..ولابد أن محاولات جرت معهن ، ولسن شريفات بمعنى لا يصاحبن ؛ إنما هنّ يركضن وراء الغرام والهيام والرسائل والكاسيت .. وأولئك وراء الدعارة .

ـ أفهم عليك وما تقصدين ؟

ـ نعم ، فهؤلاء الفتيات يدعون لحفلة عيد ميلاد مناسبة مختلقة ، ويذهبن لشقة الحفلة للمرح واللهو .. وهناك يطعمن أو يسقين المخدر من خلال الخمر أو العصير .. ثم ينقلن لمكان التصوير داخل غرفة معدة في الشقة ؛ بحيث عندما تعرض الصورة عليهن فيما بعد يعتقدن أن التصوير كان في مكان آخر ، وليس في الشقة .. ثم تتعرض الأنثى للابتزاز والتهديد لبيع جسدها ؛ وربما تصور الفتاة عارية وفوقها رجل لا يظهر وجهه لمزيد من الضغط والتهديد .. ثم تعاد الفتاة بعد التقاط الصور إلى شقة الحفلة .. ولا تعرف أنها صورت عندما نامت .. تفسر أنها أكثرت من الأكل والشراب وأن الصداع بسبب الشرب والتعاطي والرقص والغناء وبعد حين وأشهر تعرض عليها الصور فلا تتذكر كيف صورت ؟ لأنها تكون حضرت أكثر من حفلة بعد تلك الحفلة الخاصة

ـ نعم ، ذلك ربما ما حصل مع السيدة نبيلة خالد .

ـ بالتأكيد ، وهم لم يستفيدوا من تصويرها لحدوث الزواج ، فاضطروا لعرضها على سيف لتطلق طمعا بإخضاعها.



قدم سيف زائرا لبيت صديقه الجديد الكاتب إدريس لبن ، وكان إدريس قد جلب الطعام الجاهز للبيت ، فهما كانا على موعد ، وانتقلوا للمطبخ حيث مائدة الطعام ، وتناولوا العشاء ، وقدم المهندس الشكر للسيد إدريس، وخلال المائدة روى له قصة الشقق والتصوير التي سمع عنهما من مراد وسوزان ، واشتراك بعض الطلبة فيها للإفساد مقابل الحصول على المال والمخدرات ، ولما انتهى الطعام وانتقلوا لصالة الشقة قال إدريس : أتظن أن هذا حدث لنبيلة خالد ؟!

قال سيف بشك : لا أدري ! لم أسمع عن ذلك شيئا .. هذه لابد أنها تمارس على نطاق ضيق وسري للغاية .. وأما الحفلات والسهرات فكانت شائعة بين الطلاب ، وفي الحي الذي نعيش فيه ما زالت الحفلات والمناسبات قائمة .. هل يمكن أن يتعرض أحدنا للتخدير ولا يشعر به بعد الاستيقاظ منه ؟!

ـ إذا خدر شخص بحيلة ومكر فإنه يدرك أنه كان مخدرا ؛ فإنه يستيقظ مشوشا مضطربا .. وقد تحدث له أعراض جانبية نحو القيء والغثيان جفاف الفم والحلق وذلك بحسب نوع المخدر المستخدم .. وربما يلجأ للمنومات فهي أقل خطرا.

وتابع قائلا: هي كانت تنكر تعرضها للتخدير ، ولو من عهد بعيد .. وسوزان لا تعرف هل تعرضت نبيلة لتخدير أو هل ذهبت لتلك الشقة ؟ وهي وصفت الطريقة المستخدمة في تدمير المخدوعات .. سهرة دعوة في شقة خاصة ، ثم يحدث التخدير ، وتصور الفتاة في مكان خاص

داخل الشقة أو مكان معد للتصوير .. وتصور صورا إباحية ، وتعاد إلى قاعة الحفلة .. ولما تستيقظ من التخدير فيغلب على ظنها أن الخمر أثرت فيها ، وأتعبتها ، وأنها نامت من السكر والعربدة ؛ لأنها وجدت نفسها في نفس الشقة والمكان .. ولا تظن أنها تعرضت للتخدير والتنويم .. ولا تظهر الصور إلا بعد المشاركة بعدة حفلات تالية .. وبعد حين ترى الفتاة صورها العارية .. فلا تدري كيف صورت ؟ وأين تعرضت للتصوير أو ينتابها الشك ؟

ـ ألا يستطيع الإنسان أن يميز بين النوم والتخدير ؟

ـ الصورة أنت رأيتها ، ودققت النظر فيها .

ـ نعم

قال : هل تتذكر الآن أنها كانت مغمضة العينين أم مفتوحتين ؟

ـ على ما أذكر أنها لم تكن مغلقة تماما ، ولم تكن مفتوحة تماما .. وتدرك أن المصور كان حريصا أن تظهر في الصورة العورة والوجه حتى لا ينكر صاحب الصورة أنها لم تكن صورته وأنها صورة مركبة من جزئين .. أنا تلك الأيام لم يخطر في بالي مثل هذا المكر والكيد وهذه العصابة .. فأنا اليوم أكاد أجزم أن ذلك حصل لفتاتي يا إدريس .

ـ هذا واضح يا صديقي ؛ لكن هل لهذه الدرجة لم تشعر نبيلة بالوضع واللعبة القذرة ؟

قال سيف : نبيلة كانت فتاة مرحة جميلة وتحب اللهو والسهر والأصدقاء ، ولم تشرب الكثير من الخمر حسب ما علمت منها وعنها .. وربما تثمل في بعض السهرات ، وتفرط في السكر لا تنسى أننا أبناء حي يرى الخمر كالماء ومن عاداتنا الشرب ؛ لكنها أنكرت بقوة أنها تعرت في سهرة أو تعرت لتصور خالعة ملابسها كاملة

ـ حتى لو أنكرت ، فهي قد صورت ، فالصورة تدل على حدوث ذلك .

ـ اعترفت بأن الصورة حقيقية لها ، وأنها صورت بخدعة ما .. وهي كانت راغبة بمعرفة كيف صورت ؟؟ولكن هيهات هيهات أن نعرف إذا لم تعرف .. لم أكن أعلم بمثل هذه العصابة .. وربما هي مثلي .. لم تشر إلى ذلك ، وهي تدافع عن نفسها .. هل تستطيع أن تصل

لشخص شارك في التصوير أو ساعد ؟

قال إدريس : لابد من مساهمين في الجريمة .. سوزان لم تذكر أسماء .. فالوقت بعيد ، هي ذكرت الطريقة المستخدمة .. وكما قلت إنه يمكن خداع الإنسان بالتخدير أو التنويم .. لكن عندما يصحُ من البنج والمنوم يتذكر أنه كان مخدرا أو منوما.

ـ لكن يا إدريس عندما تستيقظ الفتاة المخدرة أو المنومة ، وتجد نفسها في نفس الغرفة وحولها نفس الفتيات ونفس الأشياء من كراسي وسجاد وأشرطة هل سيقع في نفسها أنها تعرضت لتخدير ونقل وتصوير ؟!

ـ أحيانا يشعر المخدر بأنه محمول ، لكن يصعب عليه أن يتذكر أنه تعرض لتعري وتصوير في أوضاع مريبة كما تفعل إسرائيل في اصطياد بعض العرب للتجسس تحت التهديد والابتزاز ؛ لكنه عندما يرى الصورة يا سيف ألا يتذكر تلك السهرة ؟

ـ هذا سؤال يحتاج لطبيب تخدير .

ـ أحسنت ! نحتاج لطبيب مهتم في آثار البنج والذاكرة .. فأنا أسمع أن الإنسان تحت البنج قد يسمع أو يتحدث ، ويهذي بكلام ويعترف بأشياء لا يقولها وهو صاحي .. ويعللون ذلك باللاشعور واللاوعي .

قال سيف : وأنا مثلك أسمع ..علينا أن نستشير أخصائي تخدير أو علاج نفسي.

ـ ربما أيضا لكمية البنج ، ونوع البنج أثر في اللاوعي .. وبعد شهور من الحادث لا يتذكر الإنسان ذلك التخدير ؛ وربما لكثرة السهرات والحفلات لا يتذكر.

ـ ولكن نعود إلى القول إذا نام ألا يسأل بعد استيقاظه لماذا كان نائما أو مضطجعا ؟ لا يحل اللغز إلا مجرم شارك في الجريمة يا إدريس !

ـ أكيد لو وصلنا إلى المجرم لحللنا اللغز من زمان .. من يعترف أنه قام بالتصوير ؟! من قام بالتخدير ؟!

قال سيف: الحقيقة أنك تقدمت تقدما كثيرا ، هل ستتابع المقابلات ؟

ـ سأعمل على مقابلة ثالثة ، وأتوقف ، ثم أعمل على النشر .. إن هناك مشاكل .. ورئيس التحرير عنده رأي آخر .

ـ هل تعرف طبيب تخدير بما أنك موظف صحة ؟

ـ سأفكر بذلك ، لا يحضرني أحد اللحظة .. نعم ، يجب أن نعرف كيف خدعت تلك المرأة ؟ لو أثبتنا براءتها لكان هذا خير ونجاح .

قال سيف : أنت مقدام يا إدريس! لا أدري لماذا تقاعست عندما أردت التعرف عليّ ؟!

تبسم إدريس وقال : هكذا أنت أيها الصديق! طبع طبعت عليه .. ألم تقعد سنتين قبل الخضوع لحب نبيلة ؟! أحببتها من أول أيام الكلية ، وانتظرت سنتين لتعترف لها بحبك بشخصها ؛ لكن الغريب أنك طلقتها بسرعة .. ألم تندم ؟

فكر لحظات ثم همس : الصورة لم تجعلني أندم .. الصورة جعلتني أرى كل النساء خائنات ، بائعات هوى .. وكما رأيت أخواتي متحررات أثناء الجامعة .. قلت كل النساء سواسية ، وكلهن يخن الثقة .. ذكرت لك أن أختا لي اختفت مع رجل يومين دون علمنا ، وقابلنا العودة ببرود مع أن

صاحبها اعترف بأشياء سيئة.



اتصل المحامي خلدون مالك الجريدة الأسبوعية بإدريس ليلا وقال : لك زمن لم تزرنا يا إدريس.. هل أنت بخير ؟

ـ نعم ، يا أبا بسام أنا بخير ، وصحتي جيدة .. وأنا مشغول بمقابلات مع بعض شيوعيي عصر الستينيات .

ـ وأنا متصل بك من أجل ذلك .

قال : ومن أخبرك باهتمامي بذلك ؟

ـ سمعت في البداية من الطابع منصور .. وكنت أنتظر زيارتك لأفهم الموضوع بالتفصيل

وأهميته .. ولمن تكتبه؟

ـ نعم ، هذا في البداية والتالي!

ـ التالي يا سيدي تحدثت معي طبيبة اسمها هند تتكلم عن صورة لأمها وهي صورة سيئة .

ـ هند .. من هند ؟!

ـ هند غريب ..طبيبة من سكان حي بهية.

ـ هند غريب ..لا أعرفها ، وماذا يهمها من موضوع الصورة ؟ وكيف عرفت بموضوع اهتمامي بهذه الصورة ؟!

ـ جميل !! تركت هاتفها وترغب بلقياك والحديث معك .

ـ أين ؟

ـ اكتب الرقم ، واتصل بها .. وذكرت لها أنني لا علم لي بشأن الصورة .. وقلت لها إنك تكتب لنا بين الفينة والأخرى ، ولست موظفا لدينا .

وانتهت المكالمة ، وعلى الفور اتصل إدريس بسيف ، ولما رد عليه قال: أتعرف طبيبة اسمها هند غريب؟

ـ هند غريب ..ولماذا؟!

ـ أتعرفها ؟

ـ لا أعرفها ؛ ولكن أعرف من هي ؟

ـ من هي ؟

ـ إنها ابنة نبيلة خالد .

شهق وقال : المهندسة نبيلة خالد ! وهل تعلم عن قصة الصورة شيئا ؟ وروى له حديث رئيس التحرير معه وأنها تسعى لمقابلته .

ـ ولماذا تريد مقابلتك ؟!

ـ للحديث عن الصورة بالتأكيد .. هل سوزان لها معرفة بها ؟

ـ سوزان صاحبتنا !

ـ نعم ، إذا كانت بينهما اتصالات ، قد تكون حدثتها عن اهتمامنا بشأن الصورة .

ـ هي درست معنا يا أستاذ إدريس ؛ ربما ظلتا على صداقة بعد التخرج ..

وهي تعرف بقصة زواجنا وانفصالنا السريع .. فأعتقد أنها استمرت بصداقة مع نبيلة .. عليك الاتصال بسوزان وسؤالها مباشرة عن الموضوع .. وهل ستقابلها ؟

ـ سأقابلها بالتأكيد ، قد يكون لديها أسرار من أمها .. أليست هي التي أرسلت الرسالة لك ؟

ـ أعتقد أنها هي التي حملت الرسالة .. وهي من سكان الحي ، وطبيبة معروفة ؛ ولكن عملها في عيادة مع زوجها في منطقة أخرى.

ـ حسنا يا سيف إلى اللقاء ! سأتحدث مع سوزان أو أذهب وأُقدِّم لها صورة عن المذكرة التي ستنشر عن مقابلتنا كما وعدتها .

استقبلت السيدة وزوجها السيد الكاتب إدريس ، وقدم لها المذكرة أو التقرير الذي كتبه عن قصة تعلقها بالشيوعية والماركسية في الستينيات ، وعن نشاطها الحركي ، وعن مستقبل الشيوعية في عالم العرب .

أعجبت المرأة بالمقال ، وكذلك زوجها ، وعلقت : إنك مبدع يا أستاذ إدريس رغم أن الصحافة عندك هواية وليست احترافا!

ـ نعم ، لست محترفا يا سيدتي ؛ لكني أحسن الكتابة في كل المواضيع .. لديّ سؤال

ـ تفضل .

ـ هل كنت على صداقة بالمهندسة الراحلة نبيلة خالد منذ سنة ؟

ـ طبعا ، كانت صديقتي وابنة كليتي أيام الشباب .. كنّا نلتقي ونتقابل ؛ وإن كانت على فترات متباعدة .. هي أرستقراطية ؛ ولكنها زميلة كلية .. وكانت نجمة هادئة في الجامعة .. وهي التي تعرضت لمكيدة الصورة التي دار بيننا الحديث عنها .. ولماذا السؤال ؟!

ـ هل تعرفين ابنتها هند ؟

ـ طبعا ، وهي طبيبتي المفضلة.. ما الأمر ؟!

ـ الأمر أنها تريد مقابلتي للحديث عن تلك الصورة القذرة لأمها .

ـ آه ! قد أكون أنا السبب .. لقد ذكرت لها اهتمامك بموضوع الصورة والشقق السرية لصيد الفتيات .

ـ انتهى الموضوع .. المقال الآن جاهز إذًا لا ترغبين بالتعديل والإضافة .

ـ وهل اتصلت بك ؟

قال : لا ، اتصلت بالجريدة .. لا تعرف هاتفي .. فاستغربت معرفتها اهتمامي لقصة الصورة التي سببت انفصال أمها عن المهندس سيف الزوج الأول .

قالت : بعد مقابلتنا كان لي موعد مع الدكتورة هند في العيادة .. وعادة عندما نلتقي يكون حديثنا حول أمها نبيلة التي تربطني بها صداقة قديمة .. ولا أدري كيف تطرق الحديث إلى المقابلة والماضي وذكرك واهتمامك بالصورة ؟! تحدثنا عنها وأبدت اهتماما بذلك ، وقالت بجرأة: أتعرفين يا مهندسة سوزان من صور أمي تلك الصورة القذرة ؟ فأنكرت .. فقالت : ما زالت تؤرقنا وتنغص علينا .. فأنت تعرفين المهندس سيف الدين زوج أمي الأول .. فهو تعقد من النساء .. وترك الزواج ، ويعيش وحيدا من أجل تلك الصورة .

قبل أن يغادر منزل سوزان وعماد طلب منها ترتيب لقاء مع طبيبتها هند غريب ، ورغب أن يكون في منزلها إذا سمحت الظروف أو مكان عام ، فاختارت السيدة أن يكون اللقاء في مطعم معروف ، فقبل إدريس الدعوة ، وقال لسوزان: كيف اهتمت هي بالموضوع؟

ـ لقد جاء بيننا ذكر أمها كما قلت لك، فذكرتني الذكرى بالحوار الذي دار بيني وبينك وبين مراد ، فشدها الموضوع خاصة موضوع الصورة العقدة والتي اهتممت أنت بها بدورك .. وذكرت لي أنك ستسعى لحل لغزها ، وقابلت المهندس سيفا من أجلها .. وأنا أعتقد أن لها علم بحكاية زواج أمها الأول ، وطلاقها السريع .. ولا تنسى أن حضرة المهندس من سكان نفس الحي من أجل ذلك أحبت اللقاء بك شخصيا .

قبل هذا التعليل وودع إدريس السيد والسيدة ، وقال وهو يغادر البيت : عندما يتم النشر سأضع بين يديك بعض الأعداد .

ـ يسرنا يا أستاذ التعرف عليك .. وهل ستنشر المقال كما قرأته وكتبته ؟

ـ في الغالب نعم .. هؤلاء ـ يقصد رئيس التحرير ـ كما تعلمين يقدرون المسؤولية الأدبية ؛ ولكن خبرتهم تدفعهم أحيانا للتعديل أو الإضافة والحذف حتى لا يعترض على النشر .

ـ أما زالت الرقابة على الصحف ؟ ألم ترفع ؟!

ـ كلام يا سيدتي .. ولكنها أضعف من الماضي .. اليوم يمنعون النشر باسم القانون والإساءة وغير ذلك من المصطلحات الرنانة .

ـ موفق يا بطل .. من سيكون التالي؟

ـ بقي اثنان . وذكر اسما

قالت: ابدأ بالسيدة سمر ..كانت معنا في الجامعة في كلية التمريض ، وأغلب وقتها مع طلاب الهندسة ..كان لها حبيب أو صديق مهندس .

ـ أعرفه المهندس خالدا .. وتزوجا بعد الجامعة ، ثم وجدته مع امرأة أخرى في بيتها .

قالت : هو كان يعرف فتيات غيرها من خارج الجامعة ؛ ولكنها كانت الأولى والمقدمة .. والرجل تزوجها دونهن .. وهي كانت تتساهل معه في غرامياته وصدقاته مع أولئك النساء .. وبعد الزواج طلبت منه أن يعقل كما نقول .. ولم يعقل ، فعاشا أربع خمس سنوات ، ثم حدث الانفصال .. وولدت له ولدا ثم مات ، ولما طلقها سافر إلى أمريكا.

ـ بلد الرأسمالية !

ابتسمت وقالت : لم يكن الاتحاد السوفيتي يستهوي الشباب المهاجر ، ولم يكن الشاب شيوعيا مثلها .. كان محبا للرأسمالية ربما جكرا بها وإغاظة لها .. وما زالت علاقتنا قوية معها .. وهي من الناشطات في ذلك الزمن.

فقال : ولما طلقت ؟

ـ تزوجت رجلا من الحركة ، وما زالا زوجين سعيدين .. وهي بعيدة عن أسرتها وإخوتها .

عاد إدريس لمصافحة السيدة على مدخل البيت ، ومكررا الشكر على الضيافة والمعلومات.

لَبس إدريس أحدث بذلة يملكها ، وانطلق إلى مطعم اللقاء في حي بهية .. وهو يعرف الحي معرفة تامة ، وتردد عليه كثيرا بسبب سيف الدين ومطاردته .. دخل المطعم ورأى الطبيبة تجلس على مائدة تحدق في الداخلين ، وبين يديها وردة بيضاء ، فابتسمت له ، وأشارت له ، فتقدم نحوها ؛ كأنه يعرفها من سنوات .. تقدم باسما ومصافحا وقائلا : الدكتورة هند!

ـ نعم ، السيد إدريس !

ـ نعم ، مرحبا كيف الحال ؟

ـ بخير .. تفضل بالجلوس .

جلس السيد قبالتها وقال : وحيدة!

قالت : نعم ، وحيدة أحببت أن أقابلك وحيدة ؛ولكنهم يعرفون خاصة زوجي بهذا اللقاء .. أنا والدي الدكتور غريب .. وجدي وزير صحة سابق وقديم .. وزوجي الطبيب محمود .

ـ أنا إدريس موظف سابق ..عملت في الوزارة عهدا ، ثم انتقلت للعمل في صحة البلدية .. أرمل يا سيدتي ، ومتقاعد في الوقت الحاضر .. أهلا بك .

حضر نادل المطعم بإشارة من السيدة المعروفة لهم ، ووضع أمامهم قوائم الطعام ، فقال إدريس : اطلبي أنت يا سيدتي أنا آكل كل شيء .. وأنا شاكر لك هذه الدعوة ،وإن كنت أحب أن نتعارف على فنجان قهوة .

ـ هل عرفت سبب اجتماعي بك ؟

ـ الصورة .. ذكرت لرئيس التحرير الصورة القاتلة ، وقابلت المهندسة سوزان التي تحدثت معك عن الصورة .

ـ أعرف ذلك ؛ لأنها تكلمت ، وأنت عندها.

ـ أجل ، هذا صحيح .

قالت : أنا أعرف تفاصيل قصة الصورة يا أستاذ إدريس .. الصورة التي كانت سببا لزواج أبي غريب من أمي نبيلة .

ـ نعم ، هذه حقيقة .

ـ أنت لا تعرف أمي !

ـ أبدا ، لم أرها في حياتي .

ـ وكيف عرفت بقصة الصورة ؟

تبسم قائلا : من نفس المهندس سيف الدين حاكم وردة .. فقد تعرفت عليه من بضعة شهور هذه حقيقة .

ـ أنت تعرفه حق المعرفة .

ـ أعرف قصة زواجه ، ثم طلاقه لأمك بعد أسبوعين أو ثلاثة من زواجها بعد قصة حب اشتهرت في ساحات وحدائق الجامعة .. وأمك ـ رحمها الله ـ كانت تجهل جهلا تاما كيف صورت تلك الصورة ؟ وقرأت الرسالة التي أرسلتها أمك ، وهي على فراش الموت تطلب من السيد المهندس أن يسامحها ، وتؤكد له من جديد براءتها .

ـ أوه ! أنت مطلع بشكل واسع على القصة .

ـ أجل يا سيدتي .. وأنا سوف أبحث عن الحيلة الماكرة التي صورت بها تلك الفتاة المسكينة تلك الأيام.

وضع الطعام المختار على المائدة ، ومسحت الدكتورة دمعات ، وقالت: أمي كانت مظلومة يا أستاذ إدريس .. كاشفتني بتفاصيل حياتها في الجامعة، ومع السيد سيف ؛ ربما لا تعرف السبب .

ـ نعم ، لا أعرف السبب .

قالت : السبب أيها السيد أن قريبا لي ابن عم تعرف على فتاة من آل وردة

من أقارب السيد سيف ، ورغب بها زوجة ، فصار لغط شديد ،

وغضبت أم أمي جدتي ، ورفضت هذا الزواج .. وذكرت الجرح الكبير الذي أصابها من سيف آل وردة .. ونشرت القصة من جديد ، وفشل الزواج .. فاضطرت أمي أن تحدثنا عن تفاصيل تلك الحكاية ، لي ولزينب شقيقتي الصغرى .

ـ نعم ، جريمة الصورة .

ـ وأنت ما معلوماتك عن الصورة ؟ وما هو دور سوزان في القضية ؟

ـ لا دور لها ، هي كانت زميلة لأمك في الجامعة ولسيف ولمراد وغيرهم .. وكانت مطلعة على قصة الحب التي كانت بين أمك والمهندس سيف ، وصدموا بالطلاق الذي حصل ..وأثار لغطا واستهجانا بين الزملاء .. وانتشر خبر الصورة التي سرعت بالطلاق .. فالمهندس سيف شخصية صعبة ومترددة أقولها بصراحة .. ربما القرار الوحيد الذي لم يتردد فيه هو طلب الانفصال .. فقد أخذ الموضوع بحساسية شديدة .. وتسرع .. فهو اعتقد أن وراء الصورة لعبة ماكرة ، وأن الزواج العاجل وراءه أمر خطير تغطية لدعارة وإباحية .. وأنه مكر به وجعل غطاء .. كان مصدوما منذ شاهد تلك الصورة .. أمك كانت جميلة وفاتنة كما قيل لي ، وحولها أصدقاء وشبان في الكلية في النادي وفي الحي .. واختارته فارسا دون غيره .. فاهتز وصدم جدا عندما عرف بأمر الصورة .. وأمك ـ رحمها الله ـ أنكرت معرفتها للكيفية التي تمت بها الحيلة .. فشعر الرجل أنه مخدوع ؛ ولكني علمت من السيدة سوزان أن عصابات تعمل في الجامعات على تصوير بعض الفتيات بصور مريبة للابتزاز والدعارة ؛ فكأن أمك تعرضت للخداع ، فصورت بوضعية مزرية ، لا أعني أنها مارست الحب بسبب تلك الصورة الصورة كشف أمرها بعد حصول الزواج .. وكان القصد منها أن يحصل الفراق بينهما وحصل .. الهدف واضح من كشف الصورة لسيف .. وليس لأمك أولا .. وعلمت من سوزان أن هؤلاء الخبثاء يصورون الضحية دون علمها ، وبعد شهور أربعة خمسة تعرض عليها تلك الصور الشيطانية .. فإما أن تستسلم لرغباتهم والانصياع لهم أو تثور ؛ والضحية

لا تدري كيف صورت ومكر بها ؟ لأنها ربما شاركت بعشرات السهرات والحفلات بعد حفلة التصوير السرية .. وسوزان تعرف ذلك من بعض الضحايا التي التقت بهن ؛ لأن بعض الفتيات كانت تلتحق بالحركة اليسارية هربا من عصابات الدعارة .. وأكيد أنت تعلمين أن السيدة شيوعية مخضرمة من جيل الستينيات ؛ ولكنها رفضت ذكر أسماء لي .. وإنما بينت طريقة الابتزاز والخداع .. تستدرج الفتاة المحبة للحفلات والسهرات إلى شقق الزميلات اللواتي يسكن بسكن خارجي .. هي سهرة ومرح وغناء جر رجل كما نقول .. تتعرض المقصودة لتخدير في القهوة في العصير في الخمر .. تنقل إلى حجرة لإجراء التصوير .. ثم تعاد إلى مكان السهرة .. فتظن أنها نامت من الشراب من الطعام .. لا يخطر في بالها أنها صورت صورا قبيحة إباحية .. وبعد شهور تعرض عليها الصور .. فلا تدري كيف ومتى حدث هذا المكر ؟ فأعتقد أن السيدة نبيلة تعرضت لمثل هذا الترتيب الشيطاني .. ولم تعرض عليها الصورة أو الصور ؛ لأنه لم يحن وقت الابتزاز .. فخطبتها وزواجها أفشل المخطط .. فورطوا أحد الزملاء بكشف أمر الصورة لسيف .. وهو فعل ذلك آملا الزواج منها ؛ لأنه طاردها منذ التقيا في الكلية .. ولكنها اختارت سيفا دونهم .. أرشده مراد أحد المغرمين بالسيدة إلى بائع الصورة ، وابتاع منه الصورة في أحد مقاهي المدينة .

ـ هكذا روت أمي القصة أيضا .. كانا في حالة ذهول وصدمة .

توقف عن الأكل ، وقال : الحمد لله ، أنا حياتي الأكل في المطاعم ؛ لأنني لم أتزوج بعد ترملي أنت يا دكتورة لماذا اهتممت بأمر الصورة ؟!

ـ كانت أمي حزينة لما آلت إليه حياة المهندس سيف .. فهو ابن حينا وجارنا .. فأخباره عندنا وهو كما تعلم حبها الحقيقي الأول .. والظروف أجبرتها على الزواج من والدي .. فلم تنساه أمي .. وإن كتمت ذلك عن الجميع ، كان زواجها الآخر سريعا ؛ لأن أبي كان متعلقا بأمي قبل زواجها من السيد سيف .. فنسيان الماضي لم يكن سهلا .. فقصة دامت خمس سنوات ـ سنوات الجامعة ـ لم يكن نسيانها سهلا عليها .. وسبب لها ذلك الكثير من النزاعات مع أبي ..

أدركنا ذلك لما علمنا القصة .. أمي كانت تتخيل نفسها إحدى بطلات القصص والروايات المصرية الرومانسية والعاطفية .. ومأساتها عمقت هذا التعلق بتلك القصص .. حياة المهندس سيف العزوبية كانت تؤرق أمي .. لو تزوج بعد تلك الأزمة يا أستاذ إدريس ربما ارتاحت أمي .. ارتاحت نفسيا ؛ لكنه ظهر لنا أنه تعقد من جنس النساء بسبب تلك الصورة الرهيبة .. والنَّاس لا ترحم .. فكنا نسمع أن أمنا السبب .. لماذا لم يتزوج المهندس ؟ السبب نبيلة وهو اسم أمي .

ـ ألم تحدث أمك بعد حين من الزمن عن كيفية خدعت وصورت ؟ فسيف يعترف أن أمك أنكرت بكل قوة وشدة معرفتها للخدعة التي تعرضت لها .

قالت بحزن بين : ماتت أمي وهي تتمنى لو تعرف الخدعة الرهيبة لالتقاط تلك الصورة ..لا تذكر أنها نومت أو خدرت.

ـ إنها كما يقول سيف عارية تماما .

ـ أنا فكرة الشقق السرية الشقق السوداء المظلمة راقت لي .. وأنا في الجامعة في كلية الطب سمعت بمثل هذه الأماكن قبل أن تسمع من سوزان ؛ ولكني لم أكن أصدق ذلك .

قام الخدم بتنظيف المائدة ، وطلبت قهوة لها ولضيفها وقالت : حديثك

عن تلك الشقق كأننا في عالم الجاسوسية .

ابتسم وقال : نعم ، يا دكتورة .. كانت إسرائيل وما زالت تستدرج شبان وشابات فلسطين للعمل كجواسيس وعملاء على أهليهم ، فيستدرجون إلى شقق خاصة بعد اختيار الضحايا فيخدر ويصور في أوضاع جنسية قذرة ، ثم يهدد بعرض الصورة الفاضحة عليه ؛ فإما أن يتعاون معهم أو تنشر هذه الصور أمام أهله وأبناء بلده .. فأمام هول المناظر يضعف ؛ ليكون عميلا لهم حتى يفتضح أمره .

ـ سمعت بمثل هذه القصص .

قال إدريس : وهذا الاحتيال يستخدم مع بعض طالبات الجامعة ، وأعتقد أن السيدة تعرضت

لمثل ذلك الكيد .. والمدروس لا يعرف أنه مكر به إلا عند مشاهدة الصور .. فإذا طال الأمر لبعض الوقت سينسى متى خدع ومكر به ؟ وحين يكون الإنسان في سهرة ، وتناول مسكرات وأطعمة ثقيلة وقد رقص وتعب ، فلما يستيقظ سينسب ذلك للإفراط في الخمر والسهر .. لا ينسب الصداع والألم لتعاطي مخدر إذ أنه جاهل تعرضه للتخدير أو التنويم الإجباري .. هل يدرك الإنسان أنه خدر قسرا إذا لم يكن هناك علامات وإشارات يا حضرة الطبيبة ؟!

ـ التخدير الطبي يكون بعلم المريض أو مرافقه إن لم يكن واعيا نتيجة حادث أو ضرورة إن لم يكن معه أحد .. وهو جزئي وكلي حسب العملية المراد فعلها .. فطبيب الأسنان يبنج اللثة أو موضع العلاج .. والمخدر الطبي له مدة وكمية ، ويقوم به طبيب مختص في التخدير خاصة للعمليات الخطيرة .. ويراعى السن والصحة .. وتأثيره على الجهاز العصبي حتى لا يحس المريض بالألم أثناء الجراحة .. فبعد التعرض للمخدّر يفقد الإنسان الوعي وهذا الأصل .. فأما في الموضعي يتخدر موضع الجراحة ، ولا يفقد الشخص وعيه .. وأما تخدير السليم فيقصد به أن يفقد الشخص وعيه وتهمد أعصابه .. ولا يدري ما سيفعل به إذا خدر وهو واعيا ؟! .. أما غدرا فلا يدرك أنه خدر إلا إذا استيقظ ؛ وربما لا يدرك كما قلت ينسبه لعوارض من كحول ومخدرات نعس شديد أشياء أخرى .. إذا الشخص لا معرفة له بالتخدير لا يخطر على باله أنه خدر رغم أنفه .. قد يتعرض المخدّر إلى غثيان أو حاجة للقيء ؛ ولكنه لا ينسب ذلك للتخدير ؛ لأنه يجهل أنه خدر .. وقد لا تحدث له أعراض التخدير الكثيرة .. أما في حالة التنويم بالمنومات ، فقد لا يدرك أنه نوم بمادة منومة إذا كان متعودا على استعمال المنومات .

ـ ألا يشعر المخدر بما يفعل به ؟

ـ نوع المخدر وتأثيره وكميته له دور في ذلك .

قال : لو أمك فرضا أعطيت مخدرا في كأس شراب في طعام هل تحس أنها خدرت بعدما تستيقظ ؟

ـ حسب معلوماتي أنها تدرك أنها لم تكن في وضع طبيعي.. وإذا أخذ الشخص جرعة غير مناسبة قد يفقد الذاكرة ، وقد يموت .. آثار جانبية تظهر ؛ لكن قد لا يستطيع تفسيرها إن لم يتخدر من قبل .. وعندما يكتشف أنه تعرض لتخدير فسيتذكر ما حصل له من تخدير .. وأمي كانت تنكر بقوة تعرضها لتخدير في حفلة سهرة أو منوم .

ـ لكن يا دكتورة بعد شهور هل يفطن الإنسان أنه تعرض لذلك ؟ وإذا حضر المزيد من الحفلات هل يتذكر ؟

ـ الذاكرة لا تنسى .. تخزن الأحداث العقل الباطن .

قال : أنا سأجلس مع طبيب عمليات وغرف التخدير وأسمع منهم .. أنا فكرت بهذه القصة بعمق .. كيف يخدع الإنسان ولا يدرك أنه خدع ؟!

ـ كيف ؟!

ـ كيف ...! أحد يهمه أمرك .

ـ أحد . وتطلعت حولها وهمست: هذا ابني .

ـ نعم ، أراد أن يقترب منا ، ثم تراجع .

فابتسمت هند وقالت : أسامة تعال .. هذا الأستاذ إدريس .

قام إدريس مصافحا للشاب ، وقال الشاب: أبي قلق عليك .

قالت : اذهب إلى هناك واطلب ما تشاء .. لم يبق الكثير من الكلام .

ولما ابتعد الشاب قالت : وقفنا لكيف يا أستاذ إدريس .

قال : كيف ؟ أنا فكرت يا دكتورة ـ أنا حياتي القراءة والكتابة والفضول ـ لو فرضنا أنها تعرضت لمنوم .. فيشعر المنوم بالنعاس والنوم وينام حيث يكون أليس كذلك ؟

ـ بالتأكيد ؛ ولكنه قد ينتقل لغرفة النوم قبل أن يستسلم له .. الأصل أن ينام إلا إذا فسد مفعول المنوم أو لم تكن الكمية مناسبة أو أكل طعاما أضعف مفعوله .. المنوم يشعر بالاسترخاء ثم تنام العيون .

ـ هل لو نوم الشخص يفقد الوعي كالتخدير ،وأنه نوم رغم أنفه؟!

ـ سوف يدرك بعد الاستيقاظ أنه كان نائما .. إذا كان في حفلة وشراب وأكل وتعب قد ينسب ذلك إلى التعب والإرهاق .

ـ أعتقد أن أمك نومت رغم أنفها.

ـ لكن المنوم قد يستيقظ في أي وقت إذا حرك نقل أوذي بدنيا .. وإذا أعطي أكثر من اللازم ربما تكون حياته في خطر .. وقد يشعر أنه غير مكانه .. وهو سيظن أن أحدهم ينقله إلى غرفة نومه .. ويحس بثقل ويعلم أنه حدث معه شيء .

قال: جميل ! هذا المنوم لو ترك حيث نام في قاعة السهرة وعري وصور ، ثم أعيد كل شيء لموضعه ليعتقد عندما يستيقظ أنه كان في حلم في كابوس خاصة عندما يجد كل شيء كما تركه عندما نام من الأشخاص والأشياء .. هل يدرك ما جرى له سرا ؟ فهو سيعتقد أنه نام من التعب والشراب والرقص والطرب .

ـ ما دام لا يعرف المنومات قبل السهرة قد لا يظن أنه نام رغم أنفه .. لا يقع له أنه بلع المنوم وإذا حصل ذلك في آخر السهرة وبعد منتصف الليل

ـ صحيح ما دام أن الشخص لم يتعامل مع المنومات ، ولم يخبر بذلك في الأغلب لا يدرك أنه تعرض لغدر .. فينسب نومه للإفراط في الطعام والسهر والشراب وخاصة بعد تأخر الوقت .

ثم قال : جميل ! اتفقنا أن المنوم غدر ؛ ربما لا يدرك تعرضه لذلك لثقته بمن يسهر معهم .. وبعد نومه أعطي مخدرا حقنة أو شما هل يشعر بشيء من ذاك ؟

ـ أتعتقد أن ذلك حصل مع أمي.. تنويم ثم تخدير .

قال : أعتقد هذا يا سيدتي !

لقاء مع إياد

التقى الصديقان والزميلان القديمان إدريس وإياد ، ولما فرغا من الضيافة المعتادة لخص إدريس لصاحبه نشاطه في قضية الصورة التي دمرت أسرتين أو عائلات .

فقال إياد : التخدير بعد التنويم لا أعتقد حصوله .

ـ لماذا ؟!

قال : استخدام التخدير فيه خطر كبير على حياة المخدر .. فالجريمة أكبر من اللازم .

ـ قد يشرف على التخدير طبيب منحرف .

ـ والتخدير يفضّل أن يعطى على جوع كما يجري في العمليات الطبية.. ويعطى على طعام ؛ ولكن قد يخرج المخدر طعامه ويقيئه خاصة إذا كان التخدر كليا ليس موضعيا .

ـ قد يقيء المخدر كما تقول .. وإذا خدر سرا قد يعتقد أن ذلك بسبب الأكل الزائد الفاسد وعلل في جوفه .. وقد لا يقيء المخدر .. وكلامك يا إياد عن المخدر لعملية جراحية ليس لعملية اعتداء وتصوير حتى لا يشعر بالألم والجراح .. أما تخدير لغرض آخر قد لا يستغرق وقتا طويلا ساعة أو أقل كما تخدر الحيوانات في الغابات والبرية .

قال : أنا عندي فكرة حول الموضوع لهذه الحفلة .

ـ ما هي الفكرة الإيادية ؟

ابتسم إياد لرفيق الدرب وقال : الفكرة يا سيدي أنها أعطيت جرعة مضاعفة من المنوم حبتين وليس هناك ضرورة لنقل الضحية لمكان آخر من الشقة، تصور في مكانها بعد إجراء بعض التغييرات الديكورية .

ـ فكرت في ذلك ، وهم حريصون على أن لا تتذكر الضحية مكان التصوير .. ونبيلة خالد لم تعرف أين مكان الصورة ؟ تخلى الشقة من الأشياء ، ثم تعاد .. قد يكون حصل مثل ذلك حتى لا يشعر المخدر بنقله وتخدره .

قال إياد : وأنت تراهنّ لا يلبسن الكثير من الثياب لستر أجسامهم .. ملابس داخلية

وقميص وتنورة أربع خمس قطع ..

تنهد إدريس وقال : لا يحل اللغز إلا أحد شارك فيه أو شارك في مثل هذه الجرائم !

قال : أكيد ؛ ولكن لنا يا إدريس أعطينا قدرات على التخيل ؛ ولعل السيدة سوزان لديها المزيد من المعلومات عن هذه العصابات الداعرة .. وما العمل الآن ؟

ـ العمل يا سيدي أن نبحث ونبحث حتى نلتقي بأحد المجرمين إذا كان على ما زال على قيد الحياة .

ـ وهل تراه يعترف بعد مضي كل هذه السنين ؟

قال إدريس : لعله يعترف من باب المكابرة والغرور .. الطبيبة هند أذكر أنها لم تعترض على حدوث التخدير بعد التنويم كما اعترضت أنت .

ـ ولماذا اهتمت هند بالقصة ؟!

ـ الفضول .. وتركت لها أمها تلك الرسالة التي كتبتها لزوجها الأول ؛ لتهتم بالأمر إلى حد ما.. الحكاية كلها عجيبة .. فعادة هؤلاء الأثرياء المتأثرون بالغربيين الغيرة عندهم ضعيفة نحو النساء والبنات .. فهم عشاق الموسيقى والحفلات والسهرات والرقص والسكر .. ونساؤهم شبه عاريات .. وسيف عاش حياتهم ؛ ولكنه صدم بصورة زوجته ، ليس غيرة إنما خيانة ومؤامرة .

ـ الغيرة لا تموت ؛ بل السكارى يغارون على بناتهم وزوجاتهم ؛ لكنهم يتساهلون بالمقابل ؛ لأنهم يتطلعون لزوجات وبنات أصحابهم .. في هذه البيئة لا دور في حركة الغيرة بين الناس .

عاد إدريس يقول : يا صديقي نحن لا يهمنا عادات الأغنياء .. رجال أو نساء وتلك الطبقة من المجتمع .. فهذه الفئة موجودة في كل المجتمعات .. أنا تعرفت على الرجل ؛ وبعد مطاردة كما تعلم عرفت قصته وعقدته .. فأنا أسعى لمعرفة لغز تلك الصورة الماكرة يا إياد .. لعلي بذلك أدفعه لإعادة ترتيب حياته ويتزوج .. تقدمنا كثيرا .. وهو مقتنع الآن أنه خدع ، ومكر به .. وعرفنا أن السيد مرادا زميله في الكلية لعب دورا قذرا .. وما كان دوره إلا مجرد بريد

حالما بالفوز بنبيلة التي صدته كل السنوات.. وفاز بها سيف الأحمق الساذج بنظره .. والماكرون يعرفون حقده وحسده لسيف ، فاستغلوه بكل خسة .. المحبون من طرف واحد لا إيثار عندهم خاصة في جامعة .. وهو شاب مغرور وصياد نساء فقبل بنقل الرسالة لسيف عن الصورة ومكان إيجادها والتحقق من صحتها .. والمهندس المهزوز الشخصية الغر في تلك الأيام والفارس الفائز بقلب نبيلة ابنة مدير المستشفى والأكاديمي المعروف صدم من الطعنة وتخيل أشياء لا حقيقة لها ، وأنه غطاء لماجنة .. سنتان يتبادل معها النظر فقط ، ولولا رغبتها فيه ما صبرت وانتظرت ؛ ولكنها أدركت شخصية فارسها .. ويقال الحب أعمى .. ويخيل لي أنها ذات شخصية قوية ؛ ورأت أنها أحد أبطال الروايات التي قرأتها .. فلما طلبت منه الخطبة أسرع ، ولما طلبت منه الزواج لبى ، وتزوجا وهما على مقاعد الدراسة ..ولما شاهد الصورة صدم وظن أو اعتقد أنه ضحية .. ولا أعتقد من نفس الصورة .. فهو يملك صورا لها تكاد أن تكون عارية ، صورا بثياب المسبح وهي مبطوحة حول المسبح مع فتيان مع بنات .. والفتاة تصورت هذه الصور الفاضحة بملء إرادتها .. .. وسيف مثلها بصور السباحة .. أما التعري الكامل فهو صدمة .. ولا تنسى إيحاءات مراد مخيفة .. فظن أن التي تسمح لنفسها بمثل هذه الصورة تقدم جسدها على مذبح الدعارة والفجور وإلا كيف قبلت لقط هذه الصورة ؟ وتوهم أنها عشيقة لآخر أو أكثر .. فهو يجهل الكثير من حياتها الخاصة ؛ بل قال : وقع في قلبي أنها مومس ، وما أنا إلا تغطية والزوج الديكور ؛ ولذلك سرع في زواجنا ؛ لأنها هي التي طلبت مني الإسراع في الخطبة، ثم الزواج ، ومع ذلك أعترف أنها كانت بكرا ليلة الدخلة .. ولكنه سمع عن الأغشية الصناعية التي يخدع بها الذين يهتمون بالبكارة عند الزواج .

ـ وهذا صحيح سمعت عنه من بعض الأقارب وبعضهم يسميه الترقيع

قال : فهذا ما وقع في نفسه تلك الساعات عندما شاهد الصورة ظن أن الدماء مصطنعة .. وأنا لا أعرف تفاصيل مثل هذه الخدعة .. وكيف تنطلي على الزوج ؟ مع أننا نسمع أن بنات لا تزول بكارتهن إلا مع الولادة الأولى .. واعترف أن الكثير من رجال وشبان الحي لا يهتمون

بهذه القضية .. ولا يَرَوْن عيبا وعارا أن يدخل الشاب على فتاة ويجدها غير عذراء ..لا يهمهم ما قبل الزواج ، كما أن الشاب قد يكون زانيا قبل الزواج ..فلماذا يدقق بعد الزواج؟

ـ أولئك زواجهم مصالح ومال وثروة .

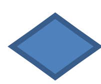
ـ صدقت ، فرأى الانفصال وبأسرع وقت قبل أن يجد لديه طفلا من ماء غيره .. ونبيلة دافعت عن شرفها وعفتها ؛ ولكنها لم تستطع تفسير وجود هذه الصور في حياتها ..وأقسمت أمام أبيها أنها لم تتعر أمام كاميرا أو مصور سواء كان ذكرا أم أنثى .. وقبل والدها الانفصال دون شوشرة وخصام ، وجرى الطلاق بكل روية وبساطة ؛ ولكن القصة لم تنته عند سيف ، فقد ظل رافضا الارتباط بأنثى نتيجة هذه الحادثة .. والمرأة أحست بالألم والمرارة والمعاناة بسبب عزفه عن الزواج .. وهي التي تزوجت وأنجبت .. فكانت الصورة كارثة لسيف وعقدة ، ومضت السنون دون أن يكشف أمرها .. من صورها ؟ وكيف صوروها ؟ حتى وصلت القصة للسيد إدريس .. ولما علمت هند أن أحدهم مهتم بقصة الصورة أحبت اللقاء به ؛ لأن أمها ماتت وهي قلقة نحو زوجها وحبيبها الأول.. وتريد تشجيعي للاستمرار بالبحث عن كيفية حدوث اللعبة .

وقال أياد : وعرف إدريس الحيلة والشقق المستأجرة لتنفيذ الجرائم الجنسية على مذابح الشهوات والإباحية .. وماذا يفعلون بالضحايا ؟

ـ يصبحن يا سيدي كما تقول المهندسة سوزان عشيقات لرجال البزنس مقابل المال ..قسم للقواد وقسم للضحية .. هناك بشر يمارسون الدعارة بعلم زوجاتهم ، وآخرون دون علمهن

تنهد إياد أسفا وألما : للأسف أيها الصديق الإباحية والدعارة من أكبر أسواق التجارة العالمية في أنحاء العالم كله ،حتى أن بلادا دخلها القومي من الدعارة والشذوذ والانحرافات الجنسية .. استغلال مرعب قاتل للثروة والأمراض الجنسية المدمرة كالإيدز .

ـ هذا صحيح وخطير وعقاب!



كانت السيدة سمر تستقبل إدريس بناء على توصية من صديقتها سوزان ، وكانت السيدة قد عملت ممرضة في مستشفيات الحكومة الرسمية، وتقاعدت واشتغلت في مستشفى خاص بضع سنين ، وهي اليوم متقاعدة من عدة سنين ، واستقرت في البيت .

فرحبت هي وزوجها وبعض أفراد أسرتها بالكاتب إدريس ، وجلسوا في صالة المعيشة ، وبعد الترحيب والتعارف وبيان الغاية من هذا اللقاء تركت الأسرة الغرفة لهما ، وقد بدأت تتحدث عن حياتها في الجامعة في مطلع الستينيات ، وكيف انضوت تحت الحركة اليسارية والشيوعية العالمية ، وتحدثت عن نشاطها في الإعلام وغيره ، وجرها إدريس بذكائه إلى ذكريات الشباب والسيدة نبيلة خالد والصورة .

فقالت : مدام نبيلة كانت فتاة فتنة للناظرين ، وأنت تعرف أن الفتاة الجميلة تلفت نظر الشبان إليها أكثر من الدميمة والسمراء ، خاصة في مجتمع شرقي .. وكيف في مجتمع جامعي متأثر بالحضارة الغربية ومبهور بها ؟! مجتمع حرية واختلاط .. وكانت الفتاة ابنة مدير وأكاديمي معروف في الجامعة وعلى مستوى المدينة كلها .. وكانت مع جمالها الفاتن تتبرج تبرجا مغريا ومثيرا للشباب الصغير الذي ما زال يعاني من فترة المراهقة والإباحية التي اجتاحت العالم بعد الحرب الثانية ، حتى أن المجتمعات الغربية ضجت وانزعجت منها .. فكيف ببلاد محافظة وتقاليد طال عليها الزمن ؟! كانت مهوى كل طالب معها .. وكانت ترافق في حرم الجامعة الجميع ذكورا وإناثا ؛ ولكن لم نسمع أن أحدهم كون معها صداقة خاصة ، وفاز بها كحبيبة وصديقة يا أستاذ إدريس.. هذا كان قبل تعرفها على سيف كحبيب .

وكان إدريس يهز رأسه ، وهو يسمع هذه المعلومات ، ومستغربا مما يسمع، وتابعت : كانت تصرح أمامنا بحبها لسيف الطالب الخجول سيف وردة .. وسمعنا أنه كان ولها بها ؛ ولكن لم يعترف لها بذلك الحب إلا بعد مضي أكثر من سنتين يا إدريس .. عرفنا بحبهما .. وهما كانا من أبناء الطبقة الغنية ،، ويسكنان نفس الحي حتى أن نبيلة احتفلت بمناسبة إعلان هذا الحب .. وذهبنا للغداء في أحد المطاعم الضخمة في قلب المدينة ؛ ربما كلفتها الدعوة مائة دينار

في ذلك الوقت .. قارن بنفسك.. كانت سعيدة بهذه العلاقة .. وكانت بعض الزميلات يستغربن هذا العشق لشاب يرونه معقدا وكثير الخجل ، وقليل الاختلاط بالصبايا .. وترفض أي كلام سيّء عنه .. كانت تحبه بصدق ، وليس مجرد فترة جامعة وانتهى ؛ ولكنها ظلت كما اعتادت تحادث هذا وذاك وكما عودتنا بقيت تشارك في الرحلات ، وتقول فترة الجامعة لن تعود .. وتشارك في النشاطات والحفلات والمناسبات ؛ ولكنها كانت تعادي الأحزاب .. ولم يجلبها أي تيار مثلي ومثل سوزان .

وبعد لقط نفس تابعت : تلك الفترة من الزمن كان أكثر طلبة الكليات العلمية كالطب والهندسة والصيدلة والتمريض من أبناء الطبقة الغنية في المدينة لارتفاع تكاليف الدراسة ماديا وهي مازالت مرتفعة اليوم كما ترى ؛ لذلك كنت لا تجد في تلك الفترة من أبناء الطبقة الفقيرة الكثير في تلك الكليات سوى المبتعثين على نفقة الوزارات الجمعيات وأصحاب المال .. وكان أهلوهم يتحملون مصاريفهم اليومية وأثمان الكتب والنقل واللباس ، فتجد بينهم معاناة بين شهر وآخر.. ولا ننسى أن بعض البعثات كانت تؤمن لهم الكتب وبعض المصروف .. ولكن النشاط الجامعي يحتاج لمزيد من الدخل والمصروفات ؛ لذلك كان يسقط البعض في قضايا أخلاقية كترويج الجنس والمخدرات لمزيد من المال .. ولا يعني هذا أن أناس الطبقة الغنية لا يحصل منهم هذا .. والطالب إذا لم يكن يحمل مبادئ تحميه من الفساد فسقوطه أسرع من غيره .. فكنا نسمع ونعرف بعض الفتيات تبيع جسدها من أجل المال ..وهناك من أجل الشهوات والمتعة .. وطلاب المساكن الجامعية يحصل منهم التفلت أو الذين يسكنون حول الجامعات لعدم حصولهم على سكن جامعي .. والفاسد يحب أن يرى كل الناس فسدة مثله .

ـ هذا قاعدة مهمة ومعروفة في علم الحياة والأخلاق .

وقالت : وكان رجال الطبقة الأرستقراطية ورجال المال يحبون إقامة حفلات وسهرات ماجنة .. ويحبون تواجد الفتيات الجميلات والجامعيات في تلك السهرات ، ويدفعون المال والذهب والجواهر مقابل سهرات حمراء يسمونها .. وموانع الحمل يوفرونها ، وأطباء الإجهاض

يغامرون إذا فشل المانع وحصل الحمل .

فقال إدريس : وكانت بعض الفتيات تقاوم هذا فيتعرضن للكيد والاحتيال في شقق الشيطان

ـ نعم ، هكذا الأمر تجر الفتاة المانعة والفاتنة إلى تلك البيوت باسم حفلة باسم العام الجديد باسم الفصل الجديد حفل وداع حفل ترحيب ..سهرة باسم عيد ميلاد عيد العشاق أسماء كثيرة تتردد وتسمع .. وهناك يرتب للضحية بخبث وشيطنة .

ـ وبواسطة التخدير تجرد من ثيابها وتصور صورا إباحية بأوضاع خطيرة ، فلما تَر الفتاة تلك الصور تظن أنها بائعة هوى مومس .

ـ فإذا كانت الفتاة الضحية ضعيفة مهزوزة لا تستطيع المقاومة تصبح فريسة سهلة للصيادين فبعضهن يسقطن بسبب الخوف من القتل من قبل أهليهن أو الحرمان من الجامعة والدراسة فتستلم للجلاد .. وبعضهن يهرعن للحركة الشيوعية كحماية لهن من الدعارة أو التيارات اليمينية المتشددة .. ورغم أن الجنس ليس مهما لدى الحزب ؛ لكنهم لا يقبلونه بهذه الطريقة الدنيئة والاغتصاب والإكراه .. فهؤلاء رغم قبحهم يخشون سطوة الأحزاب ؛ لأنهم سيشهر بهم ويفضحونهم .. فهذه إحدى وسائل النجاة من براثن عصابات الإباحية .. وصورة نبيلة شاعت في الجامعة بسبب الزواج والطلاق السريع.. ولم ير أحد تلك الصورة بعينه.. وبنات الأغنياء صعب ابتزازهن بالصور ، لسن بحاجة لمال ؛ وإنما تستغل صورهن إن كان لهن عشاق يرسمون للزواج منهن .. وفي الغالب يفشل هذا الأسلوب .. فكانت المخدرات السلاح الموصل لهن أو هنّ يهوين تلك الحياة الماجنة ..وأن الاستمتاع بالحياة والجامعة مرة واحدة في العمر .. وكما نسمع أن أهليهن لا يهتمون لبكارتهن كما يهتم بها أبناء الفقراء والطبقة المتوسطة .. العفة مهمة عند هؤلاء .. فهي صورت من أجل تدمير حياتها الزوجية وطلاقها .. راج في البداية أن مرادا وراء الصورة لعشقه الكبير لها.. ثم تبين أن لا يد له في الصور ؛ وإنما هو مجرد بريد .. ضربة وصابت كما يقال .

ـ كلام جميل وتفسير جديد يا سيدتي ! نعم ، لم تصور لاصطيادها للدعارة .. الهدف إفشال

حياتها الزوجية .. لقد استمعت لقصة الصورة من المهندس مراد والمهندسة سوزان ومن زوجها شخصيا المهندس سيف ، وأصبحنا أصدقاء من وراء هذه الصورة .. نحن وصلنا بالمعلومات حولها إلى تلك الشقق ؛ ولكن لم نعرف مكان لقط الصورة ، ولا كيف صورت ؟ أسمعت شيئا بها أنك كنت طالبة تمريض ؟!

ـ أنا سمعت عنها ، وعن غيرها لأني أعرف بعض الطلبة من كلية التمريض مشاركين للأسف في عملية الاصطياد للفتيات .

ـ من أجل المال المال .

ـ المال الدافع الأهم ، كان يدفع بسخاء ، كانت الحفلات الخاصة قد تكلف خمسمائة دينار في ذلك الوقت طعام شراب خمر صور .. أما قصة صورة نبيلة فأرى أنها كانت مختلفة ؛لأنها لم تكن بحاجة لمال .. وكانت تلبس ثيابها مستوردة ، وكلها ثياب قصيرة ، تكاد تكون عارية ، وكانت تشاهد في مسبح كلية الرياضة بالمايوه ؛ لكن لماذا صورت وعرضت تلك الصورة على زوجها ؟لا أحد ممن عرفته عرف ، ولولا الزواج السريع لما كشف أمر الصورة .. كان الأمر حقا غريبا يا أستاذ .. علمت من سوزان أنك التقيت بابنة نبيلة الدكتورة هند .

حدثها بإيجاز قصة لقائه بهند ، وهي عرفت باهتمامه بأمر الصورة من حديثه مع السيدة سوزان وطلبته عن طريق الجريدة التي يكتب لها ، وذكر أنه اهتم بقصة الصورة عندما تحدث مع مراد وذكريات الستينيات .. وكانت الحكاية طريفة ، ثم تعرف على سيف ، وأنه سيتابع قصتها بعد إنهاء المقابلات الأربعة ، وبين لها أنها الثالثة في حديث الماضي والشيوعية العربية .

قالت : أنا أيضا أعرف الطبيبة هند ؛ ولكني لا أتعالج عندها .. لقد عملت في مستشفى حكومي قطاع عام ، ثم مستشفى خاص قطاع خاص كما يقال .. وما زلت أحمل وثيقة علاج مجاني أو ما يسمى بالتأمين الصحي .. هل حدثتك عن علاقة أمها بأبيها الدكتور غريب الذي أعرفه بحكم عملي في الحكومة ؟

ـ لا ، لم تحدثني بأمر خاص، هي رغبت بسماع ما عندي حول تلك الصورة .

قالت بحيرة : لا أدري هل يحق لي أن أقول أم لا ؟!

ـ أنا مستعد للاستماع .. وهذا يرجع إليك ، وإذا كان مهما ومثيرا ويساعد في قصة الصورة .

ـ لا دخل له في أمر الصورة ، لم يكن السيد غريب وراء الصورة ، ولا هو الذي طلب من مراد إخبار سيف بأمر تلك الصورة .

ـ أثرت شهيتي .

قالت : لن أثير شهيتك وفضولك .. أنت تعلم أن سيفا تزوج نبيلة قبل هذا الرجل .

قال : نعم ، أعرف أنه السبب في سرعة زواجها .. حدثني سيف عن قصة زواجه العاجلة إعلان الخطبة بسبب ظهور غريب كزوج منتظر الزوج القادم من أوروبا ، ثم الزواج بسبب الوزارة .

ـ نعم ، أنت تحدثت مع سيف بالتفاصيل .

ـ هو اعتزل النساء ؛ بل صدم منهن أو منها .. ولم يعد يعير النساء أهمية وما زال .

قالت : أنا بعد التخرج الجامعي لم أعرف عنه شيئا ، ولم ألتقِ به يا سيدي ؛ لكن ظلت علاقتي بنبيلة إلى أن ماتت ؛ ربما بسبب علاقتي الخاصة بسوزان .. والمهندسة نبيلة تزوجت بالدكتور غريب فور فشل زواجها من سيف وانتهاء العدة المعمول في المحاكم الدينية .. أنت مسلم يا إدريس !

ـ أنا مسلم يا سيدتي! .. وأصوم وأصلي الصلوات الخمس ، وأديت فريضة الحج ..وأعمل في الصحافة بشكل غير احترافي .. لست صحفيا رسميا .. أكتب لصحيفة أسبوعية أو أكثر .. أعلق على كتاب ، ألخص لهم كتابا اهتم به الرأي العام .. مقالا حول موضوع معين .. إجراء حوار مع شخص معين .. وأنا أكتب من أيام الجامعة .. ولي سنوات أرمل أعيش وحيدا .. هذا ملفي الشخصي .

ـ أنا حدثتني سوزان عنك .

ـ وأنا لي معارف وأصدقاء من جميع الفرق والأحزاب بحكم السن والعمل .. كنّا نتحدث

عن زوج نبيلة ، وهو ما زال على قيد الحياة .

ـ أعتقد أنه تزوج بعد ترمله بأسابيع .

ـ لم أسمع بذلك !

ـ ولا من سيف ؟!

قال : أعتقد أنه لا يعرف أو يعرف وغير مهتم .. فهو ربما لم يره في حياته .

قالت : نبيلة يا إدريس تزوجت طبعا بعد مصيبة الصورة المشهورة آنذاك .. ولم يكن والدها المعروف تلك الأيام ـ لعمله في الجامعة ، ثم لكونه مديرا لمستشفى الجامعة الطبي ـ بالمتشدد والمتعصب دينيا .. فعرض ابنته على الدكتور غريب ؛ لأننا سمعنا من نبيلة أنه رغب فيها فور عودته من بريطانيا حيث درس ، وقبل بها رغم أنها أصبحت مطلقة .. كان له هوى فيها .. وكان الدكتور خالد قد أصبح وزيرا .. فقربه وعينه في مستشفيات الدولة .. فهو صهر الوزير ولكن الوزير مات بعد الزواج بشهور ، وفي أول عام يعمل فيه كوزير .. وقد شيد لها والدها قصرا في الحي .. وبعد حين يسير بعد موت الوالد تمرد غريب على امرأته وأهلها .. وأصبح من زمرة رجال السهرات والفنادق والعلاقات الجنسية خارج بيت الزوجية .. قبلت نبيلة هذا الوضع المزري ؛ لأنها أصبحت أما .. والرجل فهو ابن الغرب بالنسبة للعلاقات والشراب .. ولم تقبل أمها وأسرتها الطلاق ثانية ، وعليها الصمت .. هذا سمعته منها ومن بعض أخواتها فقد سجلت عليه قضايا أخلاقية لم يكن الزوج المثالي .. فقد أوقف فترة عن العمل في قضية اعتداء على قاصر .

ـ أنا أدركت أن علاقته بالأسرة علاقة مصلحة وطمع وانتهازية .. والدكتور خالد لو كان مقتنعا به ما زوج ابنته البكر لسيف قبله .

ـ هذا صحيح ، واعترفت لنا نبيلة بذلك ، ربما لتبرر زواجها منه ، وخيبتها فيه .. لكن بعد طلاقها لم تجد هي ووالدها وأمها مجالا للرفض .. وكان طلاقها كما تعلم صدمة للجميع ، حتى نحن معارفها في الجامعة صدمنا ، لما عرفنا من قوة حبها لسيف .. وكانت له امرأة

وسيدة بيت، وولدت له بنتين وشابا .

قال : زينب وهند .

ـ زينب الصغرى صيدلانية ، وخالد طبيب مثلهم .. وهو أكبر أولاد وهم كلهم أطباء ما عدا نبيلة .. وزينب أرملة منذ سنوات .. وطلبت مني أمها قبل موتها أن أجد لها زوجا ، وأرسلت لهم اثنين ، فلم يقبلوهم

ـ ألها أولاد ؟

قالت : زينب لها بنت واحدة ، وتعيش وحيدة في فيلا في حي بهية .. تزوجها أنت يا إدريس ما دمت أرملا مثلها .

قال بدهشة من العرض : أنا.. أنا الفقير الغلبان يا سيدة سمر !

قالت بنوع من الحماس المفاجئ : صدق إذا كان لك رغبة في الزواج أنا أتكلم معها .. أنا أو سوزان .

قال بنفس الدهشة لتحول الموضوع إلى زواج : لن تقبل بي .. أنا ضعيف جنسيا .. وكنت أعاني من عدم القدرة على التلقيح والإخصاب .

قالت مشجعة الفكرة التي ولدت : اليوم لدينا التلقيح الصناعي، إذا كانت القضية قضية تلقيح .. أسمعت بطفل الأنبوب أو المختبر ؟

ـ أسمع ومن لم يسمع به ؟!

ـ نجاحه قليل ؛ ولكنه يثمر إذا حلمت بالزواج .. فالسيدة زينب جيدة ، وهي متدينة على غير عادة أهلها وحيها .

ـ ماذا تعنين بمتدينة ؟!

قالت :كان زوجها مسلما مصليا ويصوم .. علمها ذلك .. وترتدي الزِّي الديني .. وتفعل كما تفعل المتدينات .

قال بنوع من المزح : وهل تقبل بي ؟!

ـ أعتقد أنها تقبل إلا إذا نظرت إليك نظرة أرستقراطية .. فزوجها كان يعمل في الحقل الطبي فهو مثلنا مهندس طبي .. تعرف الطب اليوم آلات ماكنات أجهزة طبية كثيرة .

ـ أعرف هذه المهنة .

ـ فهو يعالج هذه الأشياء الوظيفية الكثيرة .. إذا قبلت بها مبدئيا سأسعى بنفسي بذلك

ضحك إدريس وقال : أتزوج بعد عشرين سنة عزوبيا ؟ ..أنا لا أصلح للنساء .

ـ أنا أدرك أن طبيعتك ضعفت أو ماتت إلا إذا ...

قال مقاطعا : بدون إلا إذا .. إنها تعيش في بيئة متحررة يا سيدتي .. أنا لا أشرب الخمر ، ولا حتى الدخان أقربه .. وأنا مدمن مقاهي ، وأجلس فيها يوميا ، ولا ألعب الورق وغيره ؛ إنما أتفرج على الناس .. أنت لماذا فتحت موضوع الزواج ؟!

ـ لما ذكرت أمر صلاتك وحجك تذكرت السيدة زينب .. فخطر في بالي الزواج وقلت أمها طلبت مني ذلك .

ـ أمها مهتمة بزواجها.

ـ نعم ، ومنذ هلك زوجها .. لا تريد زوجا منفتحا على الحضارة الغربية الخمر ولحم الخنزير والرقص .. تريد رجلا متدينا إلى حد ما .. وأنت مناسب .. وأعتقد أنها طلبت مني ذلك مع أنني لست متدينة ؛ ربما لأن لي أخا شيخا كبيرا .. شقيقي إمام مسجد كبير في المدينة .

ـ شقيقك إمام مسجد ..وأنت يسارية شيوعية !

ـ هكذا الدنيا ، فهي ظنت أن أخي الفاضل قد يستطيع تحقيق ذلك .

قال بتعجب : فهمت الآن!

شقيق سمر

تفاجأ إدريس بحق بأن يكون للشيوعية سمر شقيق دكتور في الشريعة الإسلامية ، وإمام لمسجد .. واليوم الشيوعية ماتت في بلادها الروسية ، وأصبح الحزب الشيوعي الروسي من أضعف الأحزاب ، ولم يعد يحقق نوابا في مجلس الدوما الروسي ، والشيوعية خفت على مستوى العالم بانهيار الاتحاد السوفيتي ، ورفضت سمر الحديث عن أخيها وعنوانه ومسجده ، واستعان بإمام مسجد الحي ، فتوقع عدة أسماء وقال : ما اسم السيدة كاملا ؟

ـ لا أعرف إلا اسمين سمر عمران .

ـ افتح دليل الهاتف ..أغلب الأئمة يملكون هواتف منزلية للتواصل مع الإدارة .. وغدا عند الدوام الرسمي سأتحدث مع الإدارة لمعرفة عنوان مسجده ومن هو ؟

ولكن دليل الهاتف الأرضي سهل المهمة ، واستجاب الرقم المنزلي ، وتفاجأ الإمام بالطلب ، واعترف بأن شقيقته كانت إحدى كوادر الحركة اليسارية الإلحادية في المدينة .. وذكر له السبب باختصار .. وطلب منه مقابلة شخصية قصيرة .. ووافق الدكتور سمير عمران ، وحدد أن تكون بعد صلاة العشاء في مسجده .

وفي الليلة التالية كان إدريس يصلي العشاء وراء الشيخ سمير في مسجد الأندلس العربي ، وبعد الصلاة صافح إدريس الإمام معرفا بنفسه . فقال الدكتور باسما : أهلا وسهلا ..أنا في انتظارك هيا إلى مكتبي في البيت .

كان الدكتور سمير يسكن في شقة ضمن نطاق المسجد ، وعرض الرجل العشاء على ضيفه ، فاعتذر إدريس وقال : الشاي يكفي . ثم بين له سبب المقابلة ، ثم عقب ختاما : حقيقة يا دكتور أصبت بالدهشة أن يكون هناك دكتور شريعة ، وشقيقته من الأسماء اللامعة في الحركة الشيوعية .

ـ لا تعجب من ذلك يا سيدي! كان نوح مؤمنا ، وكان ابنه وزوجته كافرين .. هذا يحدث في دنيا البشر .. أليس كذلك ؟!

ـ صحيح ؛ لكن كيف ؟

ـ أنت تكتب كما فهمت منك بعض المقالات عن الشيوعية ، وكيف اعتنقوا هذا الفكر المريض اليساري الإلحادي ؟ وكيف يَرَوْن أنفسهم بعد زوال قلعة الإلحاد العالمي الاتحاد السوفيتي ذلك السقوط المدوي؟ لكن الشيوعية كفكرة لن تموت ، هي فكرة قديمة تطورت وستبقى ؛ لكن لن تعتمدها دولة كمنهج حياة حتى الصين خرجت من عباءة الشيوعية اللينينية والستالينية من أيام ماو وخروتشوف

ـ نعم ، هذان هما السؤالان اللذان سعيت للإجابة عليهما من تلك المقابلات والذكريات ؛ ولكن خلال الحديث تحدث قصص فرعية ؛ فإما أن نتوسع فيها أو نختصرها ..فلما قابلت السيدة سمر أحد الأشخاص الأربعة الذين أجريت اللقاءات بهم ، كشفت لي أن لها شقيقا متدينا ، ويعمل في وزارة الدين فاستغربت فعلا .

قال سمير : ولماذا كشفت لك الأمر ؟وهذا ليس من عاداتها!

ـ هناك سبب لا أدري هل أتكلم عنه أم لا ؟

ـ هل هو سر ؟

فكر لحظات ثم قال : ما هو بسر.. سأقول لك .. هناك امرأة أرملة لديها بنت أرملة ترغب بتزويجها من شخص متدين ؛ لأن البنت متدينة إلى حد ما .. ورأت أختك أنني المناسب بصفتي أرمل من عشرين سنة .. ولما علمت أم البنت بأن لسمر شقيقا يعمل إماما طلبت منها ذلك .. وهي بالتأكيد لم تكن تعرف ابتعادكم عن بعض .. فهم يريدون متدينا بدون لحية وبدون ثوب قصير ؛ لأن الفتاة من طبقة ثرية وطبيبة صيدلة ومن سكان حي بهية التاريخي .. وسبب تدينها كما فهمت من السيدة سمر من زوجها المتدين .. فمنعها من السفور والتبرج ، وأثر فيها دينيا كما فهمت من سمر .. فهي بعيدة عن الخمر والدخان والمجون ؛ وكأنها ترفض زواج أحد من تلك المنطقة أو غير متدين .. فقد أرسلت لهم سمرا رجلين ، وتم رفضهما وكأن السيدة رأت فيّ زوجا مناسبا مع أني من طبقة متوسطة .. موظف متقاعد .. وأنا متأكد

أن سمرا لم تتحدث معك في مثل هذا الموضوع .

قال مبتسما : هذا صحيح يا أستاذ إدريس! هل ذكرت لك سمر كيف كفرت بالله وأنكرت وجوده وتركت الإسلام ؟

ـ نعم ، ذكرت كيف أصبحت شيوعية ؟ لأن هذا جواب السؤال الأول للمقابلة .

ـ دعني أسمع ؛ ربما أضفت لك شيئا لم تذكره لك .. أكتبت المقال ؟

ـ نعم ، سهرت عليه أمس ليلة امس ، ولما يجهز ـ طبعا ـ سأعرضه عليها ، ثم يقدم لرئيس التحرير ، وقد يضيف أو يعدل .

ـ ماذا قالت عن بدايتها الإلحادية ؟

قال: تعلم أن كل من يتكلم عن نفسه سيبدو للقارئ بطلا.. القليل من يعترف أنه إنسان بسيط ونكرة ..كلهم أبطال .. ويتوهم أنه قابل خروتشوف وبريجنيف .

هز سمير مؤكدا هذه الملاحظة : الكل أبطال .. صدقت !

ـ أنت أكيد تعرف الشيوعية والماركسية ، وكيف نشأت ونمت في أوروبا ثم روسيا ؟

ـ لولا الحرب العالمية الثانية لماتت الشيوعية أو حصرت في الاتحاد السوفيتي .. الشعوب الأوروبية لم تقبلها ؛ لكن تحالفها مع الرأسمالية ضد النازية والفاشية التي أرعبتا أوروبا رفع من شأنها .. فالانتصار أعطاها دفعة قوية على مستوى العالم .. وصارت حلما للشعوب المستعمرة من قبل الرأسمالية .. وظنت أنها الخلاص .. وخاصة لما تحررت الصين باسم الشيوعية .. وكما استطاع الروس الاستيلاء فور انتهاء الحرب على برنامج القنبلة الذرية فأصبحت ضخمة في عيون الضعفاء .

قال إدريس : تكلمت السيدة أنها تعرفت على الشيوعية من بعض فتيات مدرستها الثانوية ، وأولئك الفتيات عرفن الشيوعية من آبائهن وأقاربهن ، وكانت تقرأ بعص البيانات الثورية السرية داخل المدرسة ..وكان حلمهم الكبير أن تعم الشيوعية العالم كله كما غمرت روسيا والصين وكوبا وأوروبا الشرقية .. ولما أدركت إحدى الفتيات حماسها ورغبتها ألحقتها

بإحدى الخلايا السرية ، ثم اكتشفت أن قريبا لوالدها شيوعي ، فازدادت حماسا للانخراط في العمل الشيوعي، واهتم بها الرجل القريب ، ونشطت حركتها داخل الحركة الطلابية بنشر الأفكار الشيوعية ، وتوزيع البيانات والنشرات والتعليقات .. وتبناها الرجل وشجعها وبين لها محاسن وأحلام الشيوعية العربية بأن تلحق في ركب الدول اليسارية ، والتحرر من أذناب وبقايا الاستعباد الغربي .. وتعلمت منه ومن غيره رسائل ماركس وأعلام الفكر الشيوعي .. ولما دخلت الجامعة أصبحت منظرة نشطة في خلايا الشيوعيين في كليات الجامعة المختلفة .. واستمرت على ذلك حتى تخرجت ، ومن ثم نشطت داخل الحزب .. وظل نشاطها السياسي قويا ومعروفا حتى نام الاتحاد السوفيتي ، فخفت صوتهم ، ويعيشون على الذكريات .

قال سمير بعد تنهد وحزن : لقد اعترفت لك أنها الشيوعية الوحيدة في بيتنا .

ـ لا ، لم تتحدث عن أسرتها الكبيرة ؛ لكنني علمت أنها تعلقت بشاب في الجامعة .. معذرة يا دكتور سمير .

ـ تكلم بكل راحة .. أنا أعرف أختي الملحدة .

ـ المهم علمت من بعض رفيقات السيدة أنها أحبت شابا له نفس الميول الإلحادية ، وكان الشاب كثير العلاقات الغرامية كغيره من شباب الجامعة تلك الفترة من حياتهم .. ومع ذلك استمر حبهما وتزوجا بعد التخرج ، ثم طلق الرجل الحزب الشيوعي ، وهاجر إلى أمريكا رأسماليا ، ثم تزوجت زوجها الحالي الشيوعي مثلها .. وأنجبت منه ثلاثة مواليد .. وهي اليوم حزينة لما آل إليه الفكر الشيوعي وسقوط الشيوعية كدولة في كثير من الدول الشيوعية ، وتحولها لأحزاب ضعيفة كما في البلاد العربية والإسلامية ..كانت تظن أن الشيوعية الجنة الأرضية .

ـ ما زالت ملحدة لا تعترف بوجود إله .. هل أتكلم ؟

ـ تفضل

قال بنغمة بدا فيها الحزن لإدريس : كانت سمر الأولى في الأسرة .. أقصد المولود الأول

للزوجة التي ولدت بعد ثلاث سنين من الزواج .. كان الأبوان ملهوفين عليها .. وبعد ثلاث سنوات أخرى جاءت أختي سحر .. وبعد تسع سنوات زواج ولدت أنا أستاذ إدريس .. الذكر الأول .. وجاء بعدي اثنان .. لقد كانت البنت المدللة في الأسرة .. ولم يكن والديّ بالمتدينين بالمعنى الشامل للتدين ، والمعنى المعروف اليوم .. كانا يصليان يصومان لنفسيهما.. ولم يربيا ابنتهما على التدين والإسلام وفهم الإسلام ككثير من الأسر والعائلات .. ولما وصلت الإعدادية لم تُمارس الصلاة واللبس الشرعي ، ولا الاغتسال من الحيض مع أنها دخلت مرحلة البلوغ الشرعي ،.. لم تهتم أمي بذلك ، معتقدة أن المدرسة تعلمها ذلك .. كانت تغتسل نظافة لا عبادة ككثير من بنات المسلمين اليوم ؛ لأن التي لا تصلي كيف ستعرف هذه العبادة الشرعية أو تفكر فيها أو تتعلمها ؟!" لما يكبر بصلي ، لما تكبر بتعرف " هذه الشعارات السلبية .. أين علموا أولادكم الصلاة على سبع، واضربوهم على عشر ؟ وكما قالت لك في الثانوية نضجت فكريا وجسميا ، وكانت تقرأ وتقرأ ، ولم يهتم أبي وأمي بما تقرأ وتطالع .. وأبي قارئ أما أمي فلا تقرأ ..كان أبي يخدم في الجيش الوطني عسكري ..كثير من وقته في المعسكرات .. وتقاعد برتبة عقيد يا إدريس ، وكما قال تفاجأ بأفكار سمر وإعجابها بخروتشوف والروس ؛ ولكنه لم يحاول ثنيها عن تلك الخزعبلات كما أخبرني فيما بعد .. فهو لم يقدر خطر الشيوعية يومذاك ..ويمكنك أن تقول أنه يجهلها جهلا تاما ؛ ربما اعتقد أنها حزب سياسي كالأحزاب الدارجة في البلاد ؛ إنما كانوا يَرَوْن صراعا دائرا بين أمريكا وروسيا .. والدولة تدور في الفلك الأمريكي الغربي تسليحا واقتصادا بسبب الحرب الباردة .. وقد تفاجأ بها شيوعية في الجامعة ؛ ولكنها قد خرجت عن السيطرة .. هذا طبعا نتيجة التساهل .. فانتبه لسحر ولي .. وأخذ ينفر من الشيوعية وفكرها .. ويحذرها من خطرها وقتلها للشعوب المسلمة في القوقاز والعالم .. ومنع سمرا أن تتحدث عن شيوعيتها في البيت وأمامنا ؛ لذلك لما أنهت سحر الثانوية العامة بدون نجاح ، لم يشجعها على الإعادة ؛ بل زوجها لقريب لنا لابن عمنا .. فكان زواجها كحماية لها من التورط في أحلام سمر وانزلاق سمر .. ونعم ما فعل ..

وكان القريب الذي تحدثت عنه سمر وشجعها على البقاء في الشيوعية ، لم يكن معروفا دوره لأبي إلا بعد دخولها الجامعة .. وهجره والدي هو وأسرته ولم يعد يُستقبل في البيت وغيره .. ولما نجحت أنا في الثانوية العامة كانت سمر قد أنهت جامعتها ، واشتغلت في أحد مستشفيات الدولة ومتزوجة من زميل جامعتها كما أخبرتك .. وأنا سافرت مصر للالتحاق في جامعة الأزهر الشرعية كطالب شريعة وحصلت الماجستير والدكتوراه منها أيضا .. واليوم أعمل محاضرا في كلية العلوم الدينية في المدينة هذه ، وفي نفس الوقت أقوم بإمامة الناس في المسجد .. طبعا سعيت مرات ومرات لانتشال سمر من أوحال وأوهام الحلم الشيوعي ؛ ولكنها تعتبرني رجعي وأحمق ..كل من يتعلم الشريعة عندهم جاهل وأحمق ومعقد .. ونتيجة فارق السن بيننا لم نكن أصدقاء مجرد أخوة .. ولما شببت كانت تعيش مع زوجها الأول .. وقد رحلت أمنا عن الدنيا وأنا أدرس في مصر القاهرة .. وتزوج أبي بعد وفاتها بأشهر .. فكان وضعنا الأسري مربكا إلى حد ما .. واستخدمت أسلوب الرسائل معها ومع زوجها دون فائدة .. وأثناء الإجازات حاولت ؛ لكنها تسخر وتهزأ مني ، وتدعوني للتحرر واعتناق الشيوعية .. ولما تزوج أبي لم يعد لها مكان في الأسرة ، ولم يهتم أحد بأفكارها حتى أخوي الأصغر مني تعلما ولم يتأثرا بها البتة بفضل الله .. وهي شبه مهجورة من الجميع .. ولما فشل زواجها لمسنا أملا بتوبتها .. ثم تزوجت ماركسيا أسوأ من الأول ، ومع الزمن أصبحت غير موجودة في حياتنا ، ربما حدثت بيننا بعض التلفونات بمناسبات مرضية .. وأنا كنت استغل مثل هذه الأمر معها للأسف دون فائدة .. الهداية التوفيقية بيد الله تعالى .. ومات أبي قبل عشر سنوات تقريبا .. ولم تلد امرأته الثانية له ، وما زالت تسكن في بيتنا القديم .. وما زلت أتفقدها .. فهي ليست بحاجة لمال ، فهي تعتاش على راتب والدي التقاعدي ، وما ورثته من مال أبي وتنازلنا لها عن البيت .. وسمر لم تهتم بميراثها ، وشرعا لا تستحقه لكفرها وضلالها ؛ ولكنها قانونا تعتبر مسلمة .. فهذه قصتي مع شقيقتي الكبرى .

ـ أنا أعرف الكثير من الحركيين ، وبعضهم تابوا وعادوا إلى حضرة الدين والإسلام .. وتاب

الكثير منهم وثاب قبل سقوط الشيوعيين في روسيا وما حولها وموتها.

ـ هذا أمر متوقع وهو موتها ؛ لأنها تصادم الفطرة والعقل .. والدين ولو كان فاسدا تحتاج إليه الناس .. فالقرامطة طائفة الحادية ظهرت في التاريخ ثم هلكوا .. ولم نعد نسمع عنهم .. وهذه بقايا أفكارهم بثوب عصري واقتصادي .

قال : لا يسعني إلا أن أشكرك يا دكتور على هذا الحديث الطويل .. أنا فعلا تفاجأت بأن يكون للسيدة شقيق كإمام ، وإلا نحن نعلم أن في البيوت شيخ وملحد .

قال سمير : عادة يأتي اعتناق الشيوعية للبيت المهلهل دينيا .. والدين في البيت مجرد عادات وطقوس .. وكذلك تساهل من الأسرة ، وجهل بالشيوعية جهلا تاما .. والانحلال الخلقي يساعد على ذلك .

ـ والأصدقاء .

ـ وهذا سبب رئيس .. الصاحب ساحب .. البيت أساس التربية والأخلاق الحميدة والقدوة .

قال إدريس قائما : وساحات الجامعات مرتع خصب لكل فكر ، ولكل صراع فكري .. شكرًا دكتور سمير .. لقد تعرفنا على حضرتكم .. فهذا شرف لي ولعلنا نلتقي مرة أخرى .

دفع المقال الخاص بسمر إليها ، وطلب منها أن تقرأه لتضيف أو تحذف منه ، وأخذ بالحديث مع زوجها وابنها المتزوج منذ عهد قريب ، وكان ضيفا عندهما ، ولما انتهت القراءة وضعته على منضده أمامهم ، وقالت : حقا رائع جدا يا أستاذ إدريس ! رغم أنني أكتب مقالات وبيانات ؛ لكن أعترف ببراعتك في كتابة الفقرات ، وترتيب الأفكار للقارئ .. لست أول صحفي قابلني .. لكنك أروعهم ؛ ربما لأني من عشر سنين لم أعد أتقابل معهم .. اليوم لا أحد يهتم بِنَا ؛ كأننا متنا بموت الاتحاد السوفيتي .. هكذا الناس أليس كذلك؟!

أجاب إدريس : هكذا الناس .. عندما يكون الإنسان قويا مهما التفوا حوله ، وإذا ترك المركز والوظيفة هجروه .

قال الزوج مبتسما : كلامك صحيح إلى حد ما .. الناس يريدون أشياء فلما يصرف عن مركزه فماذا يريدون منه ؟! لماذا يلجأون إليه ؟ وأيضا يكون قد ظهر جيل جديد لا يعرفون الرجل القديم .. لماذا جريدتك مهتمة بقدامى المحاربين على رأي العسكريين ؟

ابتسم إدريس : هذا اهتمام شخصي مني ..الجريدة التي أكتب لها لا تهتم بهكذا موضوع .. هم المهم أن يجدوا مادة ينشرونها ؛ لأنها جريدة أسبوعية .. ربما تهتم بقضية رأي عام حاضرة .. أنا أكتب لها منذ ثلاثين سنة .

وشرح لهم علاقته بالجريدة والصحف ، وأنه يكتب بمزاجه ودون التزام دائم وقال : وأنا لست متفرغا ومحترفا وموظفا ، هي هواية فحسب . وبين لهم أنه يقدم المقال ، ولرئيس التحرير أن يرفضه يختصره يعدله ، وذلك حسب حسه الأمني .

وقال : تخطر في بالي الفكرة وأهتم بمتابعتها والبحث عن أبطال لها .. الصحف تهمها الصفحة الرئيسية ، وما في داخلها مواضيع خاصة .. الرياضي يهتم بصفحة الرياضة .. بعضهم يهتم بأخبار الاقتصاد والتجارة .. بعضهم بالإعلانات ..وآخرون يهتمون بصفحة التسلية .. وبعضهم يقرأ لكاتب معين وتعليقاته السياسية والثقافية والاجتماعية .. بعضهم يهتم بالصفحة الدينية ، وما تطرحه من أفكار .. وبعضهم بصفحة النعي خاصة قراء الصحف اليومية .. وأحاديث الذكريات لها قراؤها ومحبوها ؛ لذلك ترى الصحف قد تشتري مذكرات سياسي زعيم .. وأنا كتبت خلال مسيرتي الكتابية كثيرا عن رجال ورموز وطنية ثورية قيادية عن نضالها وأفكارها .. وقد يهتم بها مراكز البحث المحلية والدولية والمؤرخون ومراكز التجسس والمخابرات .. فالشيوعية لم يعد لها ذاك البريق ببلاد العرب وغيرهم ؛ لكن ما زال لها أتباع .. ففي فترة الستينيات كانت قوية وثورية حتى ظن البعض أنها على وشك قيادة العديد من الدول العربية .. أما اليوم فشغل العالم الحركات الإسلامية والأصولية الإسلامية والإرهاب الإسلامي ؛ كأن المسلمين لم يكونوا في فترة ازدهار الاتحاد السوفيتي .. الكل متخوف من الإسلام السياسي القادم .. وسيظهر المقال في الصحيفة في الوقت المناسب ..

وستكون بعض الأعداد بين يديك.. ألديك ملاحظات عما كتب ؟

ـ لا ، تمام هو كلامي وأفكاري .. مجلات الحزب ما زالت تقبل كتابتي وتعمل على نشرها .. وتتابع أخبارنا الاجتماعية وبعض نشاطنا الضعيف .. لم تعد مؤتمرات الحزب مهمة للصحافة اليومية اليوم .. مجرد خبر صغير ينشر في الصفحات الداخلية .. أيام العز ذهبت .. والمؤتمرات لا جديد حقيقة فيها ؛ إنما ذهاب وجوه ومجيء وجوه للقيادة ..كنّا خلال المقابلة تحدثنا عن قصة الصورة والسيدة نبيلة واهتمامك بأمر الصورة .

قال : صور نبيلة قصة غامضة!

ـ هل هناك ما يشغلك عنها ؟

ضحك وقال : عرفنا أن هناك عصابة كانت تحتال على بنات الجامعة والتغرير بهن وتصويرهن صورا فاضحة للإيقاع بهن في عالم البغاء والدعارة .. لم نصل لشخص عمل في هذا الإجرام أصابه الندم ، وكشف لنا المزيد من الحيل والمكر .. فلم نعرف كيف صورت ؟وأين؟ ولماذا؟!

قالت بكل صراحة : على كل حال أنا أعرف بعض الفتيات تلك الأيام شاركن في تلك الشقق طبعا هن اليوم عاملات أو متباعدات مثلي.. وسأتحدث مع واحدة منهن ؛ لعلها تقبل أن تكشف شيئا من أسرار تلك الحقبة ؛ ولعل عندها شيئا من قصة تصوير نبيلة .. هي من اللواتي سقطن في براثن تلك القوى ، وعرفت ذلك منها فيما بعد ؛ وذلك خلال عملنا في أحد المشافي ؛ وذلك في ساعات الذكريات والندم وكشف الأسرار .. وأنا كنت أعرف نشاطها قبل العمل معها ..عندما يكون لدى الإنسان فضول ما نحو قضية ما يهتم بها ..قد تكون قد شاركت في عملية خداع نبيلة وجرها لوكر من أوكارهم .. قصة نبيلة بعد التخرج ضعفت في ساحات الكليات العلمية .. وجاءت أحداث أخرى .. هي لم تشر لقصتها يوما .. وأنا أعرف أنها متورطة مع عدد من فتيات الكلية

ـ إذا وافقت على المقابلة والإفادة ؛ فأنا مستعد لسماع ما عندها .. شكرًا لكم أيها السادة ، وأتمنى لكم السعادة .

قالت : عفوا يا إدريس لم تقل لي ردّك في الزواج من شقيقة هند غريب وابنة نبيلة خالد !

ابتسم ونظر لزوج سمر وقال : وهل أصلح للزواج ؟! لا أعتقد يا

سيدتي ويا سيدي ..صحيح أنا أصلي وأصوم وأعبد الحي الْقَيُّوم ، وابن طبقة متوسطة .. ولا أملك القصر والسيارة والمال .. ولا أعتقد أنها ترضى بي .

قالت مشجعة : أعتقد أنها ترضى ؛ لكن القدرة الجنسية لا أدري أهميتها بالنسبة لها .. أنا أرى أن تقبل مبدئيا ، ثم تعمل الفحوص اللازمة ؛ وربما هي لا تفكر بالجنس ؛ إنما تريد زوجا .

قال زوجها مستغربا من تقريرها : لا تريد الحياة الجنسية ! ولماذا تتزوج ؟! ولماذا يتزوج الناس ؟!

نظرت إليه وقالت : وهل الكبار يتزوجون للجنس يا إياد ؟!وهل تبقى طاقة وقوة بعد الخمسين ؟!

قال إدريس : أكيد الجنس أيام الشباب ليس كأيام الكبر والسكري والضغط ؛ ولكن الشهوة والبنوة مطلوبان لدوام الحياة الزوجية .. لو كنّا زوجين ومرض أحدنا فعلينا بالصبر والصبر وكان ذلك مقبولا .

هتفت بإصرار : قل نعم أرغب بالزواج.. ودع الباقي عليّ.

قال بشك :آسف فعلا يا سيدة سمر ! لي أكثر من عشرين سنة لم أنم مع أنثى .. وقضيت عشر سنوات مع زوجتي في عذاب ، ولم تحبل امرأتي .

ـ يقولون الرجل قد ينجب ولو عمره ثمانون سنة .

ـ والله أسمع بذلك ! بل رأيت زواج مشلول من أنثى .. شكرًا لكم .

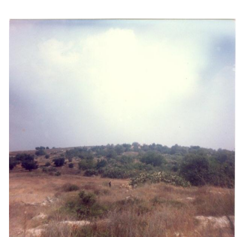
ـ فكر فكر يا صديقنا .. وسأتحدث مع هند وأرى ردة فعلها .

ـ يا سيدتي اهتمي بموضوع المرأة التي عملت في خداع وتغرير الزميلات لتحدثنا عن تلك الحيل .

قالت بثقة : أعتقد بعد مضي ثلاثين سنة على تلك الحوادث يمكنها الاعتراف .. اليوم لم تعد

تحتاج الدعارة إلى شقق سرية .. اليوم التصوير بكاميرات الفيديو والصور المتحركة .

ـ اليوم يا سيدتي النوادي الليلة المرخصة والملاهي والحانات ! لم يعد العمل خفية.. فهذه المواخير مرخصة بالقانون ، ومحمية من قبل الشرطة للأسف .. نحن نتقدم عالميا بمثل هذه الأشياء من أجل خاطر السياح .. وضعفت مؤسسة الزواج ، وكثر الطلاق ، وزادت الدعوة للسفور والتبرج، ولم يعد ذلك عيبا !



تعشيا في مطعم في حي الشاعر ، وذلك عن اتصال بينهما ، وكان ذلك بعد صلاتهما العشاء في أحد مساجد حي الشاعر .. وهذه كانت أول صلاة لسيف بعد زمن طويل .. فهو لا يعرف الصلاة ولا الصيام ؛ إنما هو مسلم .

قال سيف لإدريس: أريد أن أصلي أول مرة في حياتي !

فطلب منه إدريس الاغتسال غسل الجنابة ، وشرح له كيفية ذلك الاغتسال .. فهو في حياته كلها لم يغتسل هذا الغسل التعبدي .. ووعده بتفصيل الأمر عندما يلتقيان .. ولا تستغرب أيها القارئ من جهل الكثير من المسلمين هذه العبادة الشرعية ؛لأنهم لا يفقهون الإسلام ، وربما يحسبون أن صلاتنا كصلاة اليهود والنصارى وغيرهم من العباد ، لا يعرفون الإغتسالات الشرعية ؛ إنما الصلاة حركات معينة وانتهى الموضوع .. هؤلاء لا يعرفون الوضوء والاستنجاء ، ولم يريا والديهم يفعلون ذلك .

كانت أول صلاة كما قال لإدريس في حياته التي تزيد عن الخمسين سنة .. كان إدريس يصلي ومثقفا وملما بمسائل شرعية ، وإن لم يكن شيخا ، ورجل دعوة إسلامية .. وعبر عن سروره تجاه صديقه الحديث ، وكان يرجو له الثبات والقبض على دينه وتوبته .. فالإسلام اليوم يتعرض لتشويه عالمي وإلصاق تهم الإرهاب والوحشية فيه .. كان حديثهم أثناء الطعام عن

الصلاة والوضوء ونواقضه ، واستمر الحديث في ذلك بعدما رجعا لبيت إدريس .. وكلاهما يحب السهر ، وحضر إياد السهرة ، وتعرف الرجلان على بعضهما ، وشجع إياد المهندس على الاستمرار في الصلاة والتوبة .. وبين إياد لسيف صفة الطهارة بناء على رغبة إدريس الذي رأى أنه أقدر منه في الدين والعبادات ..وعلمه الوضوء النبوي والصحيح كما ثبت عن رسول الله ﷺ من النية وغسل الكفين والمضمضة والاستنشاق وغسل الوجه واليدين إلى المرفقين ، ثم مسح الرأس مع التمثيل لما حصل ، وختم بغسل القدمين إلى الكعبين وذكر الوضوء الثابت عن النبي ﷺ ، ثم مثل له الاغتسال دون استعمال الماء وأعطاه رقم هاتفه الخاص للاتصال به عند الحاجة لأي مسألة شرعية .. واستعار كتابا صغيرا من إدريس حول هذه العبادة .. ولما انتهى الدرس الديني حدثهم إدريس عن مقابلاته لسمر . وختم قائلا: أتعرفها أيام الجامعة ؟ فأبدى سيف معرفته لها وإن لا يتذكرها جيدا اليوم . فقال إدريس : إنها عاصرت فترة دراستكم في الجامعة .. وهي على معرفة وصداقة جيدة مع سوزان ونبيلة ومراد مع إنها طالبة تمريض .

فقال سيف معقبا : كانت تتردد كثيرا على كلية الهندسة من أجل الشباب اليساريين ..وتعرف نبيلة بحكم تدريبها في المستشفى التعليمي حيث كان والد نبيلة مدير المستشفى .. وكنا نتردد نحن على المستشفى لعلاج طارئ ومستعجل أثناء الدوام والمحاضرات ومعالجة الرشح والزكام والإنفلونزا الموسمية والجروح فعرفناها .

فقال إياد :إذن قابلتها .

قال إدريس : نعم ، قابلتها وزوجها .. وتحدثت عن الكيفية التي دخلت بها الحركة اليسارية والماركسية ، وأكدت لي موضوع الشقق السرية للسهرات واصطياد الفتيات ..وأنها التقت ببعض الضحايا ، وساعدت على إنقاذهن من العمل في الدعارة .. وأنها تعرف بعض المتورطات في اصطياد الفتيات والشباب.. وأنها ستحاول إقناع إحداهن بالحديث معي

فقال إياد بتعجب ظاهر : معقول ذلك !

ـ هذا ما وعدت به .. وأنا لا أعتقد أن إحداهن أو أحدهم يقبل ذلك .

ـ لا تنسى زوج وأهل الفتاة أو المرأة.

قال إدريس : العجيب يا إخوان أن لسمر شقيقا من أمها وأبيها إمام مسجد دكتور في الشريعة الإسلامية ، واضطررت لمقابلته؛ لأعرف كيف تحولت للشيوعية من بيت مسلم .

وتحدث قليلا حول مقابلته لسمير.

قال سيف : يبدو أن موضوع الشيوعية راق لك .

ـ كان هو سلم الوصول للمعلومات .. فمراد شيوعي يا مهندس سيف .. ولن نخسر بنشر بعض المقالات عنهم للأجيال القادمة .

وقال إياد : شقيقها شيخ حقيقي ، ولم يستطع إعادتها الدين .

ـ لليوم لم يستطع .

قال سيف : دنيا عجيبة فعلا ! لم يستطع نقلها من الفكر الأعوج.

قال : الأمر ليس سهلا يا سيف ! كان هذا الفكر في مطلع الستينيات مهوى الكثير من الشباب الجامعي على مستوى العالم .. غرق العالم بالمادية والوجودية والإباحية .. والعالم الإسلامي كان يستفيق من سباته برحيل الاستعمار عن كثير من بلدانه .. فكان ينظر للفكر الماركسي هو المحرر لنا من ربقة الاستعباد ..كان الصراع محتدما بين الشرق والغرب .. أنا أقول أن ذلك العقد هو العصر الذهبي للشيوعية العالمية .. كوبا الصين فيتنام .. وكانت الدعاية قوية لبيان إنجازات الروس والقوة العسكرية الروسية .. والفتاة بينها وبين شقيقها ست سنوات كانت مغرقة في الإلحاد .. وهو على مقاعد الدرس الأساسي .. وهي اهتمت بالماركسية في المدرسة الثانوية ، وتغلغلت فيها بالجامعة .. ووالدها كان عسكريا جاهلا بخطر هذا الفكر ، وتقاعد على رتبة عقيد .. وبدا لي أنه كان متساهلا معها .. وقد ولدت بعد ثلاث سنوات زواج ، وهي البكر .

قال إياد : هو لم يكن شيوعيا ولا متعاطفا !

ـ في الجيش كما تعلم يمنع الالتحاق بالأحزاب السياسية .. أما التعاطف فلست أدري .. لم يقل سمير ذلك ؛ إنما هو تساهل وتهاون وجهل بماهية الفكر الماركسي .. والأمر الثاني أن السيدة سمرا ترشحني لأن أكون زوجا.

صاح إياد : زواج ! زواجك أنت .. هل منها ذلك أو لمحت به أنت ؟!

لم يعجب إدريس من دهشة إياد فمنذ ترمل وهو يحبب له تكرار الزواج . فقال : لم أطلب منها ذلك ، ولم ألمح بي ؛ لأني نسيت الزواج من قاموس الحياة .. ليس بغضا في النساء كما هو حال صديقنا سيف .. أنا لي عشرون سنة لم أقرب أنثى لما تخبره عني يا إياد .. وشطبت الموضوع من أفكاري ، مع أن الدين ـ يا مهندس سيف ـ يرغب بالزواج ؛ ولكنني كما أخبرتم غير صالح للنساء والخلافة .

فقال سيف : وكيف رشحتك المناضلة الحمراء ؟!

ـ جميل ! المناضلة الحمراء .. هناك سيدة أرملة وغنية ، وعندها بعض التدين تريد زوجا عنده بعض التدين .. تريد مسلما محترما يصلي ويصوم

قال إياد : المناضلة تتحدث عن زوج كهذا!

قال إدريس : نعم ، دعني أذكر الأسماء ؛ ربما سيف يعرفها بحكم المجاورة .. السيدة نبيلة خالد زوجة سيف الأولى والأخيرة تزوجت من قريب والدها بعد الطلاق .. وولدت له بنتين هند وزينب وولدا نسيت اسمه .

قال المهندس سيف : أعتقد أنه خالد على اسم أبيها بسبب ولادته بعد موته .. من ستتزوج ؟!

ـ زينب أرملة وهي متدينة بسبب زوجها المتدين .. وكانت تلبس اللباس الشرعي المحسن .. ابتعدت قل عن السفور والتبرج الصريح كما فهمت من سمر .. وسمر صديقة لنبيلة وسوزان من أيام الجامعة ، وظلت الصداقة بعد الجامعة ، وتعرفت سمر على بنات نبيلة الطبيبة هند والصيدلانية زينب ، وحتى أن شقيقهن طبيب .

قال سيف : أجل طبيب معروف في الحي .

ـ هند ترغب بتزويج أختها الأرملة ؛ وكأن المرأة تريده متدينا كزوجها يتمسك بمظاهر الدين كصلاة وصوم ولباس وبعد عن الخمر ، تعودت على ذلك .. ولأنهم يعلمون أن لسمر شقيقا يعمل إماما لمسجد ؛ فكأنهم لا يعرفون سوء العلاقة بين الأخوين .. أرادوا منها عريسا لزينب وكذلك طلبت أمها أم نبيلة أو نبيلة نفسها من سمر ذلك .. وأرسلت سمر لهما عريسين ، ولم تقبل بهما الفتاة .. ومن خلال حواري معها عرفت أن أصلي وملتزم بالإسلام التقليدي وغير متشدد كما يقال عن أمثالي ، فعرضت عليّ ذلك ..وسمر تزوجت طالبا تعرفت عليه أيام الكلية ، ثم طلقها وطلق الشيوعية معها وهاجر إلى أمريكا ، ثم تزوجت رفيقا آخر .. ووالداها ماتا ، وعلاقتها ضعيفة بأهلها منذ اعتناقها الشيوعية وتخرجها وزواجها .. فهي لا تستطيع أن تطلب من سمير فرشحتني للزواج .. وتعذرت لها بهجري للزواج من يوم ترملت ولكنها مصرة على زواجي والسعي فيه .. ويا ترى أتوافق سيدة كزينب على متسول مثلي أم لا ؟! وهي من سكان حيكم يا سيف ؛ لتعيش في مثل شقتي .. وفهمت من سمر أن لها صيدلية كبيرة في الحي .

ـ أعرفها ؛ وربما ابتعت منها بعض الأدوية خاصة في ساعات الليل المتأخرة .. والله إذا قبلت بك تزوجها .. أنا رأيتها كذا مرة ، وحدثتني كذا مرة .. وهي تعرف أنني كنت زوج أمها في أيام الشباب .. وأعرف هندا ، وتكلمنا في مناسبات عرضية ، وأحيانا تمزح وتمازحني هند كيف حال زوج أمي الأول ؟ فأتطلع فيها ربما ابتسم .

وتابع سيف مفسرا : في مناسبات اجتماعية كنت اضطر لحضور بعض الوقت ، مثل زواج أخت، بنت وابن أخت أو زواج ابن وبنت أخ .. عزاء قريب جدا ..فكنت أصدف أفراد من عائلة الدكتور خالد .. مهما حاولت الاختفاء لابد أن تظهر لمناسبة ما ..وحتى نبيلة رأيتها بضع مرات ونحي بعضنا بالإشارة وهمس وتمتمات .. والحقيقة أن زوجها الدكتور غريب لم يكن عفيفا معها يا إدريس ويا إياد .

فعقب إدريس: كانت مجرد زوجة ..هو كان يحلم بالاستفادة من والدها بالتقدم إداريا داخل

الوزارة .. وقد اتهم بالاعتداء على قاصر ، وأوقف عن العمل حينا من الزمن .

ـ صحيح ، سمعت بهذا.

ـ النساء يتكلمن ..وتزوج فور وفاة زوجته بأسابيع قليلة.

قال سيف : هو تزوجها بعد طلاقي رغبة من والدها خالد .. وكان يطمع بها زوجة قبل زواجي منها ، وكان ظهوره كزوج من أسباب زواجنا ونحن في الكلية .. خدمه القدر وعينه المرحوم خالد في الحكومة وبعد الزواج في الإدارة فور تسلمه منصب الوزير ، بعدما كان يخدم في مستشفى كطبيب ..هو درس الطب في بريطانيا كما سمعت من نبيلة ، مثل أبيها .. وهو ما زال يمارس العمل الإداري.

قال إياد : المهم أنت لا ترغب بالزواج منها لماذا يا عزيزنا ؟!

قال سيف : إذا استطاعت هذه السمر أن تقنعها بك تزوجها .. هي فعلا متدينة .. تلبس الجلباب الطويل .. وهذا كان يثير استغرابي .. كنت أظنها موضة .. اليوم عرفت السبب أن ذلك بسبب زوجها المتدين .. وهذا نادر في بنات الطبقة الثرية والبزنس .. وحي بهية اليوم ليس هو الحي القديم .. ففيه من الطبقة الوسطى والأقل ماديا حتى الفقراء .

قال إدريس : وهل أستطيع العيش معها يا سيف ؟!

تبسم سيف وأجاب : تستطيع ..وما ينقصك ؟! امرأة في الأربعينيات أو قريب منها .. فهل ستتزوج صبيا أو شابا صغيرا ؟

ـ كم ترى عمرها ؟

ـ أنا تزوجت أمها في منتصف الستينيات ، وطلقتها في نفس العام .. وهي تزوجت الدكتور غريب في حزيران من عام ١٩٦٥ يبدو أنها أصغر مما حسبت.

ـ هي أصغر من هند بعام ونصف.. وقد تزوجت أثناء الدراسة في الجامعة مثل ما حصل مع أمها ..وهي درست في تركيا .

قال إياد: من أين حصلت على هذه المعلومات ؟

ـ من سمر .. هي تتحدث تلفونيا من أجل المقال ، ويعرج بنا الحديث حول زينب وموضوعها ولديها طفلة تعيش مع أم زوجها الميت بناء على رغبة الجدة .. وهي دون العاشرة ، وتقضي أيام العطل عند أمها .. وهناك أيها السادة أمل في لقاء امرأة كانت تشارك في الشقق السرية وتحاول سمر إقناعها بالحديث معي .

فقال سيف : أرى أنها صغيرة عليك .. كيف تريدك سمر زوجا لها ؟! ألا تعرف عمرك ؟

وعقب إياد: صغيرة فعلا .. المرأة إذا اجتمع إليها رجل ستطلب حقها الشرعي في المعاشرة .. وأنت تحتاج لعلاج .. تحتاج لامرأة من سنك .

فقال إدريس : العلاج اليوم أفضل من الأمس .. اليوم تجد المنشطات الجنسية والأدوات المساعدة الطبية ؛ لكن هل هذا يقنع المرأة ؟وخاصة إذا كانت ترغب بالذرية والحمل .. لا أعتقد أنها تقبل بي وأنا ابن ست وخمسين سنة .. وإذا فكرت بالزواج جديا سأتزوج امرأة تصغرني ببضع سنين .. امرأة يائسة من الخلفة والولادة .. وسمر تحدثني عن طفل الأنبوب والله حلو أن يصبح الرجل أبا يا سيف ! ولو على كبر ، كما حصل لسيدنا إبراهيم، ومن بعده زكريا .

قال إياد : فعلا اليوم نسمع عن طفل الأنبوب والتلقيح الخارجي ؛ بل نسمع عن حمل خارج الرحم واستئجار رحم وتجميد النطف في بنوك المني .

قال سيف : هل فكرت بالزواج قبل حديث سمر ؟

ضحك إياد وإدريس وقال إياد : منذ ترمل يا حضرة المهندس ونحن أنا وإخوته وأخواته نعرض عليه النكاح والتوكل على رب السموات والأرض .. إنهن لا يعرفن الضعف الجنسي وضعف الباءة .. عندهن الطب حلال المشاكل الإنجابية .. فلانة وفلانة عشر سنين ثم ولدت .. فلان نكح فلانة عشرين سنة ، ثم انفصلا ، هو تزوج وولد له ، وهي تزوجت وولد لها .. الصحيح يا سيد سيف الأستاذ العزيز إدريس قصر في ذلك .. الطب فعلا كل يوم يتقدم .

قال إدريس: فكرت كذا مرة بالزواج منذ ترملت ؛ لكن المعاناة التي كانت بيني وبين المرحومة

بسبب ضعف الإخصاب تقف حاجزا لصرف النظر .. وكل مرة أهم بها أتذكر ذلك .. ثم أني مرتاح في حياتي يا سيف تأقلمت أو تبرمجت معها .. كانت مشكلة الخلفة مزعجة جدا لي .. صحيح النفس تتوق للنساء وللولد .. صحيح لما ير الإنسان الأطفال لإخوته وأخواته وجيرانه يتمنى أن يكون لديه مثلهم ؛ لكن قدر الله غالب .. الأمر له سبحانه .. أخذت بأسباب العلاج سنوات وسنوات دون فائدة .

قال إياد : كله بأمره .. ما أنزل الله من داء إلا جعل له دواء .

قال سيف: ما دامت سمر تريد ذلك ، وترى أنك مناسب ، فدعها تسعى لذلك .. فإذا قبلت البنت تزوجها .. وكما أشرتم الطب يتقدم ؛ وربما تتمكن من الإنجاب عن طريق الأنبوب .. من المهم أن تكون البنت على بينة من وضعك الجنسي وضعف الإنجاب .. فهي في عز الفترة لإنجاب الأطفال .. والله جميل أن يكون لك ولد يا إدريس بعد هذا السن ! أنا أعتقد أن لها أربع سنوات أرملة .. ووالدها هل يقبل ؟!

رد إياد فقال: أعتقد أن والدها مجرد ديكور يا مهندس سيف ما دامت علاقته بأمهم نبيلة ضعيفة ، ولم تكن طيبة ، وتزوج بعد موتها بزمن يسير

فقال سيف : هو تزوج لتغطية فضائحه ، لقد كانت كثيرة ومنتشرة بيننا كعائلات .. هو تعلم في بريطانيا الطب ، وتعلم معه العيش مع الخليلات .. أنا الذي لا يهتم بحياة الناس أسمع قصصه ومغامراته النسائية .. فزواجه شكلا ، ومثله كثير في الحي .

تلقى إدريس اتصالا من الطبيبة هند غريب ، ولما انتهت المجاملات التقليدية ، قالت : هل جد جديد في شأن الصورة ؟

أدرك أن ذلك تبريرا للاتصال فقال باسما ومجاملا : لا جديد يا دكتورة هند ! وصرح قائلا : أنا على موعد مع إحدى فتيات ذلك الزمن اللواتي عملن في مثل تلك الشقق السرية .. ولعل لها دورا إذا وافقت على اللقاء والحديث عن ذكريات الماضي .. فالأمر حساس ودقيق .. وهذا بجهد من السيدة سمر صديقة أمكم في ماضي الزمان .

ـ حدثتني سمر عن لقاءاتك بها .. فهي صديقة لي بمقام الأم .. ونحن نعمل في القطاع الطبي ثم حدثتني أمرا آخر .

تجاهل الإشارة وقال : أمر .. ما هو ؟

ـ زواج شقيقتي .

ـ آ .. تذكرت .. لقد تحدثت سمر معي بمثل ذلك ؛ لكني بينت لها أن زمن الشباب ولى ..ولي عشرون سنة أرمل غير صالح للعمل يا دكتورة .. وإلا تزوجت من سنوات وسنوات .

ـ أنا أختي أصغر منك بكثير يا أستاذ إدريس ولديها ظروف .

ـ أنا دخلت في السادسة والخمسين .

قالت : هي تقترب من الثلاثين .. هي تزوجت صغيرة أثناء سنوات الدراسة الأولى لظروف معينة .. قد تعرفها في المستقبل ..قبلت في بعثة طبية في تركيا لعلاقات خاصة لأبي بالأتراك .. فزوجها أبي قبل سفرها .. وكان الأمر غريبا علينا .. ولكن الرجل قريب لأبي .. وقبل قبلها كطالب في تركيا في الطب البشري .. وعاشا هناك حوالي عشر سنوات .. كان والده يملك مال قارون .. عاشت بعيدة عنا .. وتدينا هناك .. فقد كان زوجها أحمد متدينا ..والتحق بإحدى الجماعات الدينية هو وهي .. وكانت جدته تركية الأصل .. ولما رجعا توظف ، ومرض ، ثم مات ـ رحمه الله ـ ولم تلد شقيقتي إلا ابنة واحدة ..وهي تعيش مع جدتها والدة الدكتور أحمد .. وأختي لما تحدثنا بموضوع زواجها بعد حين وافقت من حيث الفكرة على أن يكون متدينا غير متعصب كما ترى في بعض الشيوخ

ـ فهمت ذلك من السيدة سمر ؛ ولكني عجوز بالنسبة إليها يا دكتورة .. وأنا لم أستوعب اختيار سمر لي .

قالت : رأت أنك متدين بدون تعصب لفئة أو حزب وبدون لحية ودشداش.. رأت فيك صفات قد تناسب في رأيها زينب أختي .. فهي كما قلت لك صديقة حميمة لأمي وللعائلة .. وأمي طلبت منها ذلك قبل موتها بأكثر من سنة ، وكانت جدتي والدة أمي ترغب أمي

بتشجيعها على الزواج ثانية ..وقد يكون فارق السن مهما لو كانت زينب لا تعاني من بعض المشاكل المهمة .

ـ أنا أراه مهما يا دكتورة .. فأختك نصف عمري تقريبا .. وأنا قضيت عشر سنوات مع زوجتي في معاناة وتعب بسبب عجزي عن الإنجاب.. طبيب من هنا ، وآخر من هناك.. المهم شيبتني .. ولي عشرون سنة دون زواج .. كلما أهم بذلك أتذكر حياتي السابقة فاضعف .

قالت : نحن لم نفاتح زينب بالأمر .. هو كلام بدأت به سمر واعلم أن أختي لا تلد ، فبعد ولادتها لابنتها الوحيدة اضطرت طبيا لإزالة الرحم .. فهي لا يمكن أن تفكر بالحمل ؛ ربما هذا ما شجع سمر أن تعرض الأمر عليك .. فأنتما متساويان في هذه القضية .

تنهد إدريس وقال : آ فهمت الآن ؛ إنما تريد زوجا فحسب .

ـ نعم ، زوجا يسترها وتستره .. زوج مناسب ، لا يهتم بالخلفة والولادة .. سمر فاجأتني باختيارها لك .. وطلبت مني الحديث معك لتأخذ الموضوع بشكل جدي .

بعد صمتها بلحظات قال إدريس : أتعلمين يا دكتورة أن المهندس سيفا تحدثت معه من أيام بهذا العرض فرغبني بالزواج من السيدة زينب .. وقال إذا قبلت بك ورغبت بالذرية فهناك طفل المختبر والأنبوب .. وذكر أنكم تلتقون في مناسبات اجتماعية وتسلمون على بعض .

ـ نعم ، نحن نعرف المهندس سيفا حق المعرفة .. هو الذي عزل نفسه عن الناس ، ويبغض الاختلاط بهم .. وكانت أمي تتألم له ومن أجله ، وتعلم أنه تعرض لكيد ومكر ، وتسرع في الطلاق .. على كل حال على رغم صغر أختي بالنسبة لك ؛ فإذا كان لك رغبة بالزواج من جديد فكر جيدا ومعمقا قبل أن أعرفك بزينب .. وهي تعرفك نظريا لاهتمامك بموضوع تلك الصورة المدمرة ، فقد حدثتها عن ذلك الاهتمام .. وهي بحاجة لبيت الزوجية .

قال : أشكر لك اهتمامك بنا وتوكلي على الله يا دكتورة .. وسأفكر بعمق بمسألة الزواج بعد سماع مشكلة الرحم .. أنا طبعا تعرضت خلال السنوات الماضيات لضغط من الإخوة والأخوات من أجل البناء من جديد .. ولكني صراحة تعقدت من زوجتي الأولى وإلحاحها

القاتل على العلاج ، لم تيأس حتى ماتت فجأة .. تعالجت دون فائدة .

ـ ما دمت يائسا من الذرية فهذا مما دفع سمر لاختيارك زوجا لشقيقتي .. ولم تحب سمر أن توضح لك ظرف زينب قبل موافقتك وعرض الأمر عليّ .

ـ الإسلام كما تعلمين يشجع على الزواج وترك العزوبية .. سأفكر بجد كما طلبت ولكن ...

ـ ولكن ماذا ؟!

ـ أنا لست غنيا مثلكم .. أنا أعيش على قد الحال على راتب التقاعد .

ـ إذا حصل النصيب فزينب لا تنظر للمال وإلا تزوجت من أرامل الحي وأغنيائه .. هي ترغب بمتدين لتبقى على ما شبت عليه .. وهي ما زالت تزور تركيا لحضور مناسبات دينية عند تلك الجماعة التي انتمت إليها .. وهم ما زالوا يزورونها ويتواصلون معها .

ـ لم أفهم هذه الجماعة !

قالت : كأنها فرقة صوفية أو شبيهة بها ..لا أعرف تفاصيل مثل هذه الجماعات ؛ لكنها منتشرة في تركيا وبلدان أخرى .. المال ليس عقبة ، بس ربما تضغط للحياة في الحي في منزلها .. وقالت سمر إنك تملك شقة خاصة

ـ نعم ، لي شقة في حي الشاعر بنيتها أيام الشباب ..ورأي الدكتور الوالد

قالت : لا يتدخل فينا .. هو متفرنج أكثر من الغربيين .. مجرد أب كما نقول .. فهو يرى أن الأنثى حرة في حياتها ما دامت قد بلغت سن الرشد وكذلك الشاب .. فكرة أوروبية .. وأخي خالد أصغرنا .. وهو طبيب مثلي ..لا أعتقد أن يرفض وينظر لفارق اجتماعي ومالي .. اليوم الآباء والأمهات والأقارب تدخلهم بسيط ، وحتى في المشاكل الزوجية دورهم عندنا محدود ..كل واحد يدبر أمره .. وأنت أصبحت صديقا لنا .. فوالدي لم يكن اهتمامه بالأسرة كبيرا .. وتعلمنا من أموال أمنا .. وإن لم يقصر معنا ؛ لكن أمي عملت كمهندسة كما تعلم، وورثت عن والديها المال الكثير .. فكانت علاقتنا بأمنا أكثر قوة .. شكرًا .

وضع إدريس السماعة بعد هذه المكالمة الطويلة ، والتفت إلى صديقه إياد الذي كان في زيارته

وقال : أمر محير ! هذه أخت العروس الدكتورة هند .. إنهم يرغبون بتزويجي من البنت ؛كأنني طلبت منهم ذلك .. عقلي يقول لي غامر .

وروى لإياد ما يتذكره من المكالمة ، فقال : شيء غريب فعلا يا إدريس ! هل خلت الدنيا من الرجال أم هو القدر ؟ تعرفك على سيف .. لقاءات مع رفاق سيف ، ثم حديث عن زواج .. وهذا العيب في الفتاة من حظك يا صديقي حتى لا تطالبك بعلاج ويتبعه علاج .. وهل تعلم سمر أنك لا تنجب ؟!

ـ أكيد علمت أو فهمت .. وأعتقد أنها تعلم من سوزان قبل اللقاء بها .

قال إياد مشجعا : عندما تقابل الفتاة ،وتتحدثان بكل صراحة ،وترى وجهة نظرها غامر ؛ لكن تسلح بالمؤخر ، لا تجعله كبيرا فوق الطاقة ، وهم ليسوا بحاجة لمال ؛ لكن الكبر .. أحدهم تزوج فتاة ، وطلب والدها خمسين ألف مؤخر زواج .. ومن أجل فلان وفلان تنازل عن خمسة .

ـ أنت ترغب أن تراني زوجا .

ـ هذا من زمان .. وما زلت أتمنى أن تتزوج .. البيت مهما كانت الظروف يحتاج لقرينة .. فكلنا يرغب أن يراك زوجا .. والبنت ما دامت قد فقدت الرحم فسوف تقل رغبتها بالمعاشرة الزوجية ..فلن تتعبك يقال إن الرحم المفقود يضعف هرمون الأستروجين .. هرمون الغريزة الجنسية .

ـ شكرًا إياد إنك دائما تشجعني على ذلك .. سأتحدث مع سمر وهند وسيف وزينب، ثم مع أخي الكبير أبي نصر وأختي أم حاتم .. أنت موافق .

قال مبتهجا : طبعا موافق .. إذا حدث الزواج فأنت ستصبح من سكان حي بهية ومن الأثرياء ومن الروعة أن يكون لك صديق ثري ومن أهالي بهية تزوره .. ولما الواحد يزورك يصحب زوجته معه مثل باقي البشر .. ولا تجعل الشيطان يشرق بها ويغرب بسبب تأخره عن البيت .

ضحك إدريس وقال : معك حق.

وبعد انتهاء ضحكهما انصرف إياد مودعا وداعيا ، وقبل المقابلة الرابعة التي يسعى إليها في سلسلة المقابلات التي اخترعها ؛ ليعرف أحداث تلك الصورة تكلم مع السيدة سمر ، وحدثها عن اتصال هند الطويل ، وطلبها منه التفكير بعمق وجدية بموضوع الزواج من شقيقتها ، وأنها تراه الرجل المناسب لها ، وأنه يرغب بلقاء خاص بزينب لفهم وجهة نظرها بالاقتران به ، ويرغب بالحديث معها في أمور خاصة ، والتعرف عليها وجها لوجه .

هتفت سمر فرحا وقالت : ممتاز يا أستاذ إدريس ! صدق لما عرفت أنك أرمل ، وتعاني من زواجك القديم ، تشجعت لعرض زينب عليك .. أنت تحدثت مع سوزان عن حياتك الشخصية .. فوقع في نفسي أن أعرض عليك زينب ، فهي مثلك تعاني بسبب يأسها من الإنجاب بعد ولادتها وحيدتها وترملها المبكر ..قلت أنت الرجل المناسب .. وقلت لسوزان سأتكلم معه فهو أصبح صديقا لنا .. فهي لا تريد أطفالا ، تريد زوجا كسائر الناس يعيشان الحياة الزوجية .. الوحدة بالنسبة لها مؤلمة يا إدريس.. تعيش وحدها في قصر .. وهي غير منسجمة مع بيئتها تتألم بصمت .. لا تحب السفور مثلنا ، لا تحب الشراب والسهرات .

قال: حدثتني هند عن إزالة رحمها ، وإن البنت الوحيدة تعيش مع جدتها.

ـ نعم ، أيها الصديق أنت المناسب لها بما أنك عاجز عن الإنجاب .. ستعيشان بسعادة .. وهي طيبة وتحب الخير والصدقة ، وتسافر إلى تركيا سنويا من أجل دفع المال لجماعة أو جمعية دينية تنتمي إليها.

ـ نعم ، أنا عاجز عن الإخصاب ، وعانيت منه في سنوات زواجي كلها .. علاجات كانت نتيجتها صفر .. وهذا كان يرهبني من تجديد الزواج ، حتى فكرت أن أتزوج أرملة ، وأربي أولادها .. ولم يتيسر ذلك يا سيدتي .. تحدثي مع هند الدكتورة وشقيقتها من أجل لقاء أولي لقاء تعارف .

قالت : لا بأس ، الآن سأتحدث مع صديقتنا هند .

لقاء زينب

كما أحب إدريس لقاء زينب أحبت المرأة اللقاء والتعارف ، واختير بيت سمر لهذا اللقاء ، هيأت سمر صالة المعيشة ؛ ليكون اللقاء فيها .. حضرت هند تصحبها زينب لبيت سمر ، وهو المعروف لهن ، وإن لم يدخلنه من عهد بعيد ، رحبت بهن أحسن ترحيب ، ومن العادات التقبيل على الخد مرة على اليمين ومرة على اليسار تعبيرا عن الود والمحبة بين المتعانقين .. وجلسن في صالة الشقة ، وكان الموعد بمجيء إدريس بعد صلاة المغرب .. وصل إدريس لحي سكن سمر ، وصلى في أقرب مسجد لبيتها ، ثم تمشى لبيت سمر ، وكان في استقباله على باب الشقة زوج سمر ، ورحب به .. وكانت سمر ترحب به بعد دخوله الشقة ، ثم ساقته حيث تجلس زينب وهند ، وجرى التعارف والترحيب ، وانسحب زوج سمر .. وبعد دقائق فعلت سمر وهند مثله ، وبعد فترة من الصمت قالت المرأة : يا أستاذ إدريس أنت صحفي!

نظر إليها بتمعن وقال: هل قالوا لك إني صحفي ؟

ـ لم يقل لي أحد ذلك ؛ ولكني فهمت أنك تعمل في الصحافة .

ـ لست صحفيا يا سيدتي الكريمة ! أكتب كهاو وكتسلية .. أنا كنت موظف رقابة صحية مفتش صحة على المحلات الغذائية والمطاعم والمقاهي .. وتقاعدت منذ عشر سنوات .

قالت : كنت متزوجا وترملت .

ـ نعم ، تزوجت كما يتزوج الخلق .. وعشت معها عشر سنوات ، ثم ترملت .. ولي عشرون سنة بغير زوجة.

حدث صمت للحظات ثم قالت : أنا سمعت من شقيقتي هند عن اهتمامك بالصورة التي أدت لطلاق أمي ـ رحمها الله ـ من المهندس سيف وردة ..ولماذا اهتممت أنت بأمر الصورة ؟

قال : سؤال كبير فعلا يا دكتورة زينب ! حاولت لما علمت بقصة الصورة أن أعرف كيف كانت الحيلة الماكرة ؟ لأخذ تلك الصورة قهرا وبصورة سرية .. فاكتشفت أشياء رهيبة كانت تحدث في المدينة ، ومع بعض طالبات الجامعة .. التفاصيل تحتاج لوقت .

رددت : تحتاج لوقت ! أنت تعرف المهندس سيف وردة ؟

ـ تعرفنا بسبب الصورة ، وصرنا أصدقاء ، وأطلعني على رسالة أمك التي كتبتها له قبل موتها التي تطلب المسامحة منه ، وتطلب معرفة كيف وصلت الصورة إلى رجل المقهى ؟ وكيف تم خداعها ؟

مسحت زينب دموعا تساقطت عند ذكر أمها وقالت : آسف .. هل أنت مستعد للحياة الزوجية بعد كل هذه السنين من العزوبية ؟

تنحنح وقال: أنا في البداية اعتذرت عن أي زواج ،كما اعتذرت طوال السنوات الماضية ؛ ولكن جاءت إشارات مشجعة بالزواج منك .

ـ مثل !

قال : مثل .. هل حدثوك عن ضعفي الجنسي؟

ـ ضعفك الجنسي .. هذا أنت صريح !

ـ ولماذا نضحك على بعض ؟ أنا تزوجت ، ولم أتمكن من الإنجاب لضعف الحيوان المنوي لديّ ورغم العلاجات الكثيرة لم يقدر الله لي الإنجاب ؛ وذلك سبب لي الكثير من المشاكل مع الزوجة .. وهذا مؤشر على ضعف الطاقة الجنسية ..وكذلك هجري للزواج كل هذه السنين ، وقلقي الكبير من الحياة الزوجية ، والعودة لمثل هذه الصراعات .. ولكنهم أخبروني أنك مرضت بعد ولادة طفلتك ، واضطررت لإزالة الرحم ، فلا تفكرين بالإنجاب.

تحدثت عن رحمها ، ومشاكلها الصحية ، واضطرارها لإزالته ، والتخلص من معاناته وهي تدرس في تركيا لإكمال الدراسة ، واستمع إدريس ، ولما انتهت قالت: لماذا تريد أن تتزوج؟!

تمتم حيرة من السؤال : لماذا أريد أن أتزوج ؟! وأنت لماذا تريدين الزواج؟

ـ لست أدري !.. أختي هند وقبلها أمي تريدان ذلك .. هند تقول : رغم أننا نعيش حياة منفتحة عن سائر فئات المجتمع ، ونعشق الغرب في لباسنا وطعامنا وعاداتنا.. فالزواج حماية من الشائعات والأقوال .. ولم يعد الحي الذي نسكنه يحوي أهل الثراء فقط .. إنها تُلّح عليّ

بالزواج حماية لسمعتي .. عليّ أن أكون زوجة أمام الناس ، ولراحتي النفسية أيضا .. أليس الناس يتزوجون من أجل الولادة ؟

قال : هذا سبب مهم .. التناسل والمحافظة على النوع ؛ ولكن كم تلد المرأة في عمرها ؟ عدد قليل .. الاستمتاع والمتعة الجنسية هدف آخر ؛ ولذلك هي من متع الدنيا والآخرة حيث لا أولاد .. الولادة للمحافظة كما تعلمين على النوع .. والزواج كما بين النبي الحصان للفرج والغض للبصر عن النساء .

قالت بتفكر: صلى الله عليه وسلم .. وإذا ضعف الجنس هل من حاجة للزواج ؟

ـ أكيد نحن بحاجة للزواج ولو ضعف الجنس ..كلما يتقدم الإنسان عمرا تضعف قدرته الجنسية ؛ لذلك يلجأ الناس للأدوية والمنشطات والأجهزة الطبية .. هل إذا مرضت الزوجة وضعفت عن أداء واجباتها في المعاشرة ترمى في الشارع ؟ قد يكون الحل شرعا الزواج من أخرى ، وما يسمى التعدد عندنا ، وعند غيرنا الخليلات .. وإذا مرض الرجل وضعف هل يرمى في الشارع ؟ الإسلام إذا رأت المرأة أنها بحاجة للنشاط الجنسي أن تطلب الطلاق ، وبعد حين يحقق لها القاضي رغبتها حتى لا تقع في الزنا وتتخذ الأخدان .. وحسب مُشاهداتي أرى أن النساء تصبر على الترمل أكثر من الرجال ، وخاصة أن الكبر يؤثر مبكرا عليهن أو ما يسمى بسن اليأس وانقطاع الطمث وهرمون الجنس .

قالت : صحيح أنا صيدلانية وأنا مثقفة يا أستاذ إدريس .. وقرأت عن الإسلام وقضاياه المعاصرة ، وما زلت أقرأ ..وقرأت فلسفة التعدد في الإسلام .. ووجهات نظر القدماء والمعاصرين ، وأشكال الزواج الجديدة في المجتمعات الإسلامية من العرفي والمسيار .. وقرأت عن الزواج في المجتمعات الغربية وصوره المثيرة للدهشة.

قال : سيدتي معذرة ربما طال اللقاء ! فها أنت رأيتني وتعرفت عليّ ، وأنا قد تشرفت برؤيتك وعرفتك .. وسمر أو هند أو حتى أنت تتحدث معي لاستيضاح أي شيء عني عن شخصي الضعيف ؛ فإذا رأيتني صالحا للحياة معك فلا مانع من العودة للحياة الزوجية .

ونهض قائما ، فوقفت متضايقة وقالت : أراك متعجلا ؟!

ـ آسف جدا ..اقتربت صلاة العشاء يا سيدتي ! وتنحنح بصوت عال ، فأقبلت هند وسمر حيث كانتا يرونهما حيث تجلسان . فقالت هند: هل تحدثتم جيدا ؟

قالت زينب : الوقت قصير.. والرجل مستعجل.

ضحكت سمر وقالت : هند لم أفهم !

قالت زينب: لم نتحدث كثيرا .. سيغادر للصلاة .. على كل حال يا أستاذ إدريس هذا اللقاء للرؤية والتعارف .. أنت لم تتكلم عن نفسك كثيرا .

ـ ليس لديّ الكثير لأقوله عن نفسي .. أنا أرمل ، ولم أتزوج بعد ترملي ، ولم أحاول لأني عانيت من زواجي الأول .. وجبنت عن تكرار الزواج ؛ ولكن اليوم الأمور في نظري تغيرت ؛ ربما ينجح الزواج .. وهذا لم يكن يخطر على بالي !

قادته سمر إلى مدخل الشقة مودعة ، وقالت : شكرًا يا أستاذ إدريس سمعت أنك ذاهب لمقابلة السيدة عبير .

ـ هي المرشحة الرابعة للحديث عن أيام الجامعة في الستينيات .. كان لديّ حوار مع رجل للتوازن رجلان وسيدتان .. السلام عليكم.

ـ مع السلامة.

وعادت سمر للصالون ، وقالت بدون مقدمات : يبدو أن عريسنا لم يعجب الدكتورة زينب .

قالت بتهكم : هذا عريس يا سمر !

ـ هو عروس!

ـ هذا لباس عريس جاء ليقابل امرأة!

ضحكت سمر وقالت : أعتقد أنه جاء بهذه الهيئة متعمدا ..ويبدو أنه نجح .

قالت زينب : هو لا يريدني !

قالت سمر : لم أقل ذلك يا زينب .. إنك من طبقة اجتماعية ، وهو من طبقة أخرى .. وإن لم

يكن بيننا فواصل .. هند قالت : رجل متدين ، ليس متشددا ، ودون لحية طويلة وثوبا قصيرا كما نرى شبابا اليوم .. وكبيرا في السن إلى حد ما .. لا رغبة له بالولادة .

فصاحت هند قائلة : شكرًا لك سمر والشكر لزوجك .. فمواصفات الرجل مناسبة واعتذري للرجل نيابة عنها ، وعن أي جفاء بدا له منها .

قالت زينب : أنا لم أرفضه يا هند ! .. ولم أقبل .. قلبي لم يرتاح له .

قالت هند كأنها محتجة : لم يرتح له قلبك وأنت ترينه أول مرة ! .. نحن الذين بذلنا جهدا ليغير رأيه بالزواج ، ويغامر من جديد .. رجل لن يفكر بالخلفة والإنجاب .. وقد عرفناه جيدا بخاصة الأختان سمر وسوزان.

قالت سمر: صح هذا يا زينب! نحن بعد تأمل رأيناه زوجا مناسبا لك .. وإذا تيسر رجل أصغر منه قد يفكر بعد حين بالذرية .. نحن لسنا في أوروبا أن يكون للواحدة شريك إلى حين والعكس صحيح .. لكل مجتمع تقاليده ، وإن كنت أراها سيئة .. والرجل ليس قريب لي ، ولا صديق العائلة .. الظروف التي جمعتنا به معروفة لهند .. فلعلها تحدثت عنها .. وبالنسبة للمعاشرة الزوجية ـ وأنت الطبيبة الصيدلانية ـ ببعض المنشطات والمقويات تتمتعون بالزواج الكل يضعف مع التقدم في العمر والرغبة تقل .

ـ أنا لم أهتم بهذه الناحية .. فلي سنوات لم أعاشر أحدا .. ولما مرض أحمد لم يحصل بيننا أي اتصال ..واستمر مرضه سنتين ؛ لكنني أهتم بشخصه ، وجعلني أن أراه عجوزا سيموت غدا

قالت سمر : هو ليس صغيرا ؛ كأنه خمس وخمسون سنة ؛ ولكنه نشيط يتحرك يكتب يقرأ يحقق .. لا يجلس في البيت نهارا .. أنا رأيته مناسبا لك مائة بالمائة حسب طلب هند .

قالت هند : صحيح .. وهو إنسان بسيط يا زينب ولين ومثقف .. سيفهم عليك طلباتك .. وأنا لست متعاطفة معه من أجل موضوع أمنا .. وهو ليس بالصحفي الكبير هو هاو .. هيا بنا

قالت زينب : على كل حال يا سمر سأفكر به بشكل جدي وعميق .. أرجوك لا تزعلي مني .

ـ أزعل منك ! أبدا يا زينب هذه حياتك أنت ليست حياتي ؛ ولكن المرأة لو تجد زوجا ولو

ديكورا خير من دون زوج .. لو زارك أحد ليلا سيسبب لك الإحراج .. أنت تعرفين أقوال الناس .. ولو دخل أحدهم بيتك صباحا ، سيقولون قصة غرام جديدة رغم فسادهم وشرورهم .. من أجل ذلك هند تحب لك الزواج .. ليس من أجل الجنس والأطفال .. من أجل أقوال المغرضين .

ـ شكرًا سمر .

كانت هند تسوق السيارة عائدة وشقيقتها زينب جهة حي بهية حيث تسكنان منذ ولدتا ، وبعد مضي وقت قالت زينب : مالك صامتة ؟ كأننا عائدون من مأتم!

ـ مالي صامتة يا أختي ! ماذا أقول ؟ هذا هو الرجل الذي جاءنا عن طريق سمر .

ـ أنا راغبة بالزواج ، وكذا مرة قلت سأتزوج .. لكن أريد الزوج المناسب ، وليس أي زوج .. أنا قلقة .. أخشى الفشل والطلاق بعد الحصول على لقب أرملة .

قالت : سنة الحياة الموت والحياة .. ها هي سمر تزوجت بعد أن طلقها زوجها ، وطلق الشيوعية مع طلاقه منها كما تقول ، وهاجر لأكبر بلدان الرأسمالية .. ومن حسن حظها أنها لم تلد منه .. وها هي سعيدة بزوجها الثاني ، وزوجت أطفالها منه .. ومن الصعب أن نجد زوجا متدينا في حيينا يا زينب .. والرجل قبل من ضغط سمر عليه ..وأقنعته بصلاحه للزواج .. هو لم يوافق نهائيا .. ينتظر موقفك .. لم يفاتح أحدا من أقاربه .. هو تحدث مع المهندس سيف وردة الذي تعرف عليه من بضعة أشهر ، ورفيق آخر كأخ له .

ـ سيف زوج أمنا الأول .

ـ نعم

ـ هذا الرجل بدا لي غريبا .. فهو بدا لي كارها للنساء بسبب زوجته التي ماتت ، ومعقدا منهن وسيف هذا رغم مجيئه للصيدلية وشراء أدوية له وللخادمة العاملة في بيته أسمع أنه معقد ويكره جنس النساء .. كذا مرة سمعت من أقاربه ذلك ؛ بل بعضهم يكرهه ويبغضه .

قالت هند : أمي درست معه وتزوجته .. وكتبت له الرسالة التي تخبرين .. فهو يعتقد أن أمنا

هي التي دمرت حياته وكرهته في جنس النساء والإناث .. فهن في نظره فاجرات مومسات ولكنني سمعت أنه صار يصلي .

ـ سيف يصليّ

ـ نعم ، يعلمه إدريس الدين .

ـ إدريس صاحبنا الذي قابلناه قبل وقت يسير !

توقف السيارة أمام بيت زينب فقالت : ادخلي لنتعشى سوية ..وأسمع منك قصة المقابلات مع هؤلاء الشيوعيين ..ولماذا فعل إدريس ذلك ؟!

ـ البيت !

ـ اتصلي وأخبريهم أنك في الحي وعندي .

قالت هند بتردد : ما رأيك أن نؤجل ذلك ليوم آخر ؟

ـ الأفضل الليلة ، فالوقت مبكّر ..قبل قليل أذن العشاء .

نزلتا من السيارة ، وفتحت زينب بوابة الفيلا ، وتبعتها هند ، وفتحت لهما الخادمة الخاصة بزينب باب الفيلا ، ورحبت بهما ، وقالت لها زينب: يا جوزفين اتصلي مع المطعم، واطلبي العشاء.

حنت الخادمة رأسها "بنعم"، ودخلتا غرفة الزوار ، واستأذنت زينب لتغيير ثيابها ، ودخلت هند الحمام ، وخلال ساعة كان العشاء قد حضر من المطعم ، وأخذتا بالأكل ، ولم تتحدثا عن سمر وإدريس وسيف والزواج ، ولما انتقلنا إلى غرفة الجلوس والسمر قالت زينب : يا هند لا تغضبي مني أنا أحبك ، وليس لي في الدنيا إلا أنت وأخي خالد وابنتي كريمة .. وأنا أعلم قوة حبك لي ، ورغبتك في سعادتي ، واهتمامك بحياتي وزواجي منذ فقدت أحمد ؛ لكن ألا ترين فارق السن بيني وبين الرجل ، إنه فرق كبير .

ـ الأعمار بيد الله أولا.. والرجل صحته جيدة كما علمت .. فهو لا يعاني من السكري أو أي مشاكل في القلب .. ولا أتصور أن يقبل رجل صغير السن الزواج منك إلا إذا كان طامعا

بثروتك خاصة ممن نعرفهم .. ولليوم لم يتقدم إليك أي شخص من المعارف والأقارب ؛ ربما بسبب علمهم بتدينك ..فهم لا يحبون هذه الصفة في الزوجات .. يحبون التبرج والسفور واللهو ..وأنت تعلمين ذلك .. والرجل مثقف ومرح ومتدين بدون تشدد وتعصب وغير متزمت ..وتقبل الأمر من سمر وهي في نظره كافرة .. وهو لا يعرفها قبل انخراطه في المقابلات الخاصة بجريدة صاحبه أو قريبه .. والأمر الأهم أنه لا يهمه أن تلد زوجته ؛ ولذلك تشجعت سمر لمساعدته ؛ لأنه عانى من زواجه القديم .

ـ لكنها حياة زوجية وبيت وطبيخ ونفيخ .

ـ يا سلام ! الخادمة ماذا تفعل عندك ؟! وحتى ونحن في بيت الوالد تعلمنا ذلك ؛ لأن ذلك من واجباتنا تجاه الزوج والأولاد ؛ ولكن طول عمرنا نأكل من تحت أيدي الخدم والمطاعم .. أنا استرحت للرجل ، ليس لأنه مهتم بقصة أمنا وسيف وبراءتها .. فأمي ليس بريئة تماما يا زينب .. فالصورة القذرة صورتها دون منازع ، لم تنكر أن الصورة لها ؛ لكنها ترفض فكرة أنها تعرت حرة أمام أحدهم ليصورها ..كيف خدعت ؟ كيف مكر بها ؟ هذا ما كان يغيظ أمنا يا زينب .. وماتت وهي لا تدرك كيف حصل معها ذلك؟ لذلك كتبت رسالة لسيف أن يذهب للمقهى ، ويبحث عن الرجل الذي باعه الصورة .. ويعرف منه كيف وصلت إليه الصورة ؟ ولكن الوقت تأخر للغاية .. لماذا طلبت منه ذلك؟ الله أعلم .. وتوصل إدريس إلى قصة الشقق السوداء التي تقاد إليها الطالبات الساذجات، ويخدرن ويصورن عاريات ؛ لابتزازهن للعمل في الدعارة أو الفضيحة .. وأمي لا تعرف بمثل هذه الشقق.. ولم تتحدث عنهن يوما وكانت تعرض الصور على الضحية بعد زمن حتى لا تتذكر وقت الخداع .. وأين ؟ وسقطت العديد منهن في براثن تجار الجنس والفجور .. وسيف كما فهمت كان يرى أمي ملاكا لا يمكن أن تقع في مثل هذه الهفوة أو الغفلة فصدم صدمة قوية .. وظن أنه خدع من قبل أمي وأهلها ؛ فكان الانفصال بسرعة ، وجنح به الخيال بما وراء الصورة من خبايا .. أنا لا أضغط عليك بالزواج منه .. هذه حياتك أنت ، لا حياتي ؛ لكنني أحب لك الخير والسعادة .. وأن

يكون لك الزوج الطيب المحب ..لا تصلح الحياة لشابة صغيرة مثلك بدون زوج يعيش معها يجلس معها ، ويؤنسها يفرح لفرحها ، ويتعاطف مع حزنها.. يرافقها في الحفلات والمناسبات لو أنك كبيرة ؛ لربما كان الأمر أهون يا عزيزتي .. فكري بترو وعمق .. أنت لك ظروفك الخاصة .. وأنت تعلمينها أكثر مني .. وسيف الذي تعقد من النساء وأبى الزواج بعد الطلاق حبب للرجل الزواج منك .. لا أدري ما السبب ؟! فنحن ليس بيننا صداقة خاصة ، ولا عامة إنه مجرد جار له ذكريات مع أمنا أيام الجامعة ، وظلت أمنا تحتفظ بصوره تلك الأيام .. هذه الذكريات دفعتنا للتعرف عليه ، وليس بيننا سوى أهلا مرحبا كيف الحال في بعض الأحوال كالالتقاء في مناسبة اجتماعية كعرس أو مأتم اضطر لحضورها من مناسبات أقاربه الذين نعرفهم .. فلا دخل لنا في زواجه ، ولا طلاقه .. قولي لي ما أخبار أبي ؟

ـ مريض .

قالت هند : أعرف هذا .. وتحدثت معه بالتلفون ، وطلب زيارتي وزوجي ؛ ولكن زوجي يرفض الزيارة ، وقال: اذهبي وحدك ..لا يريد اللقاء به .. وإذا فعلت ذلك سيغضب والدي وربما سيطلب مني أن أطلب الطلاق .. لم أكن محظوظة بالزواج منه ؛ ولكنه والد الأولاد.

ـ صار معك كما صار مع أمي ـ رحمها الله ـ تزوجت من لا تحب وترغب .. لا أدري كيف يحدث الزواج يا هند ؟! .. تحدثت مع طبيبه المعالج فقال بصراحة قاتلة : سيموت قد استفحل المرض في بدنه ، وأجهزة الدفاع تضعف يوما بعد يوم ..إنه السرطان .. ولم تعد تسمن المسكنات والمخدرات .. وقد يتعرض لجرعات من الكيماوي الطبي على أمل .. وهو ضعيف .. زوريه وحدك أو اقنعي زيادا بالذهاب معك .. وإنها قد تكون زيارة الوداع .

ـ سأفعل .. الآن اسمحي لي بالانصراف .

ـ الحديث لم ينته بيننا.

قبلتها مودعة وهي تقول : فكري بجد بزواجك ..أنا لن أغلق الملف حتى أراك زوجة ، ليس مهما من هو صاحب الحظ .. إلى اللقاء . وعانقتها مجددا مودعة وخرجت .

إدريس لم يفكر بلقاء هذه الفتاة عبير حامد ، وسمر عمران ، هو كان مخططا للقاء مراد وسوزان .. فالأول هو الذي كشف أمر الصورة لسيف ، ثم تبين أنه لم ير الصورة ؛ إنما استغل لنقل الرسالة .. وسوزان كانت صديقة لنبيلة ولمراد .. وكلنا يعلم أن سبب هذه اللقاءات هو معرفة كيف حدث التصوير الإجرامي ؟ ووجهت سوزان إدريس نحو سمر ، وتأكد من موضوع الشقق السوداء ، وسمر وجهته لعبير على أنها العضو الرابع للمقابلات .. وقد أدرك أن وراء الأكمة ما وراءها .. ظن أن لديها شيئا حول الشقق .. وهي في نفس الوقت عملت في الحركة الشيوعية كسائر الأسماء المختارة .

التقى بها في مقهى عام يجمع بين الجنسين، والسبب أن الآنسة عبير ما زالت عزباء عانس ـ كما يقال ـ منذ تخرجت من الجامعة ، وهي بدون زواج شرعي .. جرى التعارف والترحيب ، وقالت : لم أستطع استقبالك في بيتي؛ ولأنك رجل غريب عن الحي ، وأنا أسكن مع أمي .. ولي أخوة جيران في الحي .. فأنا لم أتزوج بعد ، ولن أتزوج .. وأنت خير من يعرف التقاليد رغم أن أهلي يعرفون أنني أجلس مع شباب الحزب ..فالتقاليد تحكمنا عندما يرونك مع رجل غريب عنهم يعتقدون فيّ السوء والزنا .. لا يرون أن هناك حوارا بين رجل وامرأة.

فقال : نعم ، ما زالت التقاليد تحكمنا خاصة الأحياء الشعبية .

قالت عبير : وحتى أحياء الأثرياء صداقة رجل وامرأة تعني الفاحشة والخنا .. هذا المقهى يرتاده الرجال والنساء .. لا للعب الشدة كمقاهي الرجال .. هنا الدخان والثرثرة فقط .. ها هنّ فتيات يدخن النرجيلة .. حديثنا عن الحركة الشيوعية في الستينيات .

ـ العقد الذهبي على ما أظن .

ـ يمكنك أن تقول ذلك ..كان الفكر يتكلم فيه.. في السبعينات أصبح الرصاص يتكلم .. وفي الثمانينات الإصلاح والتقويم ، ثم انفرط الحزب الشيوعي السوفيتي ، والأهم في الحركة الشيوعية العالمية .. أنا صرت شيوعية لظروف معينة ، لا تعرف عنها شيئا .

قال بفكر وتأن : أنا رشحت لي للحديث عن فترة دخولك الحركة الشيوعية من قبل زميلتك

السيدة سمر عمران .. وهي تعرفت عليها عن طريق المهندسة سوزان .. اليوم الشيوعية أصبحت هواية وتغني بالأمجاد

ـ تغني بالأمجاد !

ـ نعم ، عندي سؤالان سألتهما لرفاقك الأول كيف انخرطت بالشيوعية العربية ؟ وهي حركة الحادية صادمة للمجتمع المسلم ، والثاني هل ما زلت تؤمنين ومتمسكة بالفكر المادي وتلك الشعارات ؟

تنهدت وقالت : أنا عرفت الشيوعية ، وسمعت بها في الجامعة ، وعرفتها عن طريق سمر زميلة الكلية ، ولم أنخرط فيها إلا بعد أن تعرضت للاغتصاب ، وتصويري حيلة عارية وفي أوضاع جنسية لا تخطر في البال ؛ وذلك رغم أنفي .. فالتحقت بالشيوعية حماية لنفسي من الدعارة ؛ وذلك نصيحة من صديقتي سمر .. فالجنس مباح عندنا ولا أهمية للعفة .. والدعارة مرفوضة .

أدرك إدريس حسن اختيار عبير لهذا اللقاء .. فها هي تعترف بالأذى الذي حل بها .

فقال : هل يمكن الحديث عن ذلك المكر في هذا المكان العام؟

قالت : يمكن.. أتصور لا أحد يهتم بما نتكلم .. قبلت طالبة في الجامعة في كلية التمريض كسمر ..كنت في نظرهم جميلة ..كنت أحب الثياب والعطور والتبرج ، وصحبت الشباب والشابات من السنة الأولى ، وكنت في نفس الوقت ساذجة حسنة الظن بكل شخص .. تعرفت على شباب الحركة الشيوعية ؛ لأنني لم أكن متدينة أصلا ؛ ولكنني لم أكن أعرف الإلحاد هل هناك إله أم لا ؟ ولم أهتم بالتحزب .. فكنت بعد انتهاء المحاضرات أعود لأقطن مع فتاة شريكة لي في السكن .. أنا عرفت الشباب من أيام المدرسة الثانوية أصاحب ذا فترة وأتركه إلى آخر .. ولما التحقت بالجامعة تجاهلتهم كلهم .. تعرفت على شاب في آخر السنة الأولى شابا أثار إعجابي .. كان جيدا وكان ينفق بسخاء عليّ من مرطبات كحول ساندويتشات هدايا من العطر .. تعلقت به .. ولم نفكر في الزواج طبعا صداقة كلية .. أمامنا سنوات للتخرج

واستمرت العلاقة بعد انتهاء السنة الأولى .. وأثناء عطلة الصيف كنت ألتقي به في وسط المدينة ، نتناول الطعام ، نذهب السينما المسرح كان سامر يغمرني بالغزل والأحلام والهدايا ، وكنت عاجزة عن تقديم شيء له أكثر من بضع قبلات خلال كل هذه الشهور ..كان يتظاهر أنه مغرم بي .. حقيقة كنت مفتونة ومبهورة به وبكرمه ومطاعمه ، لم يتحرش بي جنسيا ..كنت أتوقع أن يطلب مني المعاشرة مقابل ما يقدمه ؛ لكنه لم يفعلها ، هل أحد يعطي بدون مقابل ؟! انتظرت عدنا للسنة الثانية ، وهو المحب الكريم .. ودعاني إلى حفل أول السنة في بناية راقية .. ورأيت فيها الكثير من فتيات الجامعة ..وسررت بوجودي في هذه الحفلة العامرة ، ثم تكررت الدعوة بعد ذلك لمثل هذه الحفلات الخاصة به ، ويرافقها طعام رقص غزل خمر دخان.. وكانت البنايات تتغير بين حفلة وأخرى ، حتى أنني لم أكن أدري من الداعي لها ؟ هو يدعوني لمشاركته فألبي الدعوة إلى أن فاجأني يوما بصورة إباحية لي ، كنت بغير لباس عارية تماما .. صدمت لم أستوعب الأمر ، خلت الأمر خدعة أو لعبة ، واتهمني بالخيانة والغدر ، وأنني بعت جسدي لمحب آخر .. دافعت هن نفسي بشدة دون فائدة .. المهم اختفى من حياتي بعد عرض تلك الصورة ، ثم ظهرت لي بعد حين يسير فتاة تحمل لي عددا من الصورة العارية والإباحية ، وكلمتني بكل وقاحة وصراحة بأنني إذا لم أقبل العمل بالدعارة ستذهب تلك الصورة لأهلي وتنشر بين طلبة الجامعة .. وبعد رفض شديد وتمنع عرضت عليّ معاشرة رجل واحد مقابل أن يسلمني الصور .. المهم سقطت في براثنهم وشققهم حالمة بالحصول على الصور .. كانت أياما عصيبة وسقوطا مريعا في مستنقع الرذيلة .. فكانت سمر صديقتي ، وحدثتها بالورطة التي وقعت فيها ؛ وربما سمعت بما حل بي .. فكشفت لها الحقيقة التي أتكلم بها أمامك فضمتني للحزب الشيوعي حتى لا أشغل نفسي بالبكارة والعفة .. وتوقف هؤلاء عن تهديدي وفضحي لما لما أعلنت شيوعيتي ؛ لأن الحزب هدد بفضحهم .. ونشر قصتي في مجلات الحزب وبياناته .. وهكذا صرت عضوا في الحركة الشيوعية العربية ، ولأنجو من بيع جسدي لمن هب ودب ..كنت كلما أقابل أحدهم لأخذ الصور يطلب مني المضاجعة والزنا ..

ثم يرمي عليّ عشرة دنانير أو عشرين .. كنت رخيصة ؛ ولكنها ورطة لا تنسى .

فعقب إدريس : إذن نفذت بجلدك بدخولك الحزب .. ونجيت من الدعارة والإباحية .

قالت : الشيوعية لا يهمها الشرف والدعارة .. هي غير محرمة عندهم .. الجنس بالرضا والاقتناع بدون تهديد وابتزاز ..وأنا لليوم أرفض الزواج .. ولما كبرت سني ضعفت الرغبة بذلك ، وحرصت ألا يعرف أهلي أنني امرأة ، ولست عذراء

ـ لم يتقدم إليك أي شيوعي .

ـ سيرفضه أهلي ، وهم سكتوا على شيوعيتي على مضض للحرية التي نتمتع بها ، وللمال الذي أقدمه لهم .. فأنا تعلمت التمريض ، وعملت في قطاع الدولة ومشافي خاصة بعد التقاعد .. وما زلت أعمل .. وأنا اليوم غير شيوعية ، تركت الحزب في أواخر السبعينيات ؛لأنني غير مقتنعة بالإلحاد .. ولا يعني هذا أنني متدينة ، لم أعرف التدين يوما .. هذه قصتي يا أستاذ إدريس .. واعلم أنني ما زالت لي صداقات مع الرفاق وغيرهم ..هل بقي شيء؟

ـ والشاب الذي غرر بك ما مصيره ؟

ـ هو بعد أن مثل دور الصديق والسخي اختفى من حياتي .. ثم تبين لي أنه لم يكن طالبا معنا هو متخرج من زمن ..وكان يأتي الجامعة متظاهرا بأنه طالب ؛ ليصطاد المغفلات المراهقات مثلي .. فالعاشق الولهان الشريف مات .

ـ مات

ـ نعم ، مات ، والأصح لقد قتل .

ـ كيف ؟!

ـ لم أكن أول فريسة له ، كان يظهر في كليات مختلفة ، فهو مجرم ناعم .. الله أعلم كم يقبض أجر كل جريمة ؟! كرر العملية مع فتيات أخريات .. وهناك فتاة اعترفت لأهلها بما حصل معها من احتيال وخداع ، وجاءوا الجامعة والكلية التي كانت تدرس فيها الفتاة ، وأشبعوه ضربا ورفسا وطعنا بالموس ، ونقل إلى المستشفى ، ثم مات .

ـ والتحقيق !

ـ التحقيق حول الصور .. لا، كان التحقيق حول الجماع ، وعرضت على الطب الشرعي فبين أنها عذراء ، لم تفض بكارتها .. وقتل المخادع وراحت عليه .. وسجنوا الإخوة بضع سنين .. وسمعنا أنهم خرجوا ، وتزوجت البنت ، وأصبحت أما .

وبعد لحظات من الصمت ، وطلب المزيد من القهوة قال : يا أختي العزيزة كيف كُنتُم تصورون ؟! تخدرون تنومون .

ـ حسب الحفلة .. هناك حفلات تمتد للفجر .. أتوقع أن التصوير يحدث فيها .. نتعب من الرقص والشراب والغناء ، فينام كل واحد حيث يكون .. وهناك حفلات مختلطة ، وهناك حفلات قصيرة تنتهي قبل نصف الليل .. وأعتقد أن هذه الحفلات تغطية على حفلة التصوير من الصعب أن أعرف متى تم تصويري ؟ فأنا عندما أنام أحسب أن ذلك بسبب الكحول والتعب والأكل الكثير .. فتحديد حفلة التصوير إذا كنّا في حالة تخدير لا يعرف ؛ وربما تكشف لنا الصور بعد نصف سنة ..كيف سأتذكر ؟ لا يعرف المخدوع أي حفلة مكروا به .. إنهم شياطين وأرجح أنهم يستخدمون المنوم أو مخدرات غير خطرة كالتي تستخدم في تخدير الحيوانات الخطرة لعلاجها أو نقلها .. والصور تكون في غرف خالية من الأثاث .. سجادة على الأرض .. والمصور محترف في لقط الصورة .. وعندما نستيقظ سيذهب الظن إلى الشراب والرقص .. أنا عرفت فتاتين خلال الجامعة استدرجتا للفخ .. أنا ضعفت للحصول على الصور ؛ ولكنهم ماكرون .. فكان أمامي الحزب الماركسي للتوقف عن الدعارة والفضيحة .

ـ يعني أنك لا تذكرين ما حصل تلك الليلة .

ـ لا أذكر ليلة الجريمة ..فتكرار الحفلات بعدها لا يدعك تعلم .. ولا يكاد أسبوع أو عشر أيام تمر بدون دعوة وسهرة.

ـ ألا يحدث زنا ؟

ـ أنا لم أر ذلك .. كانت تحدث قبلات حركات .. أما تعري وزنا لم يحدث أمامي شيء ..الزنا

له شقق خاصة .

قال : حدثت عن هذه الشقق من قبل سمر وسوزان قبلها ..ولم تعرفا مكان التصوير ، هل هو نفس الشقة أم تنقل لمكان خاص بالتصوير ؟

ـ أعتقد في نفس الشقة ؛ وربما تكون هناك شقة يجري فيها التصوير .. فشقق الحفلات كثيرة .. لا أدري كيف توفر؟! أنا شاركت في أكثر من خمس شقق كحفلات وسهرات .



لما رجع إدريس من المقهى حيث قابل الآنسة عبير اتصل بالسيدة سمر ، وقال بعد التحية :

الآن عدت من مقابلة مع الآنسة عبير ، هل هي الفتاة التي عملت في تلك الشقق ؟

ضحكت وقالت : أنت فهمت ذلك ، لا ، تلك المرأة ما زالت ترفض أي مقابلة ، وأي حديث عن تلك الأيام .. الأخت عبير حامد هي ضحية مثل نبيلة خالد .

ـ أتعرفين غيرها من ضحايا الشقق ؟

ـ أعرف حوالي عشر فتيات أُكرهن على الفجور ؛ لكن الاتصال انقطع معهن بعد الخروج من الجامعة .. نبيلة المهندسة لم تعرف أنها صورت إلا بعد زواجها من المهندس سيف .. أما عبير فاعترفت لي بذلك .. واستطعت إنقاذها.

ـ والشاب الذي قتل .

قالت : عندما تعرف عليها كان متخرجا من إحدى الكليات ، ولأنه وسيم وجميل ابتاعوه ؛ ليجر الفتيات إلى تلك الشقق بعد قصة حب رومانسية لفتيات متعطشات للأسف للحب والغزل .. ولما ينته دوره مع إحداهن ينتقل لكلية أخرى ، ويصطاد فتاة حددت له .. الحقيقة المرة التي علمتها أن عصابة رهيبة كانت تدير هذه المواخير .. والشاب الذي ورّط عبير قتل ؛ لأنه المورط وصياد .. المصور مجهول حسب علمي ، فالشاب صياد فقط .. لكن الفرسان كثر

ربما لا يعرفون بعضهم بعضا .. هو يفعل ذلك مقابل أجرة .. فهم يدفعون ثمن غرامياته وحفلاته وثيابه وهداياه .. وظيفة يا إدريس .. لم يحزن عليه أحد لما قتل .. فقد كان مكشوفا في تورطه في تلك القضايا الأخلاقية السيئة .. أفهم أنك لم تستفد كثيرا من عبير!

قال : استفدت طبعا ، استفدت قصة حياتها ، وكيف عملت معكم ؟ ولكنها خرجت من الحزب .

ـ نعم ، خرجت قبل سنوات .. هي كان نشاطها ضعيفا مجرد عضو .. كانت محطمة نفسيا .. وحتى أثناء عملها خاضت عدة مغامرات عاطفية فاشلة .

ـ لم تتكلم عن ذلك .. ركزنا على قصة اصطيادها .. فعلا موضوع الصور والشقق مثير ؛ ولكنه قديم ، يبقى مجرد حكاية ومأساة لمن وقع فيه .. وهي ضحية كما قلت ، ولا تذكر كيف خدروهن أو نوموها ؟ لديهم مكر وخداع بارع .. وأين حدث التصوير ؟ لا تستطيع معرفة البناية .. وقلت تلك المرأة ترفض أي مقابلة أهي ذات بعل ؟

ـ لا بعل ، ولا بصل .. قوادة .. وهي نصف مشلولة ، لا زوج ، ولا أولاد .. كانت مشرفة على إحدى الشقق .. وأعتقد أنها تعرف كيف كان يتم التصوير والتنويم والتخدير ؟ صديقتي نبيلة كانت تتمنى لو تعرف كيف صوروها ؛ لتكتب لزوجها الأول الحيلة التي تعرضت لها كانت قلقة بشأنه ، وتشعر أنها سببت له عدم الذرية والنساء .

قال بشفقة : هو جعل كل النساء نبيلة ، وهو يعترف اليوم أنه تسرع ، وغلبه الانفعال والغضب ، وقد سيطرا عليه ذلك النهار عندما رأى الصورة القبيحة .

ـ أنت تعرفه سيد إدريس !

ـ نعم ، تعرفت عليه منذ عهد قريب ، وأصبحنا أصدقاء ؛ وذلك بسبب الصورة .. شكرًا عندما أنتهي وأعد القصص للنشر سأتحدث معكم ، سلمي على الآنسة عبير .

وقبل أن ينهي الاتصال سمعها تسأل : هل تحدثت هند معك بعد ذلك اللقاء ؟

ـ من أجل أختها أم من أجل أمها ؟

ـ من أجل الزواج !

ـ لم يحدث شيء بعد لقاء التعريف .

قالت مشجعة : سيحدث شيء يا أستاذ إدريس إنها خائفة فحسب ، إنها تعيش وحيدة ، وقد يكون مرض والدها مؤثرا عليها .

ـ وهل هو مريض ؟!

ـ نعم ، هو مريض منذ سنة.. سرطان في القلب ولا أمل في العلاج هنا ولا هناك .

ـ هو من جيلنا!

ـ أعتقد .. وهند مهتمة بزواج أختها لأسباب عدة .

ـ منها!

قالت : الوحدة التي تعيش فيها زينب .. أنت كيف تعيش وحيدا ؟!

ـ حياة لا تسر .. إذا مرض الرجل قد يتضاعف المرض قبل أن يدخل عليه أحد ؛ ولكني تعودت عليها .. وجيراني في الحي أخي وأختي وبعض الأقارب .. تعودت على الوحدة عشرين سنة .. أحدهم يقرع الباب ...

وضع السماعة ، وخرج يفتح الباب ، فوجد سيفا أمامه ، ويحمل طعاما جاهزا ، فساعده في إدخال الطعام ، وقال : اتصلت بإياد وهو قادم .

قال : حسنا ! شكرًا يا سيف .. يبدو أن طعام مطعمنا لا يعجبك .

ـ لا ، لا ، بل طعامكم جيد .. ولكني أحببت أن أكرمكم.

ـ أكرمك الله .. بارك الله فيك .. ها هو صوت سيارة إياد يقف أمام العمارة .

ـ أنا كلمته من المطعم .

خرج إدريس لفتح الباب لإياد الذي زلف مسلما مصافحا ، وانتقلوا إلى حجرة الطعام وتعشوا ، وخرجوا لصلاة العشاء في المسجد ، ثم عادوا للسهر والسمر ، وحدثهم إدريس عن لقائه بالآنسة عبير في مقهى النضال العربي .

فقال سيف معقبا :يا الهي ! لقد كنت مغفلا تلك الأيام .. لم أسمع بهذه الأفلام الرهيبة أو لم أكن أركز على سماعها .. الحوادث كثيرة في الكليات .. هذا لا يخطر في البال!

قال إياد : إنه تدبير محكم ؛ ولكنه لا يخلو من ثغرات .. وماذا استفاد الشاب القتيل من تغريره بهن ؟!

ضحك إدريس تهكما وقال : المال والبدلات والحب .

قال سيف : الأشرار لا يفكرون في النهايات ..لا يفكرون في مصالحهم الآتية والشرعية .. ولكنها لم تعرف كيف وقعت ؟

ـ لا تعرف ، واستسلمت للتهديد على أمل أخذ الصور .. ولما خابت بذلك أنقذتها سمر بإدخالها في الشيوعية ، فابتعدوا عنها .

قال إياد : المهم أنها تعرضت للتخدير بطريقة لم تعرفها ، الشخص إما أن يصور بإرادته وعلمه أو رغم أنفه ويدرك ذلك بعد الاستيقاظ ، أو رغم أنفه خدعة وحيلة ولا يدرك ذلك وهذا ما حصل مع امرأتك يا سيف لم تدرك كيف صورت ؟كن ضحايا لعبة أكبر منهن !

قال سيف : للأسف لم أكن أسمع بمثل هذه الأشياء والشيطنة ، وحتى نبيلة كانت تجهلها أو علمت بها ، ولم تلق لها بالا .. لم تحدثني يوما عن مثل هذه الشقق السوداء الحمراء .. على كل انتهت القصة ها هنا .. ولم أكن أعلم بمثل الأوكار .. وأنا أشهدكم أنني سامحتها .

قال إدريس : أنت كنت طيبا يا سيف .. انعزاليا إلى حد ما .. فغفر الله للجميع .. وأهل الشر لا ينتهون إلى قيام القيامة .

قال إياد ملطفا الجو : قدر الله وما شاء فعل يا إخوان .. الآن ماذا جرى لك مع السيدة زينب ؟

تنحنح إدريس ، ومسح فمه من بقايا ما يأكله : تقابلنا في بيت السيدة سمر ، تحدثنا عن مشاكلنا الجنسية بكل وضوح .. وطلبت الحديث عن صورة والدتها ، وقصتي مع الصورة .. فاعتذرت بالوقت ، وكان وقت العشاء يقترب وخرجت للصلاة ..وأنا أنتظر الرد ليصبح

الموضوع جديا ؛ لعلي أتزوج أنا وسيفا في ليلة واحدة .

ضحك سيف وقال: يا صديقي لا تربط نفسك بي .. أنا نسيت شيئا اسمه الزواج

ـ لا رهبانية في الإسلام .

ـ لن أذهب للدير يا صديقي! أنا طابت لي حياة العزوبية .. أنا أفكر بزيارة مكة .

قال إياد : الحج!

ـ نعم

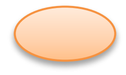
قال إدريس مشجعا: فكرة جيدة ! أنا مثلك أرغب بذلك.. أنا حججت قديما مع إياد في بعثة البلدية .

قال إياد مشجعا لهما : اليوم الخدمات والرعاية للحملات أفضل .

قال إدريس : أتمنى لك التيسير يا صديقنا.. فالحج ركن عظيم من أركان الدين .. هل تصلي في البيت ؟

قال : بالتأكيد .. وأقرأ جيدا .. أنا أفكر بإطلاق لحيتي .

قال إدريس : لا تتعجل يا صديقي حتى تتقوى الطاعات عندك ، وعندما تجتاز الصيام ورمضان خاصة تتأسى بالسلف الصالح بشأن اللحية .



عندما رجع سيف للبيت بعد منتصف الليل أخبرته الخادمة أن سيدة اسمها زينب اتصلت به وتركت رقمها ، وطلبت أن يتصل بها بأي وقت من الليل ، أخذ الرقم وتركه على مكتبه ، ودخل الحمام ، واغتسل وتوضأ ، وصلى بضع ركعات كقيام ليل ، ودخل مكتبته المنزلية ، وتناول كتابا كان يقرأ فيه ، وقرأ بضع صفحات ، وغفي على الكنبة ، واستيقظ على آذان الفجر ، وتوضأ وسار للجامع الذي يتوسط الحي .. وهذا أقدم مسجد في حي بهية ، ولم يكن المصلون بالعدد الكثير ، كانوا صفا واحدا ، وبعض أنفار في الصف الثاني ، ولما قضيت الصلاة غادر المسجد سيرًا على الأقدام إلى بيته .. وما كاد يستريح ، ويتناول القهوة من الخادمة

حتى رن جرس الهاتف ، فتناول السماعة قائلا : نعم .. زينب أهلا صباح الخير أو السلام عليكم أحسن .. أنا بخير .. ترغبين بالحديث معي .. آ أنا دائما في البيت .. ليلة أمس كنت في زيارة .. بعد العصر أمر على الصيدلية أذكر موقعها .. حسنا ، بعد الصلاة سأكون في الصيدلية إن شاء الله .

غادر المسجد بعد صلاة العصر ، وركب سيارته باتجاه صيدلية زينب التي تقع بين أول حي بهية وحي العرب الكبير ، دخل الصيدلية بعدما ركن السيارة أمامها ، رحبت به زينب ومساعدتها ، وقدمت له مقعدا ليجلس عليه، ولما أنهت الترحيب والجلوس قالت : كيف أنت؟

ـ بخير

ـ أنت تصلي يا سيد سيف!

ـ نعم ، من عهد قريب تعلمت الصلاة .

ـ هل أنت مرتاح في الصلاة ؟

قال بحماس: جدا يا سيدتي! كيف أنت ؟ وكيف الدكتورة هند؟

ـ كلنا بخير ..كنت أحب أن أسالك عن شخص تعرفت عليه حديثا .

ـ إدريس .

ـ نعم ، إدريس .

ـ نعم ، عرفته وأزوره في بعض الأمسيات ، وتحدثنا عن والدتك ، وما تعرضت له من مكر ، وتدبير شيطاني ؛ ولكنها لم تعرف من غدر بها .. ما زال الفاعل مجهولا

ـ هل تعلم أن هذا الرجل العجوز قد قدموه لي كزوج ؟

ـ أعلم ذلك .. وهو رجل جيد واجتماعي ومغامر وصحفي وفضولي ومتدين إلى حد جيد .

بعد صمت قالت : لو كنت ابنتك أتقبله لي ؟

ـ لم أفهم قصدك يا سيدتي ! أنت تزوجت وترملت ، وهو تزوج وماتت زوجته .. بينكم

أشياء مشتركة قد تساعد على نجاح الزواج .. فكلاكما لا يسعى للولد .. وأنت ـ معذرة ـ كما علمت قد أزلت الرحم ..وهذا يسبب الضعف الجنسي .. وهو يعاني من ذلك .. وأنت ترغبين بزوج عنده مسحة من التدين بمعنى أنه غير متشدد .

ـ مسحة من التدين ! هذا كله علمته من إدريس .

ـ نعم ، هكذا قالوا له يا سيدتي .. هو لا يعرفك ، ولم يقابلك إلا تلك الأمسية .. فمصدر معلوماته عنك المرضة سمر زميلة أمك أيام الجامعة .. وعلمت حديثا أنها ظلت على صداقة مع أمك رحمها الله تعالى .

بعد صمت قالت : أنت طلقتها من أجل الصورة !

ـ نعم ، من أجل الصورة ..كان الموقف رهيبا يا دكتورة زينب ..عريس منذ أيام قليلة يتفاجأ بصورة لزوجته دون لباس عارية تماما ..كانت صدمة لي .. لم أستوعب الصدمة .. وتصورت نفسي مجرد ستار لشيء رهيب

ـ والحب!

ـ ما هو الحب ؟ يا سيدتي لما يكتشف الإنسان خيانة ماذا يبقى للحب ؟ إنها لم تنكر أن الصورة لها .. ذكريات مريرة .. ماذا تريدين أن تعرفي عن إدريس ؟

ـ أهو الزوج المناسب لابنتك زينب ؟

ـ حسب مواصفتك هو الزوج المناسب .. أنت ترغبين بالستر .. وهو كذلك .. هو ليس بالغنيمة يا دكتورة يعيش على تقاعده بعد خدمة عشرين سنة .. فهو راتب ضئيل ؛ لكنه يملك شقة تصلح للحياة الزوجية الهادئة .

ـ أترى أن الزواج سينجح ؟ ولن ننتقل إلا المحكمة بعد أسبوع زواج .

ـ إذا لم ترغبي أنت بالطلاق ، فلن يحصل من طرفه .. هو بعد موت زوجته لم يقبل بالزواج خشية الزواج من امرأة ترغب بالذرية .. ويعود للتحاليل والعلاجات

ـ يعني أتوكل على الله .

ـ اسألي أو تحدثي معه مرة أخرى .. وأعرضي شروطك عليه ..وأما الطلاق إذا لم تطلبيه أنت فلا أعتقد أن يفعله إلا مضطرا .

هتفت : مضطرا .. ما تقصد بمضطر ؟!

فجأة دخلت هند وهتفت فور رؤيتها المهندس سيف المهندس : سيف هنا .. مرحبا زينب كيف حال المهندس المعتكف ؟

مدت يدها لتصافحه فقال: آسف لم أعد أصافح النساء .

صاحت دهشة: ماذا؟!

فقالت زينب : المهندس تمشيخ من عهد قريب !

ـ آ .. وأنت شيخة ..فأنا آسف بإزعاجي لكم .

قال : كيف حالك يا دكتورة هند ؟

ـ أنا الحمد لله .. ماتت أمي وهي حزينة لك ، ومن أجلك يا مهندس سيف .. ما أخبارك ؟ ولماذا أراك هنا ؟!

قالت زينب : أنا طلبت منه المجيء .. ماذا تريد الأخت الكبرى ؟

ـ اتصل بي خالد .. يريد أن نلتقي عند الوالد الآن .

ـ الآن يا هند !

ـ نعم .

قال سيف وهو يقوم عن الكرسي : كيف حال الوالد اليوم ؟

ـ حاله صعب يا مهندس سيف!

ـ شفاه الله .. سمعت بمرضه .. خفف الله عنه.

قالت زينب: شكرًا مهندس سيف على تلبية الدعوة ؛ لعلنا نلتقي مرة أخرى .. كان موضوعنا يا هند عن السيد العجوز إدريس .. فهو كما تعلمين من أصدقاء سيف .

قال سيف: صرنا أصدقاء بسبب المرحومة نبيلة والصورة الإجرامية .. وقد التقى بفتاة تعرضت لما تعرضت له أمكم ـ رحمها الله ـ الاستدراج إلى شقة وتصويرها بطريقة إجرامية ، ثم باعت نفسها للحصول على الصور وخشية الفضيحة ، ومع ذلك نالوا منها ، ولم تحصل على الصور ، فلجئت للحزب الضال الشيوعي ..وتوقف أولئك عن التعرض لها خوفا من صحف الحزب وبياناته الثورية ؛ لكنها لا تذكر كيف خدعت وصورت ؟

سألت هند : إدريس التقى بها ، وكيف وصل إليها ؟!

ـ عن طريق الممرضة سمر .. هي التي ضمتها للحزب لتحميها من الدعارة .. وظلت لليوم بدون زواج حتى لا يكشف أهلها أنها فقدت عذريتها من شلة مجرمين .

ـ لم تحدثني سمر عنها .

ـ وهل تحدثك عن كل شيء ؟ هي صديقة أمكم .

ـ أنا آسفة .. هي في الحقيقة صديقة أمنا .. فنحن صادقناها تبعا ؛ ولكنها قصة مهمة هناك ضحايا كثر .. سيف العزيز نحن بحاجة للجلوس معك

ـ معي ! هذا صعب يا دكتورة .

ـ أما زلت تكره جنسنا ؟!

ـ لحتى الآن لم أتخلص من كرههن أو عقدة الاتصال بهن ..وأنا قابلت الدكتورة زينب ؛ لأني أدركت أنها تريد أن تسأل عن السيد العجوز على رأيها .. فأنا شجعته حقا على الزواج إذا قبلته الدكتورة .. فهو ليس لديه عداوة نحو النساء عقدته الحمل .

رئيس التحرير

كان إدريس قد قدم القصص الأربعة لسكرتير تحرير الجريدة الأسبوعية ، وطلب تحديد موعد لمناقشتها مع رئيس التحرير المحامي خلدون ، وبعد أن اطلع الرئيس عليها ، وعلى ما كتبه إدريس المعروف لهم ، اجتمعا لترتيب النشر ، فوضع الرئيس ورقة أمام إدريس ؛ لتكون مقدمة أمام تحقيقات إدريس . وقال : أحسنت الكتابة يا صديقنا كعادتك! .. وهل تعرفهم شخصيا؟

ـ لا ، أول مرة ألتقي بهم يا سيدي .. فكرة خطرت في بالي .. كيف قبل هؤلاء الشبان الصغار ترك دينهم والتحقوا بالمنهج الماركسي ؟ هل كان ذلك عن قناعة أم صداقة أم انبهار بالفكر الشائع وثورة لينين وكاسترو؟ ولماذا ظلوا موالين ومقتنعين بالفكر الشيوعي رغم موته في أقوى دولة ماركسية الاتحاد السوفيتي ؟!

ـ جيد أن يتحدث الناس عن ماضيهم .. هو للتاريخ مهم .. بعض القرّاء يحبون قراءة مثل هذه الصفحات من الماضي القريب .. اقرأ مقدمتي .

قرأ إدريس ما كتبه رئيس التحرير :

الماركسية منهج مادي الحادي ظهر في أوروبا ، وامتد لأنحاء العالم ، وأصبح منهج حياة لعدد كبير من القادة في الصين وكوبا وروسيا ، وكان له صدى في العالم العربي والإسلامي ، وتأثر به شبابنا وشباتنا ، واتخذه بعضهم منهج حياة ؛ ورغم زخمه وقوته وسرعة انتشاره لم يصل للحكم الصريح إلا في اليمن الجنوبي ، وبعض أحزابه شاركت في الحكم في بعض دول العالم العربي والإسلامي ، وبعضها دخلوا البرلمانات على شكل أفراد وأعضاء برلمان، وحكم بعضهم كأفراد وعضو برلمان ، وفترة الستينيات من هذا القرن فترة حماسية بالنسبة للشيوعيين العرب.

هذه نماذج لشبان اعتنقوا الماركسية في أول حياتهم لدوافع مختلفة ، أحدهم اتبع المنهج الماركسي حبا في النساء ، ودون الشعور بالإثم والمعصية ، وفتاة دخلت الماركسية لتحمي

نفسها من شبكات الدعارة هربا من الجنس ، وآخر لحق بالشيوعية حماسة للفكر اليساري والتمرد على التقاليد المنتشرة في المجتمع ، فأرجو أن يستمتع القارئ بأفكار وذكريات هؤلاء الأربعة ، وقد يكون لنا حديث مع غيرهم .. وهذه الحلقة الأولى ... وضع إدريس الورقة ، وقال: أليست مقدمة طويلة يا أبا بسام ؟

ـ أستطيع اختصارها .. مقالك كبير كذلك .. وليأخذ المقال والمقدمة والإعلانات صفحة كاملة .. المهم هل تحب أن تضيف شيئا عليها ؟

ـ لا ، أنت تصرف كما يحلو لك ؛ لكن أعلمني عندما يبدأ النشر لأتمكن من شراء الأعداد اللازمة لإرسالها لهم ؛ لأنني وعدتهم بذلك .

ـ سيفعل زكي ذلك .. سأبدأ في نشر ذكريات سوزان ، ثم سمر ، ثم عبير ، ثم نختم بقصة المهندس مراد .

قال : ليس مهما الترتيب عندي .. كانت فكرة وعملت عليها كل هذه الفترة .

ـ الدكتورة التي طلبت الحديث معك هل قابلتها ؟

ـ نعم ، قابلتها بعد اتصالك. وذكر له قصة أمها باختصار فقال : أنا سمعت بمثل هذه الشبكات من الدعارة ..كنت أظن أن الفتيات يذهبن بحريتهن ، وليس تحت ضغط الابتزاز والتهديد !

ـ هذا صحيح يا أستاذ ! لكن هناك فتيات جميلات كن يرفضن الانصياع لتلك الشهوات ، ويرفضن تسليم أجسادهن بإرادتهن ، فيتعرضن للتخدير والتنويم ، ويصورن عاريات ، ويقوم أحد الشبان بعرض صورهن تلك عليهن ، فيخضعن للدعارة أو يلتحقون بالأحزاب النشطة كما حصل لعبير .. ولليوم ترفض الزواج أو فات الزواج خشية أن يعرف أهلها أنها فقدت عذريتها من أيام الجامعة بطريقة منحطة .. احتمت بالحركة الشيوعية .. فبعض الأسر كما تعلم صارمة في مسائل الشرف ؛ بل الشاب الذي استدرجها وغرر بها كرر عملته مع غيرها .. وعرف أهل فتاة اعترفت لأهلها بجرمه.. فقتلوه بالسكاكين وسط الجامعة يا أبا

بسام .

ـ أرجو أن يتقبل قراء جريدتنا مثل هذه المواضيع .. عندما نقوم بالنشر سأخبرك .. وإذا نجحت فكرتك ولقيت استحسانا ، سنطلب المزيد من المذكرات .. سلم لي على الدكتورة هند غريب .

ـ قد أتزوج من شقيقة لها .. مشروع زواج .

ـ زواج! أنت ستتزوج!!

لخص له حكاية الزواج الجديد ، فقال أبو بسام : هذا لو حصل كما يقال فتحت لك ليلة القدر ؛ ربما لا نعد نراك .

ـ هل يتغير الشخص بسرعة ؟!

ـ المال والجاه والزوجة يتغير الكثير .. لا تنسى من إخباري بكل تطور في هذا الزواج العجيب ولكنها صغيرة بالنسبة لسنك يا إدريس .

ـ صحيح .. ومنذ ترملت لم يتقدم لها أحد من مستواها الاجتماعي مع أنها طبيبة وغنية ..وقد ورثت عن زوجها ، وعن أمها .. ووالدها طبيب في الوزارة وهو على وشك الموت من السرطان .. وأمها مهندسة ، وأختها طبيبة ، وكذلك شقيقها الوحيد طبيب .. وتعيش في حي بهية .. وهو اليوم لم يعد كما كان .

ـ أتمنى لك التوفيق ، وإذا حصل الزواج وقبلتك .. فادعونا لحفل الزواج.

ـ حفل الزواج وهل سنحتفل ؟!

ـ أكيد سيكون هناك حفل في قاعة أو فندق ذي نجوم خمس .

نهض إدريس مسلما ، وشاكرا لرئيس التحرير .

بعد هذه المقابلة بعشرة أيام نشرت الحلقة الأولى على إحدى صفحات الجريدة الأسبوعية "الشرق المضيء" ونشرت المقالة الخاصة بالمهندسة سوزان ، نشرت المقالة مع بعض

التعديلات الطفيفة ، وإضافة بعض الهوامش ، ولما استلم إدريس الأعداد ذهب بنفسه لشقة السيدة سوزان ، ووضعها في صندوق الصحف الموضوع أمام المنزل ، ولما اطلعت السيدة على الصحيفة ، وقرأت المقدمة المضافة اتصلت بإدريس شاكرة النشر ، وعقبت فقالت : لماذا هذه المقدمة الطويلة ؟

ضحك إدريس؛ لأنه هو نفسه علق على طولها، وكان متوقعا لمثل كهذا اعتراض فقال : هذا شغل رئيس التحرير ليس شغلي .. المهم أن المقابلة نشرت كما عرضت عليك .. أما المقدمة والعنوان فهي للفت القارئ وإثارته لقراءة كل المقال ، ولا يكتفي بالعنوان والمقدمة والتلخيص؛ لأن بعض القرّاء يكتفي بالعنوان .. بعضهم بالمقدمة .. بعضهم بالتلخيص.

اقتنعت بالتعليل ، وهي تعلم أن رئيس التحرير يحب أن يظهر بصمته على المقال : بدأتم بي مع أنك قابلت مرادا قبلي !

ـ هذا أيضا شغل المحرر وسكرتيره .. أنا حريص أن ينشر ما اتفقنا عليه

يا حضرة المهندسة .. الأمور الأخرى من عمل التحرير .. فهم المسؤولون في النهاية عن النشر ونجاحه .. أنا فكري وعقلي في المقال نفسه ؛ وليكون سهلا ومقبولا من طبقات القرّاء المتنوعة لم أحاول مقارنة بين فكر وآخر .. جعلتها وثيقة تاريخية .

ـ الحق أنك بارع في الكتابة الصحفية !.. ولك خبرة كبيرة .. أنا عندما قرأتها رغم معرفتي بكل تفاصيلها ظننت أن هذه المعلومات عن شخصية غيري ، ولا أقرأ صفحات من حياتي أنا إنما أقرأ قصة صديقة ورفيقة لي .. ألم تنتم لحزب أخ إدريس ؟

ـ نعم ، لم أتحزب ؛ لكنني تعرفت خلال هذه السنين على اليميني القومي اليساري الديني .. وأحب الندوات الخاصة .. وكنت أكلف من قبل رئيس التحرير الأستاذ أبي بسام بحضورها وكتابة تقرير عنها .

ـ أحسنت يا أستاذ إدريس ! أتسمح بسؤال خاص ؟

ـ سؤالان يا مهندسة سوزان!

ـ أنت تعلم أني كنت صديقة المهندسة الراحلة نبيلة خالد ، وكذلك للممرضة الغالية الرفيقة سمر .

ـ أعرف ، وكانت السيدة نبيلة هي الرابط بين المقابلات الأربعة أو صارت هي الرابط .

ـ علمت أنك وافقت على الزواج من الدكتورة زينب .

ضحك إدريس للحظات قبل أن يقول: رفيقتك سمر ورطتني في هذه القصة ، وقابلت الفتاة الأرملة بعد أن راقت لي فكرة الزواج بعد عزوبية امتدت لربع قرن ، وتوقفت الحياة عند المقابلة .

قالت : الموضوع ما زال قائما ؛ لكن والدها في حالة مرضية صعبة يا أستاذ إدريس ، فالناس في ظروف كهذه تتوقف عندهم الحياة .. ويوقفون الزواج والأفراح .

ـ الأمر لله من قبل ومن بعد .

ـ ألا تقبل دعوة للعشاء أو الغداء بمناسبة نشر المقال ؟

ـ أقبل دعوة لشرب الشاي أو القهوة .

ـ سوف ارتب الأمر مع زوجي إياد .

ـ السلام عليكم .

ـ وعليكم السلام .

ترك السماعة والتفت لإياد قائلا : إنها السيدة سوزان تتصل بمناسبة نشر مقالها .. فقد أعجبها النشر .. الإنسان يحب أن يتحدث عنه الناس ، ويثرثرون أخباره وأقواله .. شهوة الشهرة .

ـ وكيف لا يعجبها ؟ ربما من سنوات وسنوات لم يهتم بها أحد .. أحد ليسمع حكايتها وتاريخها النضالي كما يزعمون .. تاريخ الكفر والضلال

ـ سألتها أثناء اللقاء هل تُحبين أن تعودي على ما كنت عليه قبل الشيوعية ؟

ـ ماذا ردت ؟ هذا لم ينشر طبعا .

ـ أكيد لم ينشر قالت : ماذا كنت قبل الماركسية ؟ لم أكن شيئا .. اسمنا مسلمون ، لا نعرف من

الإسلام شيئا .. يا إدريس لا نعرف صلاة ولا صوم ولا دين .. في البيت حياة دون مبدأ ؛ ربما عرفت عن الإسلام عند اعتناقي للشيوعية الكثير من المعلومات من المناقشات مع شباب التيار الديني .. كانت حياتي فراغا ، فجاء ماركس وملأها .. ولا تنسى وهجها تلك الأيام وعلى مراهقة مثلي .. حملت الماركسية في قلبي ونفسي .. كان الانبهار بها جميلا وممتعا .

ـ هي من أسرة ماركسية!

ـ تستطيع أن تقول ذلك.. الفكر الإلحادي معشعش داخل البيت .. الأدهى سمر كان والدها ضابطا عسكريا ، وملتزما بالصلاة وشعائر الدين الظاهرة .. وكذلك والدتها ، واقتنعت بالشيوعية قبل الجامعة .. أما السيد مراد فكان يسمع عن الشيوعية قبل الجامعة في المدرسة الثانوية ، لم يكن شيوعيا ، كان معجبا بها متعاطفا .. ومن أول أيام الجامعة مشى مع الشباب الشيوعي دون اندماج حقيقي ، ثم انضم إليهم للتغطية على مغامراته العاطفية والجنسية فيما بعد كما يخبر من يعرفه .. وفعل ذلك حتى لا يشعر بالندم والإثم من تلك العلاقات .. فالجنس حلال عند الشيوعيين إذا كان الرضا من الطرفين دون اغتصاب أو إكراه .. وتشجع الماركسية عليه للقضاء على مؤسسة الزواج والأسرة التقليدية .. ويعتبرون العفة مرض وتسلط .. ويرون أن النساء مشاع وحق لكل رجل .. وأن هذا كان في المرحلة الأولى من مراحل الشيوعية .. نظرة بهيمية كالحيوانات ؛ لتخليص الناس من عقدة الكبت والحرمان .. وهم في نفس الوقت يرفضون الدعارة والعمل فيها .. وهم يرفضون العفة والطهارة .. وسعى ستالين على ما أظن إلى نشر الشيوعية الجنسية في روسيا ، ثم ألغى البرنامج عندما تفشت الأمراض الجنسية بين الذين عاشوا تلك التجربة .. والإباحية بدون ماركسية شائعة في الغرب .. وأفلام الجنس صناعة تملأ العالم .. والمجلات الإباحية تباع على الأرصفة في أمريكا وأوروبا الغربية باسم الحرية الشخصية والشذوذ والانحرافات الجنسية .. واليوم الإجهاض في دول الكثلكة مباح ، وإن لم تبيحه الكنيسة .. فثورة الجنس والفجور تعصف بالشعوب حتى صرنا نسمع بالإيدز وصعوبة علاجه .. والإعلانات الجنسية التي تظهر فيها النساء

المتبرجات لإثارة الغرائز تملأ الصحف والمجلات .

قال إياد : لا حول ولا قوة إلا بالله

أخذت الجريدة تنشر مقالات إدريس تباعا ، كل أسبوع حلقة ، ولما نشرت الحلقة الثانية كان إدريس وسيف وإياد يتعشون في أحد مطاعم حي بهية ، وبينما هم يتعشون دخلت الدكتورة هند المطعم ، فالتقت العيون ، فذكرت لصاحب المطعم ما تريد ، وتقدمت نحو مائدتهم محيية فرحبوا بها ، داعين لها مشاركتهم الطعام ، فشكرتهم ، وذكرت لإدريس أنها اطلعت على المقالات المنشورة ، وبينت إعجابها بيراعه وعقله ، وقالت لسيف : أرغب بمقابلة خاصة إذا سمحت .

ـ مقابلة .. لماذا ؟! ها نحن نتقابل .

ـ متى تكون في البيت ؟

ـ ها نحن بعد العشاء سنسهر بالبيت .

ـ جيد.. سأذهب بالطعام لبيت والدي ..وسوف أمر عليك .

ـ أنا في انتظارك إذا كان ذلك لا يسبب لك حرجا .

ـ لا تهتم .. أنت بمقام الوالد .

بعد جلوسهم في بيت سيف بساعة أدخلت الخادمة الدكتورة إلى غرفة الاستقبال ، وقدمت الخادمة القهوة ، وتركتها وحدهما فقالت هند : أريد منك طلبا .

ـ طلبا بشأن زينب!

ـ لا ، موضوع زينب الآن في إجازة .

ـ لا تريد الزواج .

ـ تريد الزواج ، ويبدو أنها لا تريد السيد العجوز ..طلب آخر يا مهندس سيف .

ـ تفضلي بذكر الطلب .

ـ الطلب أن والدي الدكتور غريب يرغب بالحديث معك مباشرة وبلقاء قريب .

ـ طلب .. ولماذا يريد اللقاء بي ؟! أليس هذا غريبا ؟! نحن لا نعرف بعضنا .

ـ لا أدري ؛ لكنه سمع بلقاء زينب بك في الصيدلية فعلق عندئذ فقال : هذا الرجل ظلم لو أستطيع اللقاء به ربع ساعة من الزمان ؛ لو لم أتزوج نبيلة لردها إلى ذمته .. هل كنت ستردها يا مهندس سيف لو لم تتزوج ؟!

ـ لم أفكر بذلك يا هند ! كان الطلاق نهائيا، ومضت شهور العدة ، ولم تحصل الرجعة .. لم أفهم بعد قصد والدك باللقاء !

ـ هل أرتب لذلك ؟

انتفض وقال بانزعاج ظاهر : لا، لا ، أنا آسف يا هند .. أنا لولا قصة زواج إدريس وزينب أختك لما حدثت هذه اللقاءات أنا قبلت باللقاء كما تعلمين من أجل صداقتي مع إدريس .. أنا آسف يا هند .. أنا أعيش في الماضي .

ـ كما تشاء ، وإذا فكرت باللقاء بأبي وغيرت رأيك فاتصل بي أو بزينب .. شكرًا على الاستقبال وسلم لي ضيوفك .

جاءت الخادمة ورافقت السيدة إلى خارج الفيلا ، وعاد سيف للجلوس مع ضيفه ، وأشعل سيجارة من جديد، وظل صامتا وواجما لحين ، مما دفع إياد ليقطع الصمت قائلا : ماذا تريد ضيفتك ؟

نظر في عيني إدريس ، ثم قال : لم يكن الكلام حول زواج إدريس من زينب ..كانت تريد مني الموافقة على لقاء مباشر مع والدها .. له رغبة باللقاء الشخصي بي .. لقد اعترف أمامهم أنه ظلمني ، وأنه كان يتوقع لو لم يعجل بالزواج من نبيلة أن أردها زوجة .

قال إدريس : هو يقول ذلك! ولماذا صدر عنه هذا القول؟! أكان والد نبيلة يعتقد أن ذلك سيحدث ؟

ـ لا أدري يا إدريس ! كان الطلاق نهائيا ، ولم أفكر بالعودة ، كان الطلاق بسبب قضية خطيرة

ولم تكن ساعة غضب وزعل فقط .."هذا الرجل ظلم " هكذا قال أمام هند .. ولو لم أتعجل الزواج ، لربما ردها إلى ذمته ، لو أستطع اللقاء به ربع ساعة من الزمان .. أنا يومذاك لم أفكر بردها ، حتى أن والدي ذكر ذلك فاستهجنت الفكرة .

قال إياد : رفضت مقابلته .

قال بعصبية : فورا .. وذكرت لها أنني لولا موضوع زواج زينب من الأخ إدريس لما تحدثت مع زينب ولا معها .. أنا منذ تلك المصيبة انصرفت النساء من نفسي .. جرح له ثلاثون سنة هل سيندمج بلقاء وابتسامة ؟! النساء سخيفات .. شر لابد من التعايش معه .

قال إدريس : هذه مقولة منتشرة حول الزواج من النساء .. شر لابد منه .. إنهن الأمهات يا سيف والبنات والأخوات والعمات والخالات .

قال سيف : ستقول لنا إنهن نصف المجتمع .. وكيف نعطل نصف المجتمع ؟ وها هن طبيبات ومهندسات وممرضات .. ماذا قدمن للمجتمع ؟ لا شيء .. إنما رفعن نسبة الطلاق في المجتمعات بسبب تملكهن للمال .. عدم احترامهن الحياة الزوجية .. سببن عطل كثير من الرجال .. سمعت أن عددهن في وزارات التعليم والمعارف يفوق الرجال ، وكذلك الصحة العامة .

قال إياد : والأطفال نصف المجتمع كذلك .

قال سيف : وأين نحن ؟

قال إدريس ساخرا : سمعت أن الرجال في بعض الدول ينشئون جمعيات تطالب بحق الرجال كما فعلت النساء .. وللمطلقات جمعيات ، وللعوانس جمعيات .

قال سيف: الناس كما يبدو لي لا يدرون ما هي حقوقهم ولا واجباتهم ؟

قال إياد : أمم وشعوب هلكت وانتهت .. ونحن سنلحق بهم ، ونسير على دربهم .. كل يغني وصلا بليلى .

إدريس : من ليلى ؟

ـ ليلى امرأة .

قال سيف : ما قصتها ؟

قال إياد باسما : يقال إن شابا اسمه قيس أحبها ، وغرق في هواها حتى صار مجنونا .. فيقال مجنون ليلى .

عندما انشغل إدريس بقضية سيف والصورة والمقابلات خف ظهوره في المقهى الذهبي ،كان يمر للاستراحة ، وشرب كوب شاي أو فنجان قهوة ، وينطلق في مهامه ، لم يعد يطيل الجلوس ، ولما انتهت التحقيقات والمقابلات عاد لبرنامجه القديم من التردد على المكتبة العامة ، ويقضي فيها بعض الوقت ، ثم يصلي في مسجد المدينة الكبير مسجد سيدي سعيد ، ويتغدى ويجلس في المقهى حتى الغروب ، والعودة للحي والسهر مع إياد أو مع سيف أو مع كليهما .

كان يجلس في المقهى عندما دخل سيف ، فانتقلا إلى الشرفة المكان المفضل لإدريس خلال كل الفصول إلا الأيام المطيرة أو الباردة جدا ، قال سيف : لم أصدف إيادا في المقهى .

ـ إياد لا يحب المقاهي .. أحيانا نلتقي بالمكتبة العامة أو أرافقه إلى النادي .. فهو عضو في نادي رياضي .. كان رياضيا أيام الشباب .. والنادي في مدخل المدينة من جهة الغرب نادي الشمس .

ـ هل انتهت قصتنا يا أستاذ إدريس ؟!

ـ لم تنته بعد .. نحن عرفنا الكثير من الحقائق .. لا تنتهي الحكاية إلا بمعرفة من قام بالتصوير أو أمر به ومن خدر ؟ .. والآنسة عبير كما أخبرتكم لا تعرف كيف صورت ؟ هي رأت الصور .. الكثير من الصور القذرة .. الغريب أكرر أن في قصتك صورة واحدة ، لم يعرض عليك غيرها .

ـ نعم ، صورة واحدة ومقطع من الفيلم .. أكرر صورة واحدة .. تحدثت معي السيدة زينب .

ـ ورطناك معنا !

ـ لا، لا ، أبدا .. أنا الذي ورطتك في الحقيقة .. ترجاني أن أقابل والدها .. فهو يلح عليهم بهذا الطلب .. وليس بيني وبينه أي لقاء أو كلام .. وأنا رفضت بشدة ؛ وربما بحدة .. أنا رأيته كذا مرة بمناسبات أضطر لشهودها .. ولم يحدث بيننا أي كلام أو حتى تحية .. فماذا يريد ؟ وهو يعترف بأنه ظلمني .. ولا أدري .. هل زواجه من مطلقتي ظلم لي يا إدريس ؟ وماذا سيفعل بعد ثلاثين سنة إذا وقع منه ظلم لي ؟!

ـ قد تكون رغبة مودع .. أليس هو على وشك الموت بسبب المرض العضال كما سمعت ؟ نسأل الله العافية .

ـ أنت تعرف لولا حديث الزواج لم أفتح مجالا نحو تلك الأسرة للقاء بي .. ما رأيك بمرافقتي إلى الحج ؟

ـ أنا حججت مرة ، وأرغب فعلا بالحج ثانية ولكن ...

ـ إذا تقبل أن أتكفل بحجتك أنا مستعد .

ـ تدفع عني رحلة الحج ؛ ولكن الأجر يذهب لك .

ـ المال هبة مني .

ـ متى الحج السنة ؟

ـ نحن في شهر حزيران .. فالحج انتهى السنة .

ـ فعلا نحن في شهر حزيران ، غفلت على أننا احتفلنا بالعيد قبل شهرين .. السنة القادمة في شهر نيسان إن شاء الله .

قال سيف : نعم ، هكذا في الرزنامة ..وطبيب القلب يقول بإمكاني السفر دون عوائق وبالطائرات أيضا .. إذا قبلت يكون هذا غاية الإكرام منك لشخصي حتى إمام مسجد بهية قال لي : إذا ملك المسلم الاستطاعة وجب عليه الحج والأفضل أن يعجل به .

ـ نعم ، الفقهاء يرى بعضهم تعجيل الحج إذا تحققت شروط وجوب الحج .. وبعضهم يجيز التراخي في أداء فريضة الحج .. سأفكر جديا في الرحلة .. أمامنا عشرة أشهر.

ـ خذ الموضوع بجدية كاملة يا إدريس .. أريد أن أعرف تلك الديار .. أعرف مهد الإسلام والدنيا .

ـ لماذا لا تذهب عمرة ؟

ـ العمرة قال الشيخ ليست بفرض .

ـ صحيح ، ولكنك تتدرب وتتعرف .. أنا أعرف شركات تساعد على أداء العمرة وبالطيران

ـ والإعلانات تملأ الصحف .

ـ الإعلانات كثيرة ، والصادقون قلة والاختيار صعب ، سأتحدث مع بعض شركات السياحة أنت عليك أن تسافر مع شركة سياحية عريقة يا صديقي .. والعمرة رحلة قصيرة أسبوع أو أقل .

قال سيف : أترافقني فيها ؟

ـ أنا سوف أرافقك في رحلة الحج .. هيا نقابل إيادا في النادي .. أنا سمعته يتحدث عن عمرة من يومين لا أدري له هو أو لأخيه .

ـ وهل يسافر بالطائرة ؟

ـ تارة بها ، وتارة برا .

دفع إدريس ثمن المشروبات ، وغادرا المقهى إلى نادي إياد بسيارة أجرة ، ووجداه في حالة تدريب ، فتوقف ورحب بهما ، وقال باسما : هذه أول مرة يدخل المهندس نادينا !

ـ لم أكن أعرف أنك تهتم بالرياضة والنوادي .

ـ الحق على الإستاد إدريس الرجل العجوز !

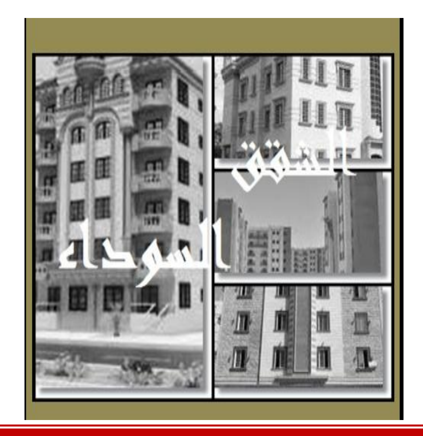
فغمرهم الضحك ، فهذه الصفة التي ألصقتها زينب بمن تقدم لخطبتها ، وشرح إدريس سبب هذه الزيارة ، وقال إياد : أنا حجزت للعمرة وإنما عن طريق البر؛ لأني سأذهب بأمي وأختي كمحرم لهن ، ولكن يمكن أن أرتب أن نلتقي بمكة في نفس الفترة الزمنية .. وأنا أعرف شخصا يحب السفر بالطيران لجدة .

قال إدريس : هذا أفضل .. من هو ؟!

ـ لا أدري هل تعرفه أم لا ؟ إنه السيد خميس بدر معلم متقاعد ، وصحته معتلة ، فيعتمر بالطيران .. سأتصل به وأعرف منه وقت عمرته ؛لأنه عرض عليه مرافقته في عمرة هذه السنة .. فهو منذ تقاعد ويحرص على أداء العمرة سنويا .. وذلك من سنوات .

قال سيف : اتفقت مع إدريس أن أحج معه الموسم القادم في نيسان بمشيئة الله سبحانه .. تكلم مع الإستاد خميس ؛ فإذا وافق تعرفنا عليه ، ونترافق، ما دام صاحبكم .

قال إياد : الإستاد خميس منذ أيام المدرسة ، ونحن نصلي الفجر في المسجد المجاور .. وربما اعتمر خمسين مرة .



العمرة

عاودت هند الاتصال بسيف مترجية المقابلة مع أبيها ، فاستغرب هذا الإلحاح ، وفعلت زينب مثل هند حتى شقيقهم خالد اتصل هو الآخر بسيف وعرف نفسه، وقال : لا نعرف السبب الوالد متلهف للحديث مع حضرتكم!

تنهد سيف وقال : أنا لم أتحدث مع أبيك يوما ما ..ولو التقيت به صدفة ؛ فأنا لا أعرفه.. لماذا يريد أن يراني ؟!

ـ منذ علم بلقائك بزينب في الصيدلية وهو متشوق للقاء بك ؛ ولكنه لم يذكر أي سبب أمامنا

ـ سوف أفكر .

استقبل بعد هذا الاتصال صديقيه إيادا وإدريسا ، وكانوا قد رتبوا لهذا اللقاء ؛ لأن إيادا قد التقى بخميس بدر ، ولما قاموا عن العشاء انتقلوا إلى غرفة الجلوس والاستقبال ، وضعت الخادمة أمامهم الشاي والمثلجات والفواكه والمكسرات ، واشتغلت بتنظيف المائدة بغرفة الطعام.

قال إدريس : لم تكن طبيعيا يا سيف أثناء العشاء!

ـ انتبهت لذلك! لم يكن هناك شيء إنما هذا الدكتور خالد شقيق هند وزينب اتصل بي راجيا الذهاب لمقابلة والده .. عمري ما تحدثت معهم ؛ ربما التقينا ببعض المناسبات كعزاء أو فرح خاص بأبناء الإخوة والأخوات، ولكني لم أتكلم معهم أو حتى أحاول التعرف على أشخاصهم .

ـ منذ لقائك بزينب والرجل يرغب باللقاء بك .. اذهب إليه لتعرف أي ظلم ألحقه بك هذا الرجل .. وهل إذا تزوج الرجل مطلقة قد ظلم زوجها المطلق ؟! هذا يكون إذا أفسدها على زوجها وتسبب في الطلاق .. هل له دخل في طلاق لنبيلة ؟!

ـ هو الذي عجل بزواجي من نبيلة .. تزوجتها خشية أن يطلبها .. لم تكن أمها تطيقه واليوم ماذا سيفعل لي ليزيل أي ظلم لحقني منه ؟ فات الزمان أنا أتوجس شرا من هذه الدعوة .. لقد

علمت أن امرأته التي تزوجها بعد ترمله بأسابيع قد هجرته .

قال : هي هجرته منذ أسابيع ، وعلمت من سمر أثناء حديثنا عن زينب أنها تركته منذ اشتد عليه المرض .. هي امرأة صغيرة ، وابنة أسرة غنية ، تريد اللهو والمتعة ، لا تريد أن تكون ممرضة .

قال سيف : أنا علمت ذلك من أختي ؛ وربما حصل الطلاق .. يبدو أنها وجدت ذكرا جديدا وكما قلت ترفض أن تكون ممرضة له في ساعة العسر .

قال إياد بعد صمت : لابد أن هناك موضوعا بشأن الزوجة نبيلة خالد .. قد تكون أوصته بشيء قبل موتها .. وتناساه .. ولقاؤك بزينب ذكره بك .. ولا أعتقد أنه يفكر بتزويجك زينب فهذا شيء لا يحل ولا يجوز شرعا يا إدريس .

قال إدريس : نعم ، يقولون الدخول في الأمهات يحرم البنات ؛ كأنها قاعدة فقهية .. نعود الآن إلى رحلة العمرة بعد أن عرفنا سبب هم سيف .. لقد تكلم إياد مع الأستاذ خميس بدر .

قال إياد : نعم ، اتصلت به فور عودتي للبيت ، ثم زرته ، وشرحت له المطلوب ، فرحب بذلك ، وأبدى عجبه منك يا سيف !

قال سيف : لم أفهم سبب العجب!

ـ يا سيدي الفاضل لما ذكرت له من أنت ؟ ووصفتك له ، قال : إني أسمع به ، وتعجب من رغبتك بالعمرة أو من توبتك .

قال إدريس : اشرح أكثر يا إياد .. هذا لغز جديد!

ضحك إياد وقال : يا سيدي الكريم! الرجل يعرفك من أيام مصنع الدواء الذي كنت تعمل فيه .. له شقيق يعمل في المصنع فني صيدلة اسمه ربيع .. وقد التحق بالعمل معكم قبل تقاعدك بسنوات ثلاث .. ويظن أنك تعرفه.

ردد سيف الاسم مرات قبل أن يقول : لا أذكره ، لم أكن أهتم بالأسماء والأشخاص .. كان يهمني العمل .. لكن أحمد أعرف بالاسم مني ، لقد كان يمارس عملا إداريا .

ـ المهم أن السيد خميسا يرحب بمرافقتك وصحبتك ، ويسعده التعرف عليك .. وسيرتب أمر الرحلة بحكم الخبرة ، وسيقدم لك كل العون والمساعدة .

ـ إني أحاول تذكر ابن أخيه ربيع ..عندما أراه قد أذكر صورة ابن أخيه .

ـ هو لما سمع اسمك سيف حاكم وردة .. فورا تذكر أنه سمع هذا الاسم أمامه أكثر من مرة قال : سمعت هذا الاسم من قبل .. وذكر أن ابن أخيه ما زال على رأس عمله في المصنع .

قال إدريس : متى سنذهب لزيارة الأستاذ خميس ؟

ـ متى شئتم ؟ والأفضل أن نرتب لموعد حتى لا يخرج يميناً أو شمالا .

قال سيف : غدا ما رأيكم .

ـ غدا لا بأس بعد صلاتنا العصر في حينا ..أقول لكم ما دمتم ستزورون الحي فليكن الغداء عندنا في البيت عند أم أحمد .. طبخة فلاحية ، ونصلي العصر في الجامع .. وإذا صلى خميس معنا نرافقه ، وإن لم يصل معنا نسير لبيته .

قال إدريس : أنا موافق يا سيف! لي فترة ما أكلت من طعام أم أحمد .. وهي ماهرة في الطهي خاصة الطبخات الأثرية والشعبية .. وستقارن بين طبخها وطبخ المطاعم والفنادق .

قال سيف : عليّ أن أقبل فالأخ إياد أخ فاضل .. سأمر على إدريس

وأصلي الظهر عنده ، ثم نمشي لحيكم إلا إذا كان عند إدريس خروج مبكّر .

قال إياد : جميل ! وأهلا وسهلا بكم .. دعني أتصل بالسيد خميس .

انتقل لمكان الهاتف الأرضي ، وتحدث مع السيد خميس، ورتب معه الموعد ، ووعد الرجل بالانتظار .

وتناول الأصدقاء الغداء في اليوم التالي في منزل السيد إياد أبي أحمد ، وطاب لهم الطعام وخاصة سيف .. أما إدريس فقد اعتاد على ذلك بين الفينة والأخرى .. فهم أصدقاء منذ ثلاثين سنة .. وقدم الشكر لأبي أحمد وأم أحمد .. وكان سيف قد أحضر هدية لأم أحمد ، وتقبلها إياد شاكرا .

وصلوا العصر في جامع الحي ، ثم ركبوا سيارة سيف إلى بيت خميس الذي كان في استقبالهم مع ابن أخيه ربيع الذي أحب رؤية المهندس سيف بعد هذا الزمن ، وانقطاعه عن العمل في المصنع ، تعانق ربيع مع المهندس الذي عرفه فور رؤيته ، وتذكره وقال : أهلا بالأستاذ ربيع محمد .. تذكرتك .. كنت تعمل في قسم صناعة الأدوية.

وبعد التعارف بين خميس وسيف وإدريس رتب خميس لرحلة عمرة مع إحدى الشركات التي يتعامل معها ، وطلب من سيف تأمين جواز السفر ليقدم للسفارة السعودية ؛ ليحصلا على تأشيرة دخول الأراضي السعودية المسئولة عن تيسير الحج والعمرة للمسلمين بصفتها الحاكمة للديار المقدسة .. وبعد الضيافة والاحترام ، قال إدريس : أنا سأمر عليك يا سيف وآخذ جوازك .

قال سيف: بل أنا سأمر عليك .. ونذهب إلى أبي أسعد .

فقال خميس : ليكن قبل الظهر حتى أتحرك جهة الشركة .. ولو أحضرت معك بعض الصور الشخصية .

بعد صمت قال ربيع : اتصل بي عمي مخبرا بأمرك .. فسررت لتوبتك .. وعجبت من هذه الدنيا يا مهندس سيف!

قال سيف : كيف المصنع بعد تقاعدي ؟

ـ كما هو يا سيدي ! لكن هناك تحسينات في خطوط الإنتاج ، وإضافة نوعيات جديدة من الأدوية .. والحق أن المصنع يتقدم .. ولدينا كما هي العادة موظفون جدد.

ـ أكيد هكذا الدنيا .. أنا ما زلت صديقا للمدير الدكتور ابن خالي .. وهو حسب علمي اليوم يتردد قليلا على الإدارة .. ابنه استلم المهام الرئيسة .

ـ نعم ، هناك عدد من أقاربكم يعمل في المصنع .

ـ ما شاء الله !

ـ أنا أعرفك ، لم تكن اجتماعيا .. كنت دائما رسميا .. وأيامها لم تكن تصلي.. تغيرت !

ـ نعم ، أنا أصلي من عهد قريب بسبب تعرفي على هذا الرجل ـ وأشار لإدريس ـ فتغير الحال والحمد لله .. إذا احتجت لمساعدة يا سيد ربيع أنا في الخدمة .

ـ تزوجت ..كانت لك حكاية تجاه النساء .. يتهامس بها الموظفون !

ـ لا ما زلت لهن كارها .. توقف بي الزمن عند الزوجة الأولى .

ـ سمعنا أنها ماتت !

ـ أجل ، رحلت .



بعد اكتمال نشر الحلقات التي أعدها إدريس للجريدة تابع كتابة المقالات الثقافية والعلمية من جديد ، ولقراءة الكتب وتلخيصها.. وقبل منتصف الليل بقليل اتصلت السيدة سمر ، ورحب بها ، واعتذرت عن الإزعاج فقالت: أما زلت مهتما بقضية الشقق السوداء مسرح الدعارة .

ـ الموضوع أغلق بعد مقابلة السيدة عبير ؛ لأنه لا معلومات جديدة ، وجاء الحديث عن الشقق بطريقة لا يعرفها إلا من علم بها .. فهي السبب كما تعلمين وراء انتقال عبير للحركة الماركسية ..خشيت أن تصير مومسا ما دامت قد دفعت الغالي دون استرداد الصور.. هل جد جديد ؟ هل تلك المرأة العاملة بتلك الشقق لانت وتريد الكلام ؟

ـ المرأة تلك لم أتصل بها منذ رفضت الحديث ، ولا شيء عنها .. يبدو أن أحد الرفاق الذين قرأوا المقالات له معرفة بتلك الشقق تحدث معي راغبا بالاتصال بك.

ـ أتعرفينه ؟

ـ أعرفه كشخص حركي ، ولا أعرف مقدار معرفته بتلك البلايا ؛ كأنه قرأ ما كتبته عن الآنسة عبير والإشارات التي جاء ذكرها في المقال .

ـ الرجل يحب أن أقابله.

ـ يحب أن يتحدث معك على الهاتف ..هو من سكان مدينة أخرى وبعيدة عن مدينتنا.

ـ لا بأس يا سيدة سمر ..وإذا وجدت لديه معلومات مهمة حول الشقق سأجدد اهتمامي بها يبدو أن عملها ما زال لليوم ؛ ولكن بصورة أخرى.. فرئيس التحرير سمع عنها قديما وحديثا ..ويذهب إليها الشباب من الجنسين دون تخدير وتنويم .

قالت : يثور الأمر بين الحين والآخر دون متابعة .

ـ يثور عند حدوث فضيحة أو ضحية ..لا أدري ما دور الشرطة في مثل هكذا قضايا ؟

ـ الدعارة كانت قديما سرية .. اليوم مسموحة يا أستاذ إدريس أليس هناك بوليس آداب كما نسمع ؟!

ـ يغض الطرف عنها كما يغضون الطرف عن بيع الخمور.

ـ تقريبا متى تحب أن يتصل بك ؟

ـ الليلة بعد أن أضع الهاتف ..قبل الإغلاق أتسمحين بسؤال ؟

ـ آ .. تكلم.

ـ أنت تكلمت عن الشقق تلك ، وعرفت بها ، والسيدة سوزان كذلك، والآنسة عبير .. المهندس مراد لم يأتِ على ذكرها أله علاقة بها ؟!

ـ لماذا هذا الاستفهام بهذه الطريقة ؟!

ـ لماذا ؟ لأنه يا سيدتي هذا الرجل هو الذي أخبر المهندس سيف عن الصورة العارية لزوجته نبيلة .. وهو الذي أخبره عن المقهى ليلقى الرجل ويأخذ منه الصورة

ـ مراد قام بهذا الدور بناء على رسالة من مجهول ؛ لأنه لما طلقت نبيلة على أثر تلك الصورة تحدث مراد عن دوره معتذرا أو متبجحا .. هو برر أنه ظن أن أحد الطلاب في الكلية يعرف هواه لنبيلة ، وأراد أن يستغله بدون أن يواجهه مباشرة .. ونفذ ما في الرسالة ظانا أن سيفا قد

لا يفعل ، ولا يقابل الرجل .. شخص استغل حقده على نبيلة وسيف .. وهو راوده أمل بعودة نبيلة إليه كحبيبة وصديقة .. وهو بين لنا ذلك ..وأنه فعل ذلك بناء على رسالة .. وليس على اتصال أو مقابلة .. هو لم يعش قصة حب مع نبيلة كما فعل صاحب عبير .. هو طاردها وفشل .. والفاشل يحب الانتقام .. هو شاب في مطلع الشباب.. ونبيلة كانت مرحة وجميلة وفتنة للشباب ..حقيقة كانت تشعر كل من تعرفه بأنه صديق عزيز .. وتعلق بها مراد وكلنا كان يعرف أن هواها نحو سيف الذي لم يجرؤ أن يبادلها الغرام إلا بعد سنتين من الكلية وهي كانت تعيش الرومانسية والقصص التي تقرأها .. والحب أعمى .. وظل مراد متعلقا بهواها حتى انتهت سنوات الجامعة .. وكانت نبيلة على علم بتعلق مراد بها .. وكانت تشارك بالنشاطات والرحلات الجامعية والمناسبات والمهرجانات .. ولم يتمكن المهندس مراد من النيل منها ولو قبلة ؛ بل كان مجال سخرية لبعض الطلبة والطالبات بسبب ذلك .. كانت مخلصة لسيف الذي كان يتهرب كثيرا من المشاركات الطلابية والنشاطات المختلفة .. بصراحة كان مراد ضعيفا أمام إغراء الطالبات الماجنات .. ويمارس الحب دون إكراه وتردد .. ويستسلم لهن بسهولة .. وكان لا يرى حبيبة حقيقية له إلا نبيلة .. وفشل بفعل أي صداقة خاصة معها .. وكانت هي تتصرف مع بلطف وتصده بأدب.. ولما خطبت نبيلة واحتفلنا بذلك في مطعم الكلية يئس مراد من الفوز بها .. وكان واضحا للمقربين منه حقده عليهما ورغبته بالانتقام منهما ، ولم يكن أحد يعلم بالصورة قبل حدوث الطلاق .. ومراد نفسه لم يشاهد الصورة .. ولما تزوجت بعد أشهر قليلة تحطم مراد كليا .. وتلقى مراد تلك الرسالة على بريد الجامعة من شخص يعرف تعلق مراد وحقده وكرهه لسيف .. وأكد لسوزان أنه لا يعرف المرسل ؛ ولكنه رأى تنفيذ ما في الرسالة فرصة للانتقام لعل وعسى؛ ربما هو غير مصدق لوجود مثل هذه الصورة .. كانت الصورة مفاجئة للجميع حتى نبيلة أخبرتني أنها تفاجأت بها وصدمت .. قال مراد : أحدهم يعرف غرامي بها فاستغل الغيرة والحقد على سيف .. وكانت الرسالة تبين أن هناك فرصة لطلاق سيف ونبيلة ..كانوا يعرفون ردة فعل

سيف .. فهم يعرفونهم .. وفعل مراد ما في الرسالة مع سيف من ذكر الصورة والمقهى والوقت للقاء مالك الصورة .. لماذا أرادوا طلاقها ؟! لا أعتقد محبة بمراد .. وحصل ما تنبأت به الرسالة .. وقال مراد لنا : لم أكن أصدق أن يحدث ما حصل .. ومع الطلاق لم يفز مراد بنبيلة ..كان هناك رجل طبيب قريب للعائلة قادم من أوروبا وتزوجها ، وهو والد زينب وهند وشقيقهم خالد الدكتور غريب .. مراد لعب الدور على أمل أن يكسبها بعد الطلاق إذا حصل فيكون البطل المنقذ .

ـ لم يتكلم معي عن هذا التفصيل ،لم يهتم بقصة الصورة .. وكيف أفسدت حياة زوجية ؟! ولا عن الشقق السرية .

ـ لا أعتقد يا صديقنا أن الرجل له علاقة بتلك الشقق .. أي فتاة كانت تسقط في فخ الرذيلة كانت تصبح كمومس ، ويعرف الكثير من زملائها عنها هذا السقوط ؛ فإذا لم تجد من يدفع ستدفع .. أنا تدربت في كلية الجامعة للتمريض فنرى مثل أولئك الفاشلات ؛كأنها جاءت للجامعة للفجور والفسق ، وليس للدراسة .. ولا تنسى أن هناك فتيات يأتين من دول أخرى كبعثات أو على نفقة أهليهن ، والغربة تفعل فعلها .. لقد كنّا نرى بعض الطلبة من الجنسين يحملون مجلات الجنس والإباحية ؛ بل سمعنا عن أشرطة كاسيت لمثل ذلك .. كان دعاة الإباحية والفوضوية في ساحات الجامعة .. الإباحية كانت تجتاح العالم ؛ ربما كانت أشد من اليوم خاصة في المجتمعات العربية المبهورة بحضارة الغرب .. والبعض يعتبر سنوات الجامعة فرصة للخروج عن التقاليد والعادات والأخلاق الحسنة .. ومع استخدام موانع الحمل كالحبوب وغيره كان يحدث الحمل ، ويجري الإجهاض السري .. كانت تشيع بيننا ولو على استحياء شعارات الجنس الآمن ، كما يحدث في جامعات أمريكا وأوروبا .. كانت ثورة جنسية محمومة تغمر العالم بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية .. كان الشباب يتعرضون لحرب جنسية شعواء!

تنهد إدريس بعمق وقال : شكرًا لك يا سيدتي على هذا الكلام ! أنا عشت تلك المرحلة ؛ ربما

لأنك عملت في المستشفيات رأيت من القصص والحكايات المثير .. وأنا أرحب باتصال الرجل أو الرفيق قلت ما اسمه ؟

ـ اسمه عارف فوزي .. سأتحدث معه ليتصل بك إلى اتصال آخر .

وضع السماعة وقال : رسالة .. سيف لم يسمع بتلك الرسالة ؛ لأنه لم يتصل بعدها بمراد من أجل الموضوع .. ونبيلة لم تهتم بكيف وصلت الرسالة لمراد ؟ وكانت قد طلقت قبل العودة للجامعة .. لا أدري كيف كان يعيش سيف في الجامعة ؟! من بعث له تلك الرسالة ؟!لابد أن يكون من طلبة الجامعة ، وعلى اطلاع بعشقه للفتاة .. وعلى معرفة بطباع سيف وردة فعله.. لماذا كشف أمر الصورة ؟! لم يكن هناك عرض زنا وضغط للفاحشة .. وكما قالت سمر كانت المطاردات للفتيات المتوسطات الحال والفقيرات المتعثات على نفقة الآخرين .. رجل استغل حقد مراد .. هل من محب آخر لنبيلة لم يظهر على الشاشة ؟! كانت الفتاة جميلة ومثيرة للغرائز بلباسها وتبرجها وسفورها .. فلابد أن يشتهيها الكثير ، ويطاردها الكثير ؛ لكن لم أر في الذكريات إلا مرادا .. قيل أن هندا تشبه أمها إلى حد كبير ؛ لكن يبدو أنها لم تكن بالجمال الصارخ لأمها .. معروف بين طلبة الجامعة من يريد اللهو والعبث والمغامرات ؟ سيجد ذلك وسيجد من يشجعه .. ومن يريد أن يكون جادا سيجد ذلك.. الرسالة هل ما زالت عند مراد ؟ لم يذكر لي عنها شيئا ..هو لم يولِ اهتماما لموضوع الصورة والسيف .. كان الموضوع الأهم عنده الحديث عن الشيوعية والعمل النقابي وضعف الحزب الشيوعي في روسيا والعالم العربي أم تراه اخترع قصة الرسالة للدفاع عن نفسه أمام زملائه ورفاقه الذين لاموه على تورطه في طلاق سيف ونبيلة .. سنعرف من كتب الرسالة ؟ سنصل إليه يوما .. شخص خبيث يعرف حب مراد لنبيلة ، ويعرف شخصية سيف ووسواسه القهري .

بينما إدريس يراجع المعلومات التي سمعها عن الرسالة التي تلقاها مراد من مجهول حول موضوع الصورة التي دمرت زواج جديد رن جرس التلفون ، فرفع السماعة مرحبا بالمدعو

عارف ومعرفا بنفسه .

ـ قرأت مقالتك الأربعة ، وأعجبت بها وأعادتني للماضي البعيد ، والذي يهمني بالحديث معك ذكريات السيدة عبير وسبب انتمائها للحركة الشيوعية ، وذكرها للشقق السرية ، وحفلات الطلاب والطلبة فيها ، وحفلات الإباحية التي تجري فيها .. الرقيق الأبيض .

ـ نعم ، يا سيد عارف أشارت السيدة الجريحة إلى تلك الشقق الغامضة في رأيي .. ولم تفصح عن الكثير من المعلومات عنها .. ألديك معلومات مهمة كما أشارت سمر ؟!

فجر قنبلة عندما قال : قبل تواجدي في الحركة الشيوعية يا أستاذ إدريس كنت ابن إحدى تلك الشقق .. كيف سنلتقي مباشرة لأمتعك بما أعرف عنها ؟ أنا أسكن في مدينة بعيدة عنكم أحتاج إلى لقاء نهاري ومبكر .

ـ جميل ! وأنا ، ربما ذكرت لك سمر سبب اهتمامي بهذه الشقق ؛ لأني سمعت عنها منها .. ومن عبير وسوزان فاستغربت من وجودها .. واليوم أوكار الدعارة متطورة .. يجب أن نلتقي يا سيد عارف .. ماذا تعرف من معالم مدينتنا لنلتقي بالقرب منه ؟

ـ مسجد المدينة الكبير سيدي سعيد .

ـ حسنا .. في أي يوم ؟ ما تقول في الغد ؟

ـ ممتاز ممتاز كيف سنعرف بعضنا بعضا؟

ـ سأضع على رأسي قبعة حمراء .

ـ جميل يا سيد إدريس إلى اللقاء!

لما صلى الظهر جماعة في المسجد "سيدي سعيد" وخرج إلى الساحة الأمامية للمسجد ، وضع القبعة الحمراء على رأسه ، وأخذ يضبطها يميناً ويسارا ، ويتمشى في تلك الساحة ، ولم يطل الانتظار ، فقد تقدم منه رجل من جيله أو أقل منه بسنوات قائلا : الأستاذ إدريس !

ـ نعم ، أهلا بالأستاذ عارف !

تصافحا ورحب كل منهم بالآخر ، ثم ساقه إدريس إلى مطعم السيد سيف القريب من ذلك

المسجد ، وتناولا الغداء وطول الوقت، وإدريس يرحب بالرجل ، ويشكره على شجاعته وحبه لإضافة جديد لموضوع الشقق ؛ لعل أن يكون تحقيق لإدريس حولها .. وبعد وجبة الطعام انتقل به إلى مقهى الكوكب الذهبي الكوكب الخالد بالنسبة لإدريس ، وجلسا حيث اختار إدريس ، وقدم لهما الشاي والماء ..وعادة المقاهي لم تكن مكتظة بالزبائن في أول النهار ووسطه ؛ إنما يكثر الرواد في ساعات المساء ، وأول الليل .. ولما أخذا بالشرب للشاي ، قال إدريس : كيف اهتممت بأمر هذه الشقق وتعرفت عليها ؟!

ـ عندما أخبرني بعض الرفاق عن النشر في جريدة الشرق المضيء أخذت أتابع ما كتب باهتمام وحنين للماضي .. وأنا أعرف الرفاق الأربعة شخصيا ، وإن لم نعد على تواصل من سنوات .. والمقالة التي تحدثت فيها عبير أثارت ألما وحزنا وتاريخا لديّ .. وذكرتني بتلك الأماكن وحياتي الماضية .. فتحمست للحديث مع سمر فرحبت بي وتذكرتني وشجعتني على الحديث معك ..وذكرت أنك اهتممت بموضوعها ، وليس لديك معلومات كافية للنشر عن الدعارة في المدينة، وهذه الأماكن ، وأعطتني رقم هاتفك الشخصي ، لأنك لا تعمل كموظف في الجريدة .. ومهدت لي الحوار معك .. وأنا عملت مع سمر في نفس المستشفى قبل أن استقر في قريتي .

ـ عملت في نفس المشفى!

ـ المستشفى الحكومي ، لم ندرس سوية ؛ لكن الحياة العملية عرفتني عليها .. أنا ممرض مثلها ، كانت في قسم وأنا في قسم آخر .. أنا تخرجت بعدها من الكلية ، وتدربت في مستشفى الجامعة مثلها .. ولم أكن شيوعيا تلك الأيام .. فأعرفها من خلال الكلية معرفة سطحية .. ومن خلال العمل بعد التخرج أكثر .. ومن خلال الحزب فيما بعد .. كانت ناشطة سياسية وما زالت ، وعرفت عبير من عملنا في المستشفى .. وعلمت قصتها .. لم أعرفها من خلال تلك الشقق .. فقراءتي للمقال أدركت أن لا معلومات تفصيلية لديكم .

ـ أنت أدركت ذلك من قراءة المقال!

أخرج الرجل جريدة وتابع إدريس : أنا كاتب المقال كما تعلم .. أكمل يا سيد عارف .

قال عارف : اتصلت بسمر كما قلت .. وقلت لها إن الصحفي أشار لموضوع الشقق السرية ؛ ولكن معلوماته مرتبكة ، وفيها ثغرات .. وشجعتني على الالتقاء بك شخصيا .. وأنك مهتم بالموضوع جديا .. وتريد أن تعرف هل ما زالت هذه الشقق موجودة أم زالت واختفت؟

ـ صحيح .. المعلومات حولها شحيحة .. السيدة عبير لا أدري هل تعرف مأساتها مع تلك الشقق ؟!

ـ الناس تتحدث .. والإنسان يجب أن يتحدث عن نفسه .. تعرضت لتصوير سري واغتصاب وهي لم تكن بكرا لما دخلت تلك الشقق .. وهي خشيت من الدعارة فلجأت للحزب اليساري حتى لا تتحول لمومس .

ـ نعم ، لديك معلومات لم نتحدث عنها في المقابلة .. أنت درست التمريض قبلهن ، ولم تنتم لحزب .

ـ نعم أنا ابن الريف ابن إحدى القرى النائية تلك الأيام .. اليوم كبرت القرية ، وأصبحت نصف مدينة ، وزاد سكانها أضعافا، وشوارعها معبدة .. وإن كان أكثر سكانها يعملون في الزراعة .. رحلت للمدينة للدراسة على نفقة الوزارة وزارة الصحة لأدرس وأعمل في الوزارة حسب نظام الابتعاث ..والجامعة تحتاج لمال ، تحتاج للمتعة والمصروف .. المهم وأنا في السنة الأولى عرض عليّ العمل بعد الدوام من الساعة الخامسة مساء حتى الخامسة صباحا داخل شقة من هذه الشقق .. لم يكن العمل واضحا لي .. ظننته في البداية كحارس ليلي .. كان العمل ظاهره شريف وبريء.

ـ لم أفهم عليك بعد !

ـ ستفهم .. أتسمح لي بالدخان ؟

ـ دخن .. المقهى جعل مكانا للتدخين .

قال : العمل تبين هو كخادم في الشقة ، مقابل عشرين دينارا شهريا .. ونوم وأكل وأشياء

أخرى .. وذلك بدل أن استأجر سكنا مع شركاء من الطلبة المتغربين عن قراهم ومدنهم .. سكن مجاني ، وطعام مجاني ، ومال ، وكل ذلك مقابل خدمة لرواد الشقة .. فهذا مغر لشاب ريفي يجهل المدينة جهلا تاما .

ـ ماذا يعمل حضرة الخادم في تلك الشقق ؟!

ـ أهم عمل هو خدمة نزلاء الشقة .. نزلاء الشقق أغلبهم من الطلبة ومن الجنسين .. يأتون للسهر والغناء والسكر والعربدة .. وأنا عليّ أنا أقدم لهم الشراب المسكر والقهوة وغيرها والطعام القادم من المطاعم .. وأنظف الشقة بعد رحليهم .

ـ يوجد شقق أخرى عملت بها .

ـ لا ، أنا عملت في شقة واحدة حتى أنهيت عملي معهم ؛ ولكنني أعرف

شققا أخرى .. وأعرف بعض من عمل فيها مثلي .. وعادة تكون هذه الشقة ضمن بناية يغلب على شققها الشركات والمكاتب .. وأغلبها تكون مغلقة في الليل .. وعندما تبدأ السهرة من النادر أن تجد شقة مشغولة .. وحتى شقة اللهو لم تؤجر كسكن ، هي مؤجرة كمكتب لشركة أو محامي .. وأنا الخادم للشقة ساعات الليل .. والبواب لابد أنه قد أطعم ليسكت ويتجاهل ما يحدث في الليل من صخب وضجيج وسكر .. والشقة خاصة الصالة عادة تكون معزولة ، فلا يخرج صوتها منها .. تأتي ليلة السهرة سيارة الطعام والشراب والحلوى ، وأدخلها مع عمال المطعم إلى المطبخ .. وتشرف على الحفلة أو السهرة امرأة شابة .. وأساعدها في تقديم الطعام للضيوف ، ثم أنصرف إلى المطبخ أو أي مكان ما عدا مكان السهر .. وعادة تبدأ السهرة بعد العاشرة ليلا .. وأكون قد قدمت الطعام ، ووضعت الشراب في مكانه ، وأختفي إلى حد ما ..وعليّ يا سيد إدريس إغلاق باب الشقة نهائيا بعد تناول طعام العشاء .. ولا أفتح لأحد أبدا .. ولكن هذا لم يكن صارما ، كان هناك من يتأخر .. وبناء على هاتف أفتح له .. وهناك من يخرج بناء على هاتف أو أصابه مرض مفاجئ بعد الأكل .. يبدأ السكر والرقص والأغاني من أجهزة التسجيل الحديثة في ذاك الزمن .. ويستمر السهر إلى الساعة الثانية بعد

منتصف الليل ..ويبدأ الضيوف بالانصراف خاصة الذين يملكون سيارة أو متفقين مع سائقين .. وهناك من يعجز عن الانصراف فيبقون حتى انصرافي صباحا وإغلاق الشقة .. والفتاة المشرفة على الشقة قد تسهر بعض الوقت ، ثم تغادر ، من النادر أن تمكث لآخر السهرة وهذا يحدث في الأسبوع مرة أو مرتان أو ثلاث فقط .

ـ هل يحدث دعارة ؟

ـ أعلم أن هناك شققا تحدث فيها دعارة وزنا .. أما مكان عملي فرقص غناء طعام سكر .. قد ينفعل أحد الشباب ، ويخلع ملابسه الخارجية ، ويبقى بملابسه الداخلية أو إحدى السكرانات تفعل ذلك .. قد يحدث لمس عناق مجون .. المسؤولة عن الشقة تحذرهم من الجنس والتعري الكامل .. وتقول لهم بصراحة من يريد ممارسة الجنس فليتحول إلى شقة أخرى .. أعتقد أن هذه الشقة كانت تمهيدا للشقق الأخرى .. فالذي يستسلم للإغراء خاصة الفتيات تنقل إلى مكان آخر .. وهذا كان معروف لنا شفويا.. وقد يثار أحدهم فعليّ منعه من ذلك، وطرده من الشقة أو أتصل برقم معين ، فيأتي اثنان ويقومان بطرده .. ممارسة الزنا ممنوعة سكر غناء رقص ، حتى أنه قد تقدم مدربة لتعليمهم الرقص .. إذا رغب البعض بذلك ، هي مثل الحانات شراب أكل متعة انصراف.. قد تسمع سبابا قبيحا ، وكلاما جنسيا وقذرا يقهقهون عليه ومنه .. هذا كله أسمعه من خلال مكان اختفائي عنهم .. أنا مجرد خادم لهم .. والأخطر عندي عندما تهيأ ضحية للتصوير .. ويجري في الشقة التي أعمل بها ؛ لأنها شقة بريئة أمام الزبائن .

قال إدريس : جميل ! من أجل ذلك لا تُمارس فيها الدعارة ولمزيد من الثقة لدى الرواد !

ـ هذا ما يفهم من منع الجنس فيها .. وهناك ترتيب خاص من المشرفة ليلة التصوير .. قبل أن يبدأ التصوير تعلن المشرفة رغبتها بالمغادرة ، وتعلن أنها ستقدم لهم كأس الوداع ، ويصحب ذلك التصفيق والهياج .. وتكون قبل ذلك وضعت في الأكواب التي سأقدمها مادة التخدير هي عبارة عن كبسولات خاصة .. وتخرج هي من المطبخ أمامي وهي وتصيح فيّ قدم كأس

الوداع للأصدقاء ، فأدور عليهم .. وبعد حين أفتح لها الباب ؛ كأنها مغادرة كعادتها ، وتتظاهر هي بالذهاب للمرحاض ، وغسل وجهها قبل الخروج .. وخلال وقت قصير يقع الساهرون نياما ظانين أن الخمر أثرت فيهم ، واللهو أرهقهم ، ثم يدخل أحد المصورين .. وتنقل الفتاة المقصودة إلى حجرة مجردة من الديكورات والأثاث وتفرش سجادة .. خاصة يجلبها الذين أحضروا المصور .. وتجرد الفتاة من ثيابها ، وتبدأ حفلة التصوير مدة دقائق ، قد لا تتجاوز العشر دقائق ، ثم تعاد الفتاة بعد إعادة ملابسها عليها إلى صالة الرقص .. ويجتهد أن توضع على الوضعية التي كانت عليها حتى لا يخطر في بالها أنها تعرضت للنقل والتصوير ويأخذ المصور ومن معه السجادة .. وينصرفون تصحبهم مديرة الشقة .. هكذا يحدث التصوير في الشقة التي أعمل فيها .. والمفروض أن أكون أنا خلال ذلك في المطبخ ، ولا أخرج حتى تطلب مني المشرفة الخروج لإغلاق الباب وراءها .. وعندما يبدأ انتهاء مفعول المخدر يبدأ الاستيقاظ والتثاؤب وينسبون نعسهم للشراب ، وعدم تحمل الكمية ، ثم يأخذون بالانتقال لمراحيض الشقة واحدا تلو الآخر .. والبعض ينصرف .. والبعض ينام حيث هو من جديد ..والصور المأخوذة كما أعلم لا تظهر للضحية إلا بعد عدة حفلات أخرى ، فلا تتذكر الضحية متى تعرضت للتصوير ؟.. فعادة كان يستيقظ المخدرون بعد ساعة من الزمن والذي تعاني منه الضحية يعاني منه الآخرون الصداع والقيء والغثيان ..وعليّ تنظيف الشقة قبل مغادرتها صباحا بمواد كيمائية تستخدم للتنظيف وإزالة الروائح السيئة .. فربما بال بعضهم على ثيابه ومكانه ، وقد يقيء بعضهم ويستفرغ في الصالة .. ولا تنسى الشراب المسكوب وأعقاب السجائر .

ـ حقيقة هذا شيء مذهل ومقرف يا عارف ! كيف كنت تتحمل ذاك ؟!

ـ مع الوقت والمال والتعود عليه تستسلم ولا تبالي بما يحدث .. هم طبعا يتظاهرون على أنني لا أراقب أعمالهم الخفية ؛ لكن الفضول وما فيه .. وربما لا يحدث التصوير إلا بعد زمن يطول شهران ثلاثة ويحدث مرة ؛

لأن هناك فتيات يسقطن في مهاوي الرذيلة سريعا بعد بضع حفلات يبعن أجسادهن مقابل المال أو الشهوات

تنهد إدريس قرفا وقال : طبعا هناك شقق أخرى !

ـ نعم ؛ لكنني لا أعرف عددها ولا أماكنها ، وحتى لا يمكن نقلي للعمل في غيرها .. هذه يا سيدي شقق صيد الضحايا غير المستسلمات للعمل كبغايا .. وأنا أعرف أين تقع هذه الشقة ؟ لكنها اليوم لم تعد شقة فساد أصبحت مكاتب شركة أخشاب .

ـ لماذا استسلمت للعمل معهم لما علمت كيف يجبرون الفتيات على البغاء ؟!

ـ الغربة السبب الأول ، والحاجة المادية ثانيا .. وهم يعرفون كيف يوظفون ويختارون الشباب الفقير مثلنا ؟ القروي البسيط .. وأعترف لك أنني تعلمت شرب الخمر والزنا .. وقد أقمت علاقات جنسية عابرة مع المشرفة نفسها .. وبعض الفتيات .. وذاك خلال الأيام التي لا يكون فيها حفلات .. ومن تورط معهم يصعب عليه الفكاك ؟ كانت المشرفة كلما أقضي لها شهوتها تدفع لي ، وتوصيني بكتمان السر التخلص من الفجور ليس عملا سهلا خاصة عندما يكون الشباب غير متدين وغير مكترث بالدِّين وأنا تركت العمل معهم في السنة الأخيرة للجامعة.

ـ ولماذا تركت العمل ؟

ـ عادة يمكث الخادم معهم كما علمت من المشرفة والمرتبة لتلك السهرات حتى يتخرج من الجامعة ويلتحق بعمل ؛ لأنه لم يعد بحاجة للعشرين دينارا إذا توظف .. ويصبح خطرا عليهم أنا تركتهم في السنة الأخيرة لكارثة حلت بي .. كانت ابنة عّم لي من ضحايا تلك الشقق .. صدمت لما رأيتها تدخل الشقة التي أعمل بها .. وهي صدمت لما رأتني .. كان المشهد قاسيا ولما عرفت المشرفة ذلك أمرت بإنهاء خدماتي خشية الفضيحة ، وهددت بالقتل إن تفوهت بشيء عن الشقة .. ونقلت ابنة عمي لشقة أخرى .

ـ هل عرفتك ابنة عمك ؟

ـ طبعا يا رجل ! وكيف لا تعرفني ؟ بل أخبرت أن الفتاة مومس ، فلا داعي للشرف

والفضائح .. وكان عليّ أن أصدق .. فنحن سواء .. كانت تريد المال مثلي لتشتري المزيد من الثياب والزينة .. المال مأساة ومصيدة .. لزمت الصمت ، ولذت به حتى أتممت الدراسة .. وتخرجت وانتقلت للعمل في إحدى مستشفيات الحكومة فور التخرج لم تكن في تلك الأيام بطالة أو شبح البطالة .. وفي ذلك المستشفى زادت معرفتي بالسيدة سمر ، ثم تأثرت بالحركة الشيوعية والإلحاد ، وصدقت أنه الجنة على الأرض .

ـ الكثير من الشباب الغلبان يعمل ما عملت .

ـ أنا لا أعرف كم عدد الشقق ؟ لكني علمت من المشرفة أن الكثير منها لديهم ، وأنها مسؤولة عن شقة ثانية .. قلت لك كانت تأتي إليّ في بعض الأيام التي تكون الشقة خالية من السهرات للزنا وتدفع .. القلب مات .. وأحيانا أسمح لبعض العشاق بالاستفادة من الشقة مقابل المال وكتم السر .. مع الوقت يصبح لدى الشخص جرأة وطمع بمزيد من المال .. وإذا كشف الأمر ليس هناك إلا الفصل أو الطرد .

ـ إذن كنت تساعد بوضع المخدر للجميع .

قال : نعم ، تحضره المشرفة على الشقة معها .. وفي الكأس الأخيرة يوضع ليلة التصوير .

ـ أتعرف الضحايا شخصيا؟

ـ القليل ؛ بل لم أصدف فتاة من كلية التمريض خلال عملي في الشقة.. فعبير لم يجري تصويرها عندي .. أغلب من كان يتردد على شقتنا طلاب الكليات الاقتصادية والاجتماع.

ـ أتعرف المهندسة نبيلة خالد ؟!

ـ نبيلة خالد لا أعرفها شخصيا ؛ لكني سمعت بقصة طلاقها ، وأنها كانت ابنة مدير المستشفى الجامعي .

ـ هل سمعت أنها ترددت على تلك الشقق ؟

ـ لا ، لم أسمع .. أنا أحببت أن أعطيك فكرة صادقة عن تلك الشقق تلك الأيام ، وكيف يجري تدمير أولئك الفتيات؟!

تفكير إدريس

رجع إدريس للبيت بعد توديعه عارف ، وقد أخذ عنوانه قد يحتاجه في معرفة جواب سؤال أو احتاج لسماع المزيد من قصص وجرائم تلك الشقق ، بعدما صلى العشاء تعشى، وجلس مفكرا فقال لنفسه: هل السكران لا يفرق بين المسكر والمخدر ؟ كلاهما يذهب العقل .. هل نبيلة خالد أعطيت مخدرا ؟ لم تذكر ذلك عندما داهمها سيف بالصورة ، وظلت تنكر ذلك ، وماتت وهي تود لو تعلم كيف خدرت؟ إنها تجهل جهلا تاما كيف صورت ؟ وأين صورت ؟ وهذا الرجل أعطاني صورة لما يحدث من أجل التصوير .. وعبير تجهل كيف صورت ؟ ولكنها تعلم أنها صورت في إحدى الشقق السوداء ، وباعت جسدها في تلك الأوكار .. فقصة عارف توضح ما حدث مع عبير وغيرها ؛لأنها اعترفت أنها كانت تتردد على تلك الشقق والسهرات .. هناك فرق واسع بين قصتها وقصة نبيلة .. هل كانت نبيلة تذهب لمثل هكذا سهرات ؟ عبير كانت تذهب بصحبة الحبيب والحلم الواعد .. نبيلة لم تفعل ذلك الحبيب لم يفعل ذلك ، ولم يتحدث عن مثل ذلك .. لم تذهب لمثل هكذا شقق أو تنام في شقة غامضة .. وهي ليست بحاجة لمال لتمارس البغاء .. وأحبت سيفا ، وقضت سنتين وهي تطارد من مراد وغيره حتى اعترف سيف بحبها وقبلته .. وسيف ذكر لي أنها كانت عذراء عندما تزوجها .. القصة يكتنفها الغموض.. أتصنعت غشاء بكارة مزيف كما نسمع ؟ لا يحل الغموض إلا رجل كعارف رآها بأم عينه في إحدى الشقق .. من كان يدير كل هذه الشقق السوداء ؟! لابد أنها عصابة دعارة .. والغريب أنها صورت صورة واحدة .. فعبير عرضت عليها عدة صور .. وعارف يقول إن المصور يمكث عشر دقائق وهو يصور ..فهذا يدل على أكثر من صورة .. ولم تصور بأوضاع مختلفة كما حدث لعبير .. مراد لم ير الصورة ، نفذ تعليمات بناء على رسالة .. ولأنه يكره سيف ، ويحلم بنبيلة طيلة هذه السنوات غامر ونفذ ، ونجحت المهمة ، ولم يفز بالزواج منها ..لا هو ولا أحد الطلبة ..كانت من نصيب قريب والدها الدكتور القادم من أوروبا غريب .. أهذه الرسالة ما زالت حية يا مراد؟ لم يكن صريحا

بالحديث عن تلك الصورة ، كان غامضا ولا مباليا .. هل تعلم سمر بمصير هذه الرسالة ؟ وهل رأتها ؟ سيف لا معلومات عنده عن تلك الرسالة .. واقتربت العودة من العمرة وسنسأله بعون الله.. ألم يسمع الطلاب يتحدثون عنها ؟ سيف انعزالي .. لو سمع لذكره لي ، وبما كتبه في الأوراق .. حكاية نبيلة خارج السياق كما يقال .. واللغز لماذا صورة واحدة ؟ وعبير عدة صور بأوضاع مخزية ؛ لتستسلم بسرعة .. لأن من يرى تلك الصور سيعتقد أن الفتاة خبيرة في الدعارة والفجور.

رن الهاتف فخمن المتصل ، وكانت سمر ، فقال بعد التحية والسلام : أنت الشخص الذي كنت أرغب بالحديث معه !

ـ لقد قابلت عارفا .

ـ نعم ، وحدثني عن عمله كخادم في إحدى الشقق ، وتحدث بالتفصيل عما كان يمارس داخل تلك الغرف السوداء من تحلل وإباحية وتصوير وتخدير ، خاصة في الكأس الأخيرة ، ونقل الضحية إلى حجرة لإجراء التصوير من قبل مصور وأعوان له ، وهي مجردة من ثيابها ، وفي أوضاع مثيرة ؛ لتخضع الضحية بسرعة عندما ترى الصور الفظيعة ..كان يقبض ويأكل وينام على حسابهم ، وتقابل مع ابنة عّم له في تلك الشقة فاضطر لترك العمل أو الطرد بمعنى أدق .. وهدد ، ولم يتعرض للقتل أو الأذى ؛ ربما خشوا ابنة عمه أن تتكلم ، وتحدث فضيحة .. وهو جبن ، ولزم الصمت حتى أنهى تعليمه ، وتعين في مشفى ، ولم يتحدث عن حياة ابنة عمه ومصيرها أتعرفين ذلك ؟

ـ لا، لم يتكلم أمامي عن ذلك أبدا مع أني أدركته في بعض سنوات الجامعة .. وأنت قلت هددوه ؛ إنما المقال هو الذي ذكره بتلك الشقق السوداء .. وهو دخل الحركة بعد الجامعة بسنوات .. فعرفته من خلال الحزب أكثر من الجامعة ، ومن خلال العمل .. لم يعمل معنا كثيرا انتقل إلى عدد من المشافي والمراكز الطبية الصحية .. ولم أكن أستطيع هضمه مع شيوعيته هو يعرفني بحكم نشاطي البارز يا إدريس وحضوري للندوات والمحاضرات في عدة مواقع

داخل المدينة وخارجها .

ـ المهم أن القصة أعقد من ذلك ؛ولكنه شاهد جيد ..وهذا يدل على وجود تلك الشقق حقيقة وهو يعرف بعض الخدم ؛ لكنه هذه الأيام لا يعرف مصيرهم ونهايتهم .. وأعتقد أنهم مثله من أبناء القرى والريف تورطوا من أجل المزيد من المال وتوفير ثمن الطعام والسكن حول الجامعة .. واستغلوا بطريقة جيدة وخبيثة .. ولا يذكر أنه التقى بعبير أو نبيلة في تلك الشقة العامل فيها كخادم .

ولما سكت قالت : ولماذا كنت تحب الاتصال بي؟

ـ لماذا ؟ آه لماذا ؟! ذكرت أن المهندس مرادا كشف أمر الصورة لسيف بناء على رسالة من مجهول

ـ نعم ، قلت مثل هذا الكلام .

ـ هل يمكنك معرفة مصير هذه الرسالة إذا ما زالت عند المهندس يحتفظ بها ؟هل مزقها ؟

ـ وهل هذا يقدم في قضيتنا شيئا ؟

ـ لعل كاتبها له علاقة بتلك الشقق .. أنا سألت عن هذه الشقق .. المعلومات ضئيلة .. بعضهم يقر بوجودها ؛ ولكن ليست بالصورة السوداء التي أرسمها .. فالمهندس سيف لا يعرف عنها شيئا .. اليوم الحانات والملاهي الليلية والنوادي الليلة تغني عنها ؛ بل السلطات تسمح بوجودها .. لم تعد الدول بحاجة لمواخير سرية لإيجاد ضحايا جدد .

ـ ما زلنا يا إدريس نسمع عن فظائع الجنس .. اليوم تصور الأفلام.

ـ اليوم تطورت فنون الانحرافات الجنسية والسادية والشذوذ ونكاح المحارم ، ولا يحتاجون لتخدير وتنويم ..اهتمي بموضوع الرسالة ، هل ما زالت موجودة ؟ لأنني وعدت سيفا إن فتح لي قلبه من أجل قصته مع نبيلة أن أعرف من صورها .. سأتصل بك بعد أيام .

أغلق الهاتف وأحضر سلة الفاكهة ، وبدأ يأكل ويمضغ ، وهو سرحان في قصة عارف .. وظل مسيطرا عليه لماذا صورة واحدة لنبيلة وصور كثيرة لعبير ؟ أين باقي الصور ؟ ولماذا تنكر نبيلة تعرضها لتخدير وتنويم ؟ فعبير تعترف أنها تعرضت لمثل ذلك بدون أن تعرف

متى وكيف وأين ؟ وعارف لا يعرف أولئك المصورين ؛ ولكنه بين أن أكثر من مصور تردد على الشقة خلال سنوات عمله .. ولم تذكر المشرفة له أي اسم ممن يأتون للتصوير ونقل الضحية إلى حجرة التصوير .. وكان يسمح لبعض الشباب بالاختلاء بالشقة دون علم المشرفة مقابل بعض المال .. حل لغز الشقق وطريقة الدعارة لم تحل مشكلة سيف ونبيلة ..ولا أعتقد أنه يستطيع معرفة كل زبائنه ؛ ربما الأكثر ترددا يعرفه أو من كوّن معه علاقة خاصة .. هل حقا نفذ مراد الخطة مع سيف عن جهل وبناء على رسالة من مجهول ؟! لماذا لم يتحدث معي عن تلك الشقق بصراحة ؟ أكان يجهلها حقا أم تظاهر بالجهل ؟ وهل ينفذ تعليمات من مجهول فقط ؟ وهذا المجهول توقع الطلاق وتدمير حياة زوجية عن حب من سنوات .. رسالة من بريد الجامعة .. قضية معقدة ..ولماذا الإباحية ؟ أين الزواج ؟ نسمع عن زواج عرفي زواج الفرند .. أصبحت حياة الزواج عبء على الشباب .. زواج المسيار .. زواج المتعة ينتشر بقوة .. حياتنا السرية تعقدت .. العفو العفو يا رب السموات والأرض .

كان إدريس يدرك صعوبة المهمة التي يقوم بها والوصول إلى مصدر الصورة والمصور ، وليس بالأمر السهل بعد ثلاثين سنة .. وهل ما زال البائع على قيد الحياة ؟ ولد ملايين ومات مثلهم إن المعلومة يجب أن تصدر من صاحبها .. من قام بها ؟ فالسيد مراد لم يتحدث أمامه عن رسالة ، ولا ذكرها ؛ إنما ذكر دوره بطلاق سيف ونبيلة .. وسيف نفسه لم يتابع موضوع الصورة ، كان الذي يهمه رؤية الصورة هل هي حقيقية أم خدعة فنية كما يحدث في الأفلام والمجلات من تركيب للصور والشخصيات ؟ والفتاة اعترفت بأنها صورتها دون إنكار ؛ ولكنها حارت بالكيفية التي صورت بها والمكان والزمان ..كيف صورت بدون علمها صورة خلاعية أدت إلى تدمير حياتها الزوجية وزرع الشك في نفس الحبيب ؟ رأت أن أحدهم خطط لتدمير حياتهم .. صورها وأعلم زوجها بأمر الصورة عن طريق مطارد لها رفضته مرارا وتكرارا .. نجح مراد ؛ ولكنها موقنة أنه مجرد رسول ، لم يصورها .. هناك من صورها ، وحصل ما أراده الماكر .. وبعد ثلاثين سنة وهي تموت كتبت رسالة لزوجها الأول تطلب

المسامحة والتحقيق في حقيقة الصورة بالعودة للمقهى .. هل عرفت من صورها ؟ وباع الصورة لسيف وصمتت عنه .. من يريد من مطارديها الطلاب تدمير حياتها الزوجية ؟ لم يتقدم أحد للزواج منها بعد الطلاق ؛ إنما أعلمها والدها أنه سيزوجها لقريبهم غريب الذي رغب بها بعد عودته من بريطانيا .. مراد أكثر مزعجيها لم يتقدم لخطبتها ..كان يهم بذلك ؛ لكنه كان ينتظر هدوء العاصفة ونسيان دوره .. لقد استطاع الخصم استدراجه ليخبر سيفا بأمر الصورة الشيطانية .. لا أعتقد أن لتلك الشقق الشيطانية دورا في فساد زواج سيف .. هناك شخص كان حاقدا على سيف ونبيلة أو على أحدهما .. هل كانت تعرفه ؟ هل عرفت من صورها وعجزت عن ذكره لأسباب قاهرة ؟ ..وكيف قبلت أن يصورها ؟ هي أنكرت علمها بالتصوير .. هل هي صادقة ؟ هل كذبت ولم تستطع التراجع عن الكذب ؟ الناس تكذب للدفاع عن نفسها في الوهلة الأولى .. الرسالة تؤكد جهلها مكان التصوير .. أخبرت سيفا أنها تجهله .. كانت متعجبة ومذهولة كما أخبر سيف ليلة رأت الصورة .. كيف لقطوا لها تلك الصورة التي دمرت حياتها ؟كانت مذهولة للغاية حتى أن سيفا ظنها تمثل من شدة الصدمة .. فقال إدريس : الاعتراف الاعتراف هو الحل أن يعترف الفاعل .. وهل يعترف بعد ثلاثين سنه من الجريمة ؟ لعبة كبيرة لعبت على الزوجين بدهاء ومكر .. هل لغريب يد فيها ؟ لأنه هو الذي فاز بنبيلة أليس هو سبب العجلة بزواجها من حبيبها وفارس أحلامها وزميلها في الكلية ؟ أمه قالت ذلك لأم نبيلة .. وأم نبيلة تعرف حب نبيلة لسيف وردة .. كان الرجل قادما بشهادة من أوروبا من بريطانيا مثل والدها .. ومراد كان يرغب بها زوجه كيف عرف غريب مرادا ؟ كيف عرف غريب سيفا وعقليته ؟ لماذا نفذ مراد ما طلب منه ؟ الحقد والغيرة والانتقام .. كيف استطاع غريب تصويرها تلك الصورة دون علمها أم كانت تعلم ؟ هل كان بينهما شيء من وراء سيف ؟ مراد كيف صورها وهو بعيد عن تلك الشقق السوداء ؟ لا حل إلا أن يعترف الفاعل والمدبر لهذه اللعبة .. لو كان وراء التدبير غريب لماذا تزوج نبيلة بعد زواجها ؟ التقرب للوالد والرغبة في المناصب .. لما أصبح خالد وزيرا لم يقدم له الكثير

مجرد نقله للعمل الإداري في الوزارة .. وحياته لم تكن سعيدة معها .. كانا مجرد زوجين كما فهمت .. كان صاحب نساء وعشيقات كما تعلم في الغرب ، وقد اعتدى على قاصر وافتضح مراد له دور غير تلك الرسالة .. لم يسرع لطلب يدها ؛ بل كان يتجنب اللقاء بسيف وبها بعد الطلاق .. هل حاول ؟ لم يتحدث أحد بذلك .. من سيعترف يا إدريس ؟ ستبقى القصة غامضة .. غريب لماذا يرغب بمقابلة سيف ؟ أعنده شيء لحل غموض تلك الأيام ؟ بماذا ظلم سيفا ؟ أهو الذي سبب الطلاق ؟ ومن ظلم سيفا ؟ هل لوالدها دور في تدمير زواج ابنته ؟ لم يظهر منه أي رفض له .. سيف لا يعرف غريبا قبل الزواج.

أراد إدريس إغلاق الملف بعد هذه المراجعات والاستفهامات، وقال لنفسه : لقد فعلت ما أستطيعه وما بوسعي .. عرفنا كيف كانت تستدرج الفتيات لتلك الدور ؟ وعرفنا كيف يخدعون ويصورون ؟ والضحية عرفنا جهلها بيوم التعرض للتصوير ..وأن هناك حفلات تمويه قبل أن تعرض الصور على الضحية ؛ لتستسلم لهم .. ومن يصور مجهول .. وقصة نبيلة تختلف عن قصة عبير .. العاشق الولهان الصياد هو الذي قدم لها الصور واختفى .. مراد حاول الحياة كعاشق ولاعب مع نبيلة ، ولم يحصل شيء بينهم .. ولم تصحبه لشقة وسهرة .. نعم يجب إغلاق الملف يا سيف .. والرجل قد سامح مطلقته عن كل الألم والجرح الذي تسببت له فيه .. ورجع للمقهى ، ولم يلتق بالبائع يا سيدة نبيلة ؛ ولكنه التقى بإدريس الذي بذل الوقت والجهد للوصول للمصور دون فائدة .. سيف أخذ الصورة ، ولم يحاول معرفة المصور أو البائع ، كانت متلهفا لشراء الصورة ، وعاد للبيت ، وعرض الصورة على نبيلة .. كان مصدوما مذهولا ، واتخذ قرار الفراق قبل العودة للبيت ، وسارع بمقابلة والدها ومبررا سبب سرعة طلاقه .. استغرب الوالد الصورة ، ولزم الصمت ، ووافق على الطلاق كما يريد سيف.. وهل صدق ابنته عندما حلفت له أنها لم تتعرى لتتصور ؟ وقبل زواج غريب من ابنته بعدما أطلعه على أمر الصورة ..وقبل غريب بها .. ولم تكن المرأة الوحيدة في حياته .. وقبلت العيش معه على علاته وفساده .. انتهى التحقيق يا مهندس سيف!

الموت

في منتصف شهر أب اتصل سيف بصديقه إدريس مخبرا بموت الدكتور غريب ، فاسترجع الرجل ، وأخبر سيف أن إحدى أخواته أخبرته بذلك ظانة أنه سيشارك في الجنازة بعدما شاع عن عودة اتصالاته بزينب وهند .. وكان غريب قد اتصل به مهنئا بالعمرة ، وراغبا بلقاء يجمعهم ، فتأسف له وشكره على الاتصال .. وبعد نقل الخبر ، قال : سيصلون عليه في جامع الحي .

شجعه إدريس على المشاركة في الصلاة من أجل خاطر البنات ؛ ولكنه قال : لا تطاوعني نفسي فماذا بيني وبين البنات ؟ كانت أمهن يوما ما زوجة لي .. واسمع بالمناسبة علمت أن موضوع الزواج ما زال قائما .. إنما الذي أوقفه اشتداد المرض بأبيهن .. فتعال ونذهب معا.

ـ ذهابي غير مناسب يا سيف .. سيُفهم أنني أفعل ذاك ليس قربة لله ؛ إنما لأجل زينب.. أما أنت فجار لهم في الحي .

قال : ليست لديّ الشجاعة لفعل ذلك ؛ لربما لو قصدت الجامع دون العلم بجنازة لصليت كما يحصل عادة .

ـ أذهب معك للدفن نرقق هذه القلوب ساعة من الزمن .. هل سيدفن بعد الصلاة ؟

ـ نعم ، هذه العادة ، وسيدفن في مقبرة العرب حي العرب .. هذه مقبرة

أهالي بهية .. سيصلى عليه بعد الظهر كما قالت أختي غدا نلتقي ، سيأتون به من المستشفى إلى المسجد ثم المقبرة.

قال : المقابر تساوي بين الأغنياء والفقراء ، كما يفعل صف الصلاة في الجامع .. سأكون عندك بعد الصلاة ؛ لنذهب المقبرة .. يذهبون مشيا أم راكبين .

ـ بعيدة المقبرة عن المسجد .

ـ نحضر الدفن للعبرة وتذكر الآخرة.

صلى إدريس الظهر في أحد مساجد حي العرب ، ثم مشى إلى حي بهية حيث بيت سيف ،

وكان في انتظاره ، فركب بجواره وقال سيف : المقبرة تحتاج لسيارة بالنسبة لنا .

وصلت سيارة الموتى إلى مكان الدفن المخصص ؛ وكانت تشرف على الدفن شركة خاصة بالدفن والتغسيل ، ونقل أشخاص الجثة إلى القبر الذي التف حوله المشيعون .. وتمت طقوس الدفن حسب الشريعة الإسلامية ، حيث ينزل لجوف القبر شخصان أو أكثر لتناول الجثة ممن حملوها من سيارة الموتى .. ويتم وضعها على جنبها الأيمن جهة القبلة .. وتحل أربطة حول الساقين والرأس .. ويقول أحدهم : على ملة وسنة رسول صلى الله عليه وسلم .. ويغلق القبر بعدد من البلاطات الإسمنتية ، ثم يهال عليها التراب ، ثم يبنى عليه في الأيام التالية الإسمنت والحجارة حتى لا تنبش .. وقد يقف أحد الشيوخ ليذكر الناس بالموت والزهد بالحياة الدنيا ويدعو للميت.. ويأخذ المشيعون بالانصراف ، ويتأخر أقرباء الميت حتى ينصرف أغلب الحاضرين ، ويذهبون لتناول طعام الميت في مكان معد لذلك .. ثم يجلسون في بيت العزاء لمدة ثلاثة أيام متتابعة.. واليوم المطاعم تعد هذا الطعام عن روح الميت مقابل أجرة يدفعها أهل الميت أو أبناؤه .

أما إدريس وسيف فبعد المشاركة بالتشييع ذهبا إلى أحد مطاعم المدينة ، وتناولا طعامها .. وكان سيف يسأل : هل سنعزي البنات ؟

ـ سأتصل بهند وأُقدِّم لها العزاء هاتفيا فقط .. وأطلب منها تعزية أختها وأخيها.. وأنت !

ـ ليس بيني وبينهم رابط يا إدريس .. ولكني سأرسل لهم برقية عزاء ؛ لأنه إذا فرط موضوع زواجك من زينب سيغلق الملف كما أغلقنا ملف أمهم .

ـ نعم ، انتهى ما بيننا وبينهم .. كنت أود لو أنك قابلت الرجل ؛ لنعرف الظلم الذي ألحقه بك ، ويريد الاعتذار عنه .

ـ ظلم من قبله ! لم أجلس معه في يوم من الأيام ، ولم أتعامل معه في صغير ولا كبير ، لو طالت مدة زواجنا قد نتعرف عليه .. ربما يريد أن يقول: إني ظلمتك بزواجي من نبيلة كما قالها مراد

ـ أعتقد أن الأمر أكبر من الطلاق .. الرجل عنده شيء كبير .. كان يرغب بمسامحته على

شيء كبير !

قال سيف بحيرة : شيء كبير ! أعندك معلومات عن ذلك ؟ ماذا تقصد ؟!

ـ أقصد أنه له دور خطير في الصورة والطلاق .. أنت ذكرت في صفحات المذكرات أنه السبب وراء تعجيل الزواج .. وأن أمها لم ترغب بأن يتزوج من بنتها ، وفضلت زواجك عليه لابد من سبب لم تذكره لك نبيلة بوضوح .. وأن والدها كان يميل لزواجها منه.. ويبدو أن الأم فرضت رأيها .. وأنك خير منه مع أنك ما زلت طالبا .. وهو متخرج كدكتور ؛ فلعله رأى أن زواجك منها تحدي له .. فخطط لطلاقك ، وتدمير زواجك ، والانتقام منها بالزواج منها .. فهذا الظلم الذي أصابك منه .. فمراد لم يكن له دور كبير في الطلاق ..كان مجرد ناقل رسالة .. أخبرك عن الصورة والمقابلة في المقهى الذهبي بناء على تعليمات وصلت إليه .. وهو كان طامعا بالزواج منها بعد أن فشل في اصطيادها كحبيبة وعشيقة .. وكان يرى أن ذلك سيكون بعد التخرج والعمل .

ـ قل لي كيف صورها غريب ؟! وكيف أقنع مرادا بلعب ذلك الدور ؟!

ـ هل تظن أننا نحن الأذكياء في العالم ؟ هذا ما استوعبته من اعترافه أمام بناته بأنه ظلمك .. استطاع أن يتزوج نبيلة .. وقد تكون نبيلة عرفت هذه الحقيقة بمرور السنين .. وكانت تريد منك الوصول للحقيقة من مقابلتك البائع المجهول .. لابد أن لها مقصدا بالطلب منك بالعودة للمقهى ، والبحث عن ذلك البائع .

ـ ولو سلمنا بصحة خيالك ، وبهذا السيناريو وحصل .. كيف صورها بدون علمها ؟ التخدير خدرها ولم تدرك ذلك !

ـ حيلة ما ؛ كأن يضع كاميرا سرية في حمام .

ـ لم تكن الصورة يا إدريس في حمام ..كانت الصورة في فضاء أو قاعة .. وكانت راقدة على ظهرها فوق سجادة تشبه سجادات الصلاة .. وكانت منفرجة الساقين عارية تماما .. والصورة توحي فعلا بأنها في حالة تخدير مستسلمة .. المصور أراد أن تظهر العورة والصدر

والوجه ، حتى لا أنكر أن الصورة لها .. هي زعمت أنها لا تعرف مكان لقط الصورة ، ولا أنها تعرضت لتخدير .. والرجل اليوم قد مات .. وإذا هذا الذي تشك به من تلك الجملة أمام بناته فقد رحل .. وأخذ سره معه .. وهل البنات يعرفن في رأيك ؟

ـ هند قد تكون تعرف ؛ لذلك اهتمت بالموضوع لما سمعت عن اهتمامي بالصورة .. وتكلمت مع رئيس التحرير كما تذكر .. واتصلت بها ، والتقينا ، وكان اللقاء عن الصورة .. ربما هي تشك كما نشك اليوم بالسيد غريب .. وربما الأم تعرف أنه الفاعل .. فقد يكون اعترف لها بتدمير حياتها معك في ساعة سكر في ساعة غضب وغرور .. فالمغرور أحيانا كثيرا يحب أن يتباهى بجرمه ومعصيته وحقده.

لما رجع سيف للبيت انشغل فكره بما سمعه من إدريس ، وشكه بزوج امرأته نبيلة ، وأنه قد يكون وراء مأساته ..وفكر بالصورة الوحيدة لها ، وبالصور الكثيرة لضحايا الشقق السرية .. وجد نفسه لا يعرف شيئا عنه ؛ لأنه لم يهتم به يوما ، ولم يتقابل معه في حياته قبل الزواج أو بعد الزواج ؛ ربما اشتركا في حضور مناسبة فرح أو موت ؛ ولم يجر بينهما أي تعارف .. عادت به الذاكرة إلى أيام الزواج والخطبة .. ذكر أنها أخبرته أن قريبا لوالدها عاد من بريطانيا كطبيب ، وأنه يتقرب من العائلة بالزيارات المكررة ، ويكثر من الجلوس مع والدها الدكتور خالد ، ثم تطور الأمر عن حديث عن زواجه من نبيلة كما حدثتها أمها ، وأنه يفكر بطلب يدها وخطبتها وأن والدها لا يعترض ويراه كابنه وبناته .. وحدثتها أمها بأن تشجع سيفا ليطلب يدها ؛ لتمنع زواجها من غريب .. ووافق سيف ، وتشجع والده لهذا الزواج لما التقى بنبيلة ، وحدثت الخطبة، ثم بعد حين تحدثت أن والدها أستشير ليكون وزيرا في الحكومة القادمة ، وأنه مرشح للوزارة ، وأن من الأفضل أن يتزوجا شرعا قبل التوزير خشية أن يرفض الوالد الزواج عندما يكون وزيرا .. وفعلا بعد طلاقه منها صار الرجل وزيرا حقيقيا كما أخبرت نبيلة .. مشى الزواج سريعا ، لم تظهر نبيلة أي علاقة وعاطفة لغريب سوى أنه قريب للعائلة كغيره من أقاربها .. إنها تريده هو زوجا لها .. رجل شاب يفعل ما كان يفعل طلاب الكلية

من اللف والدوران حول نبيلة .. كل يرغب بإقامة صداقة وغرام معها أو حتى الجنس إذا قبلت كما كان يفعل مراد ، وشاع في الكلية ..كانت لها صداقات مع الجنسين ؛ لكنها لم تتهور إلى علاقات غرامية وحب .. صمدت سنتين حتى اعترفت لها بأني أريدها .. وظهر أنها كانت تحلم بي كما حلمت بها .. وأعلم أنها ظلت تطارد من قبل مراد وغيره ؛ ولكنها كانت تصدهم وتعلن هواها لي .. وقلنا نصبر على مضايقات ومعاكسات الناس حتى نفارق الجامعة.. لم تعمل علاقة خاصة مع أي طالب قبل أن أعلن لها حبي ، ولا بعده ..وجرت التطورات الكبيرة في السنة الرابعة وفي مطلع الخامسة .. وكان الزواج القصير .. كيف سأعرف بعد هذه السنين أن غريبا كان مطاردا وخصما لي فيها ؟.. هو كان يدخل القصر ويسرح ويمرح قبل إعلان الخطبة وبعدها ..إنه قريب الدكتور .. والدكتور خالد أكاديمي ومدير مستشفى وثري جدا وابن الحضارة الغربية .. تعلم في بريطانيا .. وكان يزاوج بين عادات العرب وعادت الغرب .. ومحلا للحرية للجنسين ، لم يكن متعصبا ومعقدا كما كانت تحدث نبيلة .. وأن البنت كالشاب عنده حرة هم سواء تفعل ما تشاء .. وبعد فترة صمت عاد يقول : لا أدري ما دخل غريب في إفشال زواجي ؟! هو ليس بحاجة لواسطة للعمل كطبيب في الحكومة .. كل طبيب يقبل للعمل في مستشفيات الحكومة .. تنفع الواسطة للعمل في هذه المدينة ، وغيرها من المدن الكبيرة ؛ بحيث لا يخدم في المدن البعيدة كما هو معتاد في أول التعيين أو للعمل في الإدارة بدون المرور في مراحل الخدمة وقليل ذلك ..لابد للطبيب أن يعمل في مهنته لعدة سنوات قبل أن يحول لعمل إداري بحت .. لماذا فعلا أهملت موضوع الصورة والبائع ؟! لماذا حدثت نبيلة هندا عن الصورة وقبلها سوزان ؟! وبعد ساعات قضاها مفكرا ومقلبا للأمور ومتذكرا المعلومات طلب قهوة مرة ..وأخذ يتذكر الإلحاح من هند وزينب وخالد وحتى من غريب نفسه لإجراء لقاء به "هذا الرجل ظلم" من ظلمني ؟! هل هو الظالم ؟ كيف ظلمني ؟ هل كان هو سبب طلاقنا كما يظن إدريس ؟ وهل وهو يدرك أنه يموت ندم وأحب هو الآخر أن أسامحه ؟ هل اكتشفت نبيلة دوره ؟ لذلك طلب المسامحة منها ، ثم مني .. من

أرسل الرسالة للسيد مراد ؛ ليخبرني بالصورة الحقيرة ومكان ووقت اللقاء؟ لماذا قبل مراد لعب هذا الدور ؟ أكان يأمل بالزواج منها ؟ هل الدكتور خالد هو الذي عرض ابنته على غريب بعد طلاقها العاجل أم أن غريب تظاهر بالشهامة والتضحية أمام الدكتور وبادر بطلب يدها ؟ هي كانت تقول إن والدها يريد تزويجها من قريبه .. لابد أن إشارات جرت بينهم .. أمه كلمت أمها ؛ لذلك طلبت السيدة من ابنتها مفاتحتي بأمر الخطبة ..كانت نبيلة تريدني أنا دون غيري زوجا .. ولكني خذلتها ؛ ولم أتحمل الصدمة والمكيدة !

انتهى شهر أب من عام ١٩٩٦دون أن يعرف سيف سبب ورغبة غريب باللقاء به دون معرفة سابقة .. وهند وزينب لم تتحدثا معه ؛ كأن كل شيء انتهى بوفاة غريب .. فراجع طبيبه الخاص ، وقضى ليلة في المشفى .. ولما اطمئن على قلبه طبيا أقنع إدريس بالسفر إلى إسطنبول التركية لقضاء أسبوع لتغيير الجو كما يقال .. واستمتعا بتلك الرحلة ، ومضت الأيام سريعا ، ولم يفكرا كثيرا بغريب ودوره في إفساد حياته الزوجية ، واعتبر ذلك من الخيال الجامح ؛ ولكنه شعر بالندم على عدم زيارته لغريب ، ومعرفة الظلم الذي وقع عليه ؛ لذلك لما رجعا اتصل إدريس بهند معزيا مرة أخرى ، وزعم لها أنه حاول أن يقنع سيفا لمقابلة الراحل ؛ ولكن ما زالت طباعه تغلب عليه .. وخاصة صفة التردد الشديد .. وحاول استدراجها عن سبب هذا الطلب الغريب ..فذكرت له أنها لم تعرف السبب لذلك الطلب .. وأنه لما علم بزيارة سيف لصيدلية زينب والحديث معها أحب هو الآخر اللقاء به ..وتكلم عن الظلم لهذا الرجل ولم يوضح لهم الظلم الذي يقصده ..وطلب مني أن أقنعه بلقائه .. ومات والدي وهو يرغب بذلك.

وقالت : كما قلت ما زال السيد يعيش في الماضي.. الناس تتغير وتتقلب .

فتجرأ إدريس وقال: ألتلك الرغبة علاقة بالصورة القديمة التي دمرت حياة أمك الزوجية ؟!

لزمت الصمت لم ترد للحظات ، ثم قالت : صدق لا أدري ! نحن لما شببنا وجدنا أن العلاقة بين والدينا سيئة .. وبصراحة تبين أن لأبي علاقات قبيحة مع النساء ..ولم يكن ذلك يعجب

أمي .. وكانت تمتنع عن فراش الزوجية بسبب علاقته الجنسية خارج الزواج ..كانت الأسباب في نظرنا تافهة يا إدريس لم نكن نعلم بقصة سيف وأمنا وسبب طلاقها ..كان ذلك متأخرا .. ولما أنهت زينب الثانوية سافرت للدراسة في تركيا كبعثة ، ولقرابة بين أم غريب والأتراك .. وتزوجت أحمد الذي درس هندسة الطب .. وأنا قبلها بسنتين دخلت كلية الطب لأن والد أمي كان وزير صحة ، فأحبوا أن يكرموه فقبلت بكلية الطب .. ربما لأبي دخل بذلك .. وابتعدت كلية عن نزاعات أمي وأبي وفضائحه .. وأنا أعترف بذلك ؛ لأنني اعتبرك صديقا عزيزا علينا يا إدريس .. وأنت اجتهدت في معرفة الذي خرب وفسد علاقة أمي بسيف المسكين .. إنني أشفق عليه كثيرا .. وخالد أخي أيضا دخل كلية الطب .. ونحن عرفنا بقصته مع أمي بوضوح عندما أراد شاب من العائلة الزواج من فتاة من آل وردة .. ورفضت جدتي هذا الزواج بشدة بسبب ذلك الماضي .

ـ نحن لما ذكرت الظلم الذي أصاب سيفا حاولنا معرفة أي ظلم يقصد الوالد ؛ لكن سيفا أبى ورفض الذهاب لمعرفة الظلم الواقع عليه من أبيك أو من شخص يعرفه أبوك .. وأنا خطر في قلبي أن الأمر له علاقة بالصورة والطلاق .

ـ لم يتكلم أبي عن أي تفصيل ؛ إنما رغب بلقاء الرجل مباشرة .. وترجيت صديقك وفعلت زينب وأخي، ثم أبي اتصل به بعد عودته من العمرة من أجل اللقاء ؛ لكنه أصر على الرفض لم يتحدث أبي عن صورة ، ولا ذكر لنا شيئا من قصة أمنا مع سيف .

ـ شكرًا يا دكتورة هند! أنا سعيد بالحديث معك ؛ لأن قضية الصورة شغلت فكري لما عرفت قصة طلاق سيف خلال تلك التحقيقات .. أنا وصلت لمعلومات مهمة وتفصيلية بها سميناه بالشقة السوداء .. وكيف يخدعون الفتيات ؟ إذا التقينا في يوما ما سأسرد على مسمعك أهم التفاصيل والمكر .

بعد منتصف شهر أكتوبر تلقى السيد سيف بريديا رسالة غريبة وغامضة ، جاءت عن طريق البريد الرسمي ، ووجد داخل المغلف رسالة أخرى ، فلما اطلع عليها ذهل ودهش واحتار واتصل بإدريس على الفور ، وذاك لبى النداء بسرعة البرق .. كانت الرسالة من الدكتور غريب زوج نبيلة خالد ، ووصلت من مكتب أحد المحامين واسمه خليل سعيد برقع ، كان في رسالة المحامي بعد التحية والسلام كتب "طلب مني الدكتور غريب غنصرو أن أرسل لك هذه الرسالة المغلقة على هذا العنوان "وذكر عنوان بيت سيف .. وأن تصلك بعد موته بشهرين ، وشكرا" وضع إدريس رسالة المحامي ، وأخذ رسالة غريب بلهفة واضحة عليه .

"هذه رسالة قلت للمحامي أن تصلك بعد موتي بشهرين ؛ ولتعلم أني تركت لك أهم وأخطر رسالة في حياتي ، وستصلك بعد موتي بثلاث أشهر ، كما رتبت مع السيد خليل المحامي .. تحياتي لحضرة المهندس سيف حاكم وردة ..ولما خشيت أن ينسى محاميّ الخاص إرسال الرسالة إليك حسب الاتفاق بيننا كتبت هذه الرسالة ، وأعطيتها لمكتب محاماة أتعامل معه في بعض القضايا لأضمن أن تصلك الرسالة الأهم .. هناك حقائق عليك أن تعرفها .. قد أكون أنا الذي دمر حياتك وأفسدها .. والسبب أني أحببت المرأة التي تزوجتك ، ورفضتني ، واختارتك ، فلم أتحمل ذلك الفشل.

علمت أن نبيلة خالد كتبت لك رسالة تطلب المسامحة والاهتمام بموضوع الرجل الذي باعك الصورة تلك الليلة ..لابد أنك تذكرها ، ولم تنساها ؛ لأنها ليلة فارقة في مصيرك .. ووجدت أنني أحق منها بطلب العفو والمسامحة ؛ لأنك لم تتزوج بسبب تلك الحادثة، وطلقت واعتكفت دون امرأة .. ستعرف القصة مفصلة في الرسالة القادمة إليك عندما يرسل إليك المحامي الآخر المظروف المغلق حسب الاتفاق .. اصبر "

قرأ إدريس الرسالة ثانية ، وتنهد قائلا: أنا أعرف ما سيكون في الرسالة القادمة بعد شهر .

ـ وأنا لما قرأتها عرفت الحقيقة التي كنت لا أريد أن أصدقها .. لم يخطر على بالي أن يفعل هذا الدكتور كل هذا الإجرام والكيد .. لم تكن صورته واضحة أمامي .. لم تذكر نبيلة الكثير عن

أخلاقه وصفاته وغروره .. إنه يكتب من باب الغرور والطيش .

ـ أنا لما التقيت بعارف فوزي كملت المعلومات عن تلك الشقق .. أما صورة واحدة فهي من شخص آخر .. باعها لك ، لم يبعها لصاحبة الصورة إذن المقصود إفساد الزواج .. ولا مصلحة لأحد في ذلك إلا لغريب ومراد .. ورجحت غريبا لقرائن أخرى .. هناك عاشق آخر لعب لعبته الذكية .. وهو قريب منها ، ومطلع على أسرارها وحياتها.

ـ أفكارك الأخيرة خشيت أن تصح .. نبيلة تعلم أن زوجها لعب لعبة كبيرة علينا ؛ لكنها كانت زوجة .. ولها أولاد منه .. كانت تعيش على الهامش .

قال إدريس : إنك مثلها ضحية لم تتزوج ! ومضى قطار العمر وأنت معقد من ناحية النساء .. لا زوجة ولا أولاد .. أخيراً سنعرف كيف

خدعها الرجل وصورها تلك الصورة ؟

قال بحزن باد على وجه : أتراه يعترف بالحيلة الخبيثة يا إدريس ؟!

ـ لو لم يريد أن يعترف لماذا يكتب ؟ أتصور أن الطريقة بسيطة وسهلة .. استخدم عقارا معينا عقارا يستخدمه رجال المخابرات في التحقيق .

ـ لم أفهم .

ـ أخذت بالقراءة عن وسائل وطرق يصور بها الشخص ولا يدرك ذلك .. هناك يا سيدي عقارات تستخدم للسيطرة على المستجوب أي يفقد ذاكرته لزمن محدد .. وهناك من يستخدم التنويم المغناطيسي ليعترف المستجوب بمعلومات أو أنه عمل لجهة معينة .. فالدكتور غريب طبيب أعصاب ودماغ .. هناك أطباء يعملون مع أجهزة المخابرات الكبيرة والعالمية ، وكما نسمع ونقرأ يقوم أطباء تلك الأجهزة على إعطاء الشخص المُستجوب عقارا معينا .. فيستسلم للطبيب ، ومهما طلب منه سيفعل .. وهذه الأدوية ممنوعة ومحرمة دوليا ؛ لكنها تستعمل كما تستخدم عقاقير الهلوسة .. وهي ممنوعة .. نعم ، السيدة تعرضت لتجربة ذلك وتعرت لا إراديا وصورت .. ولما انتهى مفعول العقار ، لم تشعر بما حصل معها ، وأنها فقدت

الذاكرة أو نومت مغناطيسيا .

خيم الصمت للحظات ، ثم همس سيف : ثقافتك واسعة جدا!

ـ نحن لم يخطر في بالنا أن الرجل زوجها هو الفاعل إلا لما أغلق ملف الشقق السرية ، وسماع عبارة " هذا الرجل ظلم ".. ذهبنا أن لمراد يدا ؛ لأنه الخصم لك ، وأكثرهم مطاردة لها .. لم يكن الرجل في الصورة ..لا في مذكراتك ، ولا رسالتها إليك .. ونحن ذهبنا أنه تزوجها ؛ لأنها قريبته ، ومطلقة في شهر الزواج الأول .. لم يخطر لنا أنه هو الذي سعى لذلك الزواج للانتقام منك ومنها .. والذي لفت النظر إليه مؤخرا رغبته بلقائك .. ووسط أولاده لتقبل اللقاء به .. وتكلم عن الظلم ، وليس بينك وبينك أي علاقة عمل صداقة .

ـ هل هذه الأدوية التي تتحدث عنها حقيقة أم شغل أفلام وسينما ؟!

ـ طبعا حقيقية يا سيدي! في الخمسينات كانت تجرى تجارب على أفراد وجماعات وسجناء وخصوم بهذه العقاقير .. المرضى النفسيون ألا يعطون أدوية وعقاقير للسيطرة عليهم ؟

ـ معروف هذا .

ـ فالمريض النفسي عندما يعطى مثل هذه العقاقير ماذا يحل به ؟ فعلم النفس وطب النفس للسيطرة على العقول والأدمغة والنفس .. لقد قاموا باختراع عقاقير تسبب فقدان الذاكرة ؛ ربما لم تنجح تلك العقاقير النجاح الكامل .. وهناك عقاقير تؤثر على العواطف والشعور بشكل جزئي أو كلي ..كبسولة مع الطعام فتؤدي إلى فقدان الذاكرة .. هناك يا سيد سيف عقاقير تظهر الشخص بأمراض صعبة للخداع .. وأعتقد أن غريبا لما فشل بالزواج من نبيلة بطريقة طبيعية ، وسارعت بالزواج منك قرر القتال .. وعمل معها شيئا فظيعا استطاع أخذ صورة لها بحيث لم تشعر بها .. لا تنسى أنه قادم من بريطانيا حيث كانت الحرب الباردة والصراع بين الشرق والغرب .. وكل الوسائل مباحة .. ستقرأ في رسالته فك غموض الصورة والبائع وتكليف مراد هل تعلم أني قرأت عن الغازات المضحكة والمبكية والمخدرة ؟ خلال الحرب الباردة استخدمت أشياء كثيرة ، ومواد أهلكت الملايين من البشر دون أن يدرك

أحد أنهم هلكوا تحت التجارب سواء في الغرب أو روسيا والصين .. كثير من التجارب تجري على السجناء ؛ لأنه لا يكترث بحياتهم أحد .. سجين ومات .. لأنهم هناك عندما ينتهون من تجارب العقار على الفئران وغيرها يجرونها على البشر .



عندما عاد إدريس للبيت رن جرس الهاتف الأرضي ، وتفاجأ أن المتصلة هند غريب .. وبعد التحيات والسلام والترحيب سمعها تقول له : رأيتك اليوم في الحي !

ـ رأيتني !!

ـ رأيتك تخرج من التاكسي ، وتدفع له الأجرة أمام بيت سيف وردة .. كنت في الشارع أعاين مريضا .

ـ آ .. فعلا كنت عند المهندس بعد الظهر بقليل .. ما أخبارك يا دكتورة ؟

ـ جيدة يا سيدي .. ما أخبار المهندس؟

ـ جيدة أيضا يا سيدتي!

ـ هل من جديد بشأن تلك الصورة اللعينة ؟

ـ هل من جديد ؟! أنا قلت لك إني قابلت إنسانا كان يعمل في إحدى تلك الشقق كخادم كحارس كمجرم .. وشرح لي ماذا يفعلون فيها ؟ وكيف يخدرون ويصورون الضحايا لابتزازهن وإفسادهن للعمل في الدعارة والفاحشة ؟ لكنه لم يصدف وأن رأى السيدة أمك في سهرة في حفلة .

ـ فعلا تلك الصورة لغز غامض! حتى أمي رغم زواجها من أبي كانت تشغل بالها تلك الصورة رغم مضي عشرات السنين كيف وأين ؟

ـ أسالك يا دكتورة بناء على الثقة الكبيرة بيننا والصداقة.. أمك ـ رحمها الله ـ لم تعرف سر

تلك الصورة .. أم أنها لا تريد أن تعترف .. فقد أخبرت سيفا بأنها لا تعرف كيف وأين ومتى؟

ـ لا أعتقد أن أمي تعرف الحيلة التي فعلت بها لأخذ تلك الصورة وإلا قالت لأمها ولي .. كانت أمي بعد زواجها من أبي تقضي كل وقتها بعد العمل مع أمها .. كانت تحبها كثيرا حتى كان أبي يفتعل المشاكل معها بسبب ذلك .. ولما مرضت جدتي تركت العمل ، وظلت معها .. أعتقد أن أمي ماتت وهي تجهل الحيلة ؛ لذلك أنا اهتممت بالموضوع كما تعلم لما علمت أنك اهتممت بموضوعها كما أخبرت صديقة أمي المهندسة سوزان .. وسعيت للتعرف عليك واللقاء بك .

ـ على كل حال إذا حدث شيء مهم عسى أن أتحدث معك .

ـ شكرًا يا أستاذ إدريس شكرًا ..ولَك تحية من أختي زينب .

ـ من زينب .. شكرًا لكم جميعا .

ـ أما زلت راغبا بالزواج يا إدريس ؟

ـ لست أدري وأتمنى لها التوفيق والسعادة .

ـ هي لم ترفضك يا أستاذ إنما مرض الوالد واشتداده تلك الفترة دفعنا للتريث والهدوء ، ثم الموت .. فعلينا أن نحترم التقاليد الدارجة .

ـ أنا معتاد على العزوبية ، وأنت تعلمين ذلك من قبل أن تذكر العزيزة زينب .. والرجال تتزوج في أي سن .. ولما يصير الأمر جديا أفكر جديا .. سلمي عليها وعلى الدكتور خالد .. أنا أعرف جدك خالد .. كنت في أول تعييني بوازرة الصحة قبل العمل في البلدية كمفتش صحة ؛ لكننا لم نلتق لقاء شخصيا.

ـ سلام عسى أن نلتقي يا أستاذ إدريس آسف على إطالة المكالمة .

ـ أبدا .. وعليكم السلام .

وضع السماعة ، ودخل مطبخه ، وأعد لنفسه وجبة عشاء من المعلبات ، وتفاجأ بعدم وجود

الخبز ، فاتصل ببيت أخيه طالبا الخبز ، وبينما هو يتعشى حضر إياد صديق العمر كما يقول ، فشاركه العشاء ، ثم انتقلا لصالة الجلوس والاستقبال، واطمأنا على صحة وأحوال بعضهما البعض ، وقال : قبل دخولك كانت تتحدث معي الدكتورة هند غريب .

ـ أخت زينب .

ـ نعم ، تقول عن أختها إنها ما زلت تفكر بالزواج ؛ إنها ظروف مرض الأب وموته هدّأت الأمر .

ـ إذا كان لك نصيب بها سيحصل بأمر الله .. كم رفضت أن أزوجك منذ ترملت يا إدريس ؟! كم بذلت من الجهد والحيل دون فائدة وأصررت على الرفض ؟!

ـ أنا نفسي لا أعرف ما الذي جعلني أغير رأيي يا صديقي ؟!

ـ هل لأنها دكتورة ؟!

ـ لا أعتقد يا صديقي ؛ ربما لأنها عاجزة عن الحمل .. والشفقة أيضا .

ـ أأشفقت عليها ؟

ـ يمكنك أن تقول ذلك .. هناك أشياء تحدث يصعب تفسيرها .. رق قلبي لمأساتها.. وهي فتاة محافظة .. وعندها بعض التدين ؛ لأنها عاشت في تركيا مع أسرة متدينة.. بينهم قرابة واضطرت للزواج من قريبها زميلها في الجامعة .. كانت ابنة عشرين عند الزواج ، تزوجت صغيرة .. وهي لا تريد العودة للتبرج والسفور في الشارع .

ـ أنت مسكين ، وهي مسكينة .. تحدثت مع سيف عصرا ، وأخبرني بتطورات جديدة وغريبة وأن ملاحظاتك في الأيام الأخيرة حول غريب لها موضع من الصواب .

لخص له إدريس قصة الرسائل التي وصلت لسيف من غريب بعد موته .. وأنه يريد كشف الحقيقة لسيف زاعما العفو والمغفرة .. وقال : وأنا أقول الغرور والتشفي .

ـ معقول هو شيطان لهذه الدرجة!

ـ معقول يا صديقي! لم يتقبل الهزيمة وأن تتزوج سيفا ، وهو الراغب فيها ، هو العاشق

المجهول بالنسبة لنا ..كان في الظل ، والمضحي بالزواج من مطلقة في ظروف فضائحية ..كان محبا للفتاة ..وأعتقد أن نبيلة حدثته عن حبها لسيف وعشقها له ، وحدثته عن مطاردات مراد لها .. فلعب على الجميع ، وتزوج منها ، وأصبح صهرا للدكتور خالد المرشح للعمل كوزير ، قد يكون هو أكثر شخص تأثر بموت خالد المفاجئ .. ومغامراته النسائية والشهوانية تذكر بإجرامه وعدم احترامه للمهنة .. ووظيفته والشهادة مهما تكن لا تدفع الشخص لاحترامها .. الشهادة مكانة اجتماعية .. فقط الناس البسطاء يحترمون فلانا طبيبا فلانا مهندسا .. والنَّاس تهمها المكانة الاجتماعية في المجتمع .. والمهن في الحقيقة تكمل بعضها بعضا .. فعامل النظافة مهم للمجتمع كالطبيب ؛ وربما أكثر لو تترك النفايات فترة طويلة في الأحياء ستسبب أمراضا كثيرة .. هل نستطيع العيش بدونهم اليوم ؟ نبيلة عرفت الحقيقة المرة ، اكتشفت أنه وراء الصورة والطلاق ؛ ولكنّ هندا تنكر أن أمها تعرف من وراء الصورة ؟.. لكن لما نقرأ رسالتها لسيف اليوم توضح أنها تعرف الأمر ؛ ولذلك طلبت المسامحة بعد كل هذه السنوات من الآلام والضيق .. كانت تريد من سيف أن يتزوج ؛ ليكون أبا كما هي أم ؛ ولعلها تعرف بائع الصورة ، فأردت منه أن يذهب للمقهى ؛ ليتذكر ذلك البائع الذي أرسله مراد أو غريب ليقابل سيفا.. ويتظاهر أنه مشفق ويريد أن يبيع تلك الصورة .

ـ مراد هل تحدث لك عن الرسالة والصورة ؟

ـ هو رسول كما قال لسيف .. واعترف أنه فعل ذلك حقدا من سيف ، وعلى الزواج منها ، وعلل نفسه بالزواج منها بعد التخرج إذا طلقت .. وهو لليوم يذكرها ومغرما بها لولا موتها ، قال بدون مواربة : تمنيت أن أكون زوجها ..كانت فتنة لي .. وظل يطاردها حتى بعد أن تزوجها سيف .

من المعروف أن الانتظار لشيء يمر على المرء بطيئا وصعبا نفسيا ؛ ولكنه يمر .. الزمن لا يتوقف .. لما حل شهر نوفمبر تشرين الثاني كان الفريق في انتظار الرسالة .. وكان سيف قد

طلب من إدريس أن يقرأ الرسالة قبله عندما تأتي .

اتصل المحامي المعين من قبل غريب بالسيد سيف ، وأخبره عن وصية غريب والرسالة ، فأعلمه أنه علم بوجودها من أحد المحامين ، وأعلمه المحامي بأنه تعهد للدكتور الغريب بإيصال الرسالة الخاصة بعد موته بثلاثة أشهر ، وأعلمه أن الرسالة بين يديه منذ ستة شهور فهو كتبها كما أخبره بعد اشتداد المرض عليه ، وأنه لا مفر من الموت ، والرحيل من عالم الأحياء إلى عالم الأموات ..وأخذ عنوان البيت ، واتفقا على اللقاء مكانا وزمانا ، وبدوره اتصل بإدريس ، وجلسا في بيت سيف في انتظار المحامي المكلف بنقل الأمانة ، وفي الخامسة مساء وليلا أدخلت الخادمة الزائر .. فالظلام يحل في فصل الشتاء مبكرا في تلك المنطقة .. استقبل سيف وإدريس المحامي وجرى التعارف .. وقدمت القهوة للضيف الذي أخرج المغلف من حقيبته ووضعه على منضدة بينهم قائلا : ها هو يا سيدي المغلف مغلقا كما أودعه الرجل عندي !

ـ لقد أرسل لي رسالة بانتظار هذا المغلف .

ـ لا أدري .. وعندما تقرأ الرسالة رسالة صديقي غريب .. فهناك رسالة أخرى لك .. سأتصل بك بعد أيام من أجلها حسب ما طلب مني.

ـ رسالة أخرى!

ـ ستعرفها عندما تقرأ هذه الرسالة كما قال لي .

وغادرهما المحامي شاكرا حسن الاستقبال ، ولما عادا للجلوس بدأ الارتباك على سيف فعبر قائلا : إني خائف منها يا إدريس !

ـ ولماذا تخاف ؟ هو سيعترف كيف مكر بنبيلة وصورها تلك الصورة التي عرضت عليك لتطلقها ؟ سيعترف بكيده ومكره وغرامه بها الذي اضطره لفعل ذلك .. أغلب ما فيها لدينا عنه معلومات .. فلا داعي للخوف والقلق والتوتر .. الرجل ميت، والمرأة ميتة يا صديقي!

فتح إدريس المغلف الأصفر بعد أن قرأ اسم الدكتور ، واسم سيف المرسل إليه .. ووجد أن

الرسالة في مغلف آخر ففتحه ، وأخرج الأوراق البيضاء المسطر عليها الاعتراف .

بِسْم الله الرحمن الرحيم

المهندس سيف الدين حاكم آل وردة

السلام عليكم ورحمة الله

صحيح نحن لم نلتق وجها لوجه ؛ لكني أعرفك جيدا ..لم تقصر نبيلة بوصفك لي منذ عدت لأرض الوطن والتقيت بوالدها العزيز الدكتور خالد أسعد .. هي فعلت ذلك حتى لا أتهور في علاقتي معها .. أنا أحببتها من خلال زياراتها لندن .. كان والدها ينزل في بيتنا أثناء رحلاته إلى أوروبا ..لم أقتنع بحبها لك اعتبرته لهو وتسلية.

هذه قصتي معك أكتبها مضطرا ، ليس خوفا منك أو من ضميري .. من يعش هناك لا ضمير عنده ..أنت تعرف أن النساء هناك رغم الحرية مجرد سيدات للهو وممارسة الجنس باسم الحرية الشخصية ..هذه يوم وآخر مع غيرها .. المهم رضا الطرفين .. وكثير من الخيانة الزوجية يغض عنها الأزواج والزوجات .

أكتب لك مضطرا من غير ضغط من أحد ..أشعر قديما أني ظلمتك خاصة لما علمت أنك تركت النساء والزواج بسبب حبك لنبيلة خالد .. فعجبت من ذلك الحب .

أكتب إليك لأني أسأت إليكما .. وقد علمت أنها كتبت لك رسالة تطلب منك العفو والمسامحة وهي البريئة من ظلمك ، ومن عدم زواجك ، والاعتكاف في بيتك .. فقلت : وأنا أستعد للموت أنا أولى منها بالاعتذار ، وطلب العفو رغم الشر الكامن في نفسي .. فأحب أن تعفو عني يا مهندس سيف ! الزمان لن يعود للوراء أعرف هذا ؛ لكن ما زالت الناس تتصالح وتغفر لبعضها البعض .

كنت مفتونا بالنساء منذ طفولتي ومراهقتي ..كانت النساء نقطة ضعف كبيرة في حياتي .. عرفت الزنا وأنا دون الخامسة عشرة .. كنت أصحب بعض أقاربي إلى بؤر الزنا مقابل مبلغ بسيط من المال كانت تقبل به البغي .. وبنات الهوى في أوروبا كثيرات وعجيبات في فن

الدعارة ..ولا أدري هل سمعت عن سقطاتي هنا لما عدت ؟ الفجور مثل المرض يسري في جسم الإنسان .

عليّ أن أبدأ من البداية ، نجحت في الثانوية العامة ، وتيسر لي السفر إلى إنجلترا لدراسة الطب كغيري من الإخوة والأخوات والأقارب .. والدكتور خالد من الأوائل الذين تعلموا الطب في إنجلترا .. فأنا أعرفه قبل السفر .. أنا أكبر منك بخمس سنوات حسب حساباتي .. والرجل وأمي أبناء الخالات .. وتعلمت الطب كاملا في بريطانيا رغم ما أشرت إليه من ممارسة الزنا صبيا ..كنت ذكيا في المدرسة.. ونحن نتعلم بمدارس أهلية غير تابعة للدولة فنتعلم الإنجليزية بأحسن من أهلها .. درست سبع سنين طب ، وقبلها فصول في تعلم اللغة وتخصصت في طب الدماغ والجهاز العصبي ..وتفوقت وأبدعت كما يقال ؛ لأنني أحببت العلم والطب .. وأحبت أمي العودة للوطن لأتزوج من ابنة الدكتور خالد نبيلة التي عرفناها من زياراتها للندن مع أهلها، وهي شابة لم تنه الثانوية العاملة .. وهي طالبة في كلية الهندسة أعجبت بها ؛ ولكنها للحق لم تكن تستلطفني كزوج المستقبل .. نسبت ذلك إلى تقاليد الشرق وصغرها .. وحدث لي بعض المشاكل الأخلاقية أيضا أثناء العمل في المستشفيات البريطانية فقبلت بالعودة للوطن كإخوتي وأخواتي الدراسين في بريطانيا.. عدت في نهاية عام الستين وكانت العروس في أول سنوات الجامعة ، وإن والدها لا يريد تزويجها قبل إنهاء الدراسة .. فعملت في مستشفى أمراض عقلية .. وكان بيت الدكتور خالد كبيت أمي ؛ لأن أبي مات في بريطانيا أثناء فترة التعليم ، فاعتبرنا الدكتور خالدا بمنزلة الوالد .. وكان هو يقوم بمثل هذا الدور في المناسبات الاجتماعية السارة وغير السارة .

أمي تُلِّح عليّ بالزواج منها ، وأنا أخبرتها أن البنت تحتج بالدراسة ، ونبيلة هي الثانية في ترتيب أسرة الدكتور ، يكبرها نبيل ، ويصغرها باسم ، وهناك فتاة اسمها نوال ..أنا لا يهمني الزواج من نبيلة رغم حبي لها .. أريدها زوجة وتكوين أسرة .. أنا لديّ علاقاتي الجنسية الخاصة .. فلم تكن تزعجني قضية الزواج ..فصبرت على أمل الزواج منها في النهاية ، وتحقيق

رغبة أمي .. كانت تصارحني بمعاكسة الشبان لها منذ لحقت بالدراسة ، وخصت شابا اسمه مراد ..كان أكثر الناس لها تعقبا .. تجده أمامها في الساحة ، في القاعة ، في الكافتيريا المطعم هي تتحدث عنه ، وتصدت كثيرا له.. وهو لم ييأس من المحاولات .. وكنت أرى أن الدكتور يميل لتزويجي منها ؛ ولكنه يؤجل الحديث إلى ما بعد الجامعة .. كانت صريحة هي معي .. تقول: إياك أن تفكر بالزواج مني.. أنا أعرفك يا غريب لن أعيش معك رغم الحب الذي تزعمه لي .. وكانت أمها تبغضني جدا دون سبب أعرفه يا مهندس سيف ! ولا تحب أن تعد أمي بشيء .. في السنة الثالثة فاجأتني بأنها تعلقت بشاب معها اسمه سيف .. وكانت تتحدث عنك أمامي بوله وعشق لم أصدقه .. وإنها منذ رأتك في الجامعة وهي تحبك ، وأنت خجل من التصريح لها بذلك .. اعترفت لي بكل صراحة أنك اعترفت لها بحبها .. وكانت سعيدة بك حتى أنني كنت أغار وأضيق من ذكرك ، وأظل أسألها عن موقف مراد منك .. فتقول : يكاد أن يجن من الغيظ والقهر .. وأنا مثله ؛ لأنني أردتها من أعماق قلبي كحبيبة وسيدة بيتي ..وأمي تريدها لي ، وأنا أحب أمي ، ولا أدري ما ستفعل عند موتي القريب ؟ ولكن أرى أنها لن تعيش بعدي كثيرا ، فهي كبيرة في السن .. وتحدثت أمي مع ابن خالتها فوعد بزواجها بعد الجامعة .. فاستشاطت أمها غضبا وسخطا ، وطلبت منها أن تدفع سيفا لخطبتها كما علمنا ذلك عند الخطبة ..كانت أغلب سهراتنا في بيت الدكتور منذ عدنا من بريطانيا .. كانت تحدثني عن غرامها العنيف بك وأهمس بأنه حب جامعة ، لن يدوم مع التخرج سيذهب ونتزوج .. تفاجأت حقيقة أنها على وشك الخطبة منك .. وذلك في السنة الرابعة لها .. تحدثت مع والدها فقال: البنت هواها معه ، وأنت تعرف أننا لا نكره أحدا على الزواج ، وزعمت أنها تحبه ، ولا تريدك .كان صريحا ، وهذا أعرفه فيه .. وقال : إن والده رجل كبير في البلد ، وعالم التجارة والثروة ، ومن سكان الحي .

لم أستطع تقبل الهزيمة ، فزت عليّ ، صممت على الزواج منها غصبا عنها .. أنا أعرفك من كلامها ، وأعرف المهندس مرادا من كلامها .. وأنا طبيب أعصاب ، وأعمل في مستشفى

أمراض عقلية .. بين يديّ عقاقير خطيرة ، وأخذت استدرجها بالحديث عنك ، وعن مراد وكيف فزت بها ؟ وكيف سيكون موقفه منكم إذا تزوجتها ؟عرفت كل ما أريد عنكم وعن زميلاتها ؛ كأنني أعيش بينكم ومعكم ..كانت ترى أني ضعيف ، وانتهى أمري؛ لكن حقدي كبير ويملأ جوفي ..لقد استخفت بي ، وإنني قد هزمت .. فصممت أن ألعب معها لعبة كبيرة حتى تتزوج منك ، ثم تقبل بي صاغرة ذليلة .. أعلنت الخطبة رسميا ، فتيقنت أنك الفائز فكرهتك حقدت عليك ..وقبلت أمي بالزواج من أختها نوال فور دخلوها الجامعة .. فطلبت التريث .. وكيف أتزوج طفلة ؟! كان عليّ أن أجد حيلة يفرط ويفشل بسببها الزواج وقبل أن تزف إليك.. وكانت الحيلة أن تصور عارية ..وأبعث لك تلك الصورة بالبريد .. أنا عرفت شخصيتك المهزوزة والضعيفة من كثرة حديثها عنك .. أنا طبيب أعصاب ودماغ وأقرأ الأفكار ، وأرى ردة فعلك على الصورة هل تبتعد عنها أم يغلب عليك الحب وتغض الطرف عن عريها ؟ وذلك قبل أن أنتقل لحيلة أخرى ؛ ولكني تفاجأت قبل أخذ الصورة بزواجكم ..وكان المبرر أن والدها سيُصبِح في الفترة القادمة وزيرا .. وخشيت أمها أن يرفض والدها زواجك منها .. أمها لا تحب أمي وتضيق بها .. لولا قرابتنا للدكتور خالد لما سمحت لنا بدخول القصر .. كانت تعاملنا لاعتبارات اجتماعية .. والدكتور يحترم امرأته ولغناها الفاحش ..وربما أن لها جزءا كبيرا من القصر .. في القصر هذا قاعة رياضية يا مهندس سيف فيها بلياردو وطاولة تنس وألعاب أخرى ونصف ملعب كرة سلة .. كانت نبيلة تُمارس الرياضة في تلك القاعة ..وكنا أنا وبعض أخواتي وأقاربنا نلعب فيها أثناء الزيارات والسهرات العائلية .. كانت نبيلة تحب لبس ملابس الرياضة القصيرة أثناء وجودها في القاعة الرياضية ، وتحب التباهي بجسدها نصف العاري ؛ بل يعجبها الغزل فيه وبجمالها الفتان جدا .. وهي ماهرة بالسباحة حيث مسبح القصر، وتسبح كما تعلم أمام الرجال دون أي تردد بثياب البحر والسباحة .. الحقيقة أنها تربت على عدم الشعور بالفرق بينها وبين الرجل فتلبس السروال القصير .. وتنزل للعب كرة المضرب أو السلة دون أي تحرج منا فكان

نزولها بتلك الصفة عاديا ..وهذا الذي دفعني للتفكير بصورة عارية لها ..كان الأمر سهلا بالنسبة لي.. لكن أريد فرصة .. ذهبنا ذات نهار إلى قاعة الرياضة كما نفعل ذلك .. فأخذت تركض في القاعة لمدة ربع ساعة قبل أن نلعب الطاولة .. لم تكن تخاف مني أو تحسب لي أي حساب أو أني رجل قد يثور غريزيا ويغتصبها ..كانت تشعر بالأمان .. كانت تعتبرني ابن أوروبا كوالدها الذي تعلم عادات الإنجليز ويمارسها في البيت وفي العمل .. منذ الخطبة وأنا أعمل لإفساد الزواج ؛ لأنها رفضتني كزوج .. في أوروبا كنّا إذا تعلق شاب بأنثى يكونان علاقة دون زواج ، ويعيشان بدون عقد بينهما .. وذاك المجتمع يتقبله ، وقد يفعله شبان من أصول إسلامية ..كانت تعلم أني مغرم بها وأشتهيها كما يشتهي الرجل الزوجة .. ولكنها مخلصة لك في الحب ، لا تسمح لأحد بلمسها وتقبيلها ، كانت تريد سيفا وحده.

كانت تركض بالقاعة الخاصة بالقصر ، وأنا اتصلت بالخادمة طالبا للقهوة لي ولها .. رأيت أنها فرصة لتصويرها بالكاميرا الخاصة التي أحملها دائما .. والتي أحضرتها من لندن ..ولم ينقطع ترددي عليها خلال السنوات الماضية.. طلبت القهوة متظاهرا بالصداع، ولما جاءت القهوة وانصرفت الخادمة ، وضعت مسحوقا جهزته لمثل هذه اللحظة منذ بدأت أفكر بأخذ الصورة فيصبح الشخص بعد عشر دقائق خاضعا تحت السيطرة شربنا القهوة المرة حتى أن نبيلة اعتبرت القهوة مرة جدا فقلت لها: إن البن هذه الأيام تعيس مغشوش .

قالت: بل نأتي بها من أجود المحلات .

لما استقرت القهوة في بطنها ظلت جالسة على مقعدها، حيث كنّا نستمتع بشرب القهوة والاستراحة بعد جولة من الركض .. لما أدركت أنها تحت السيطرة ، طلبت منها أن تتبعني فقامت مستلسمة، وأمسكت بها، وخرجت بها من قاعة الطاولة إلى فضاء وأرض جرداء قرب القاعة ، وأحضرت بساطا صغيرا وقلبته ، وأمرتها بالنوم عليه ، وخلع كل ملابسها ففعلت ، ونفذت ما طلبته دون أي مقاومة .. ظهرت عورتها ، وهممت باغتصابها لفتنتها ؛ ولكن سيكشف الأمر بعد عودة عقلها إليها .. أخذت الصورة ، وأمرتها بلبس ثيابها ،

وأعدت البساط الصغير من حيث أخذته ، وعدت بها إلى قاعة المضرب حيث كنّا نشرب القهوة وانتظرت حتى عاد إليها وعيها بعد نصف ساعة من بدء العملية .. نجحت الحيلة .. قالت: إني أحس بصداع يا غريب .. هذه القهوة فعلا سيئة ! قلت : أطلب لك المزيد .. قهوة بسكر ..لعبنا بعض الوقت .. ثم عدنا للقصر .. وشاركنا العائلة الغداء ..وكان جل حديثنا عن يوم الزفاف القادم في نهاية الأسبوع .. وهذه الأيام تستخدم هذه العقاقير في متابعة الإعاقات العقلية في مراكز العلاج ، وخبرتها أثناء عملي وتدريبي في بريطانيا عند معالجة الأمراض العقلية ، وكيفية السيطرة عليهم عند الهياج والهيجان والثوران .. ومكثنا لنصف الليل ذلك اليوم .. ولما رجع الدكتور غادرت أنا وأمي .. هكذا تم تصوير الآنسة الفاتنة .. أنا قاومت بشدة حتى لا أقع عليها يا مهندس سيف ؛ لكنك استمعت بها عشرين يوما ..كانت الخطوة التالية أن أرسل لك أنت الصورة حتى لا يحصل الزواج ؛ ولكن تأخرت فرصة التصوير .. فعدلت الخطة قلت دعها تتزوج ، ثم نرسل الصورة الرائعة أنا أحسن التصوير الفوتوغرافي تعلمت ذلك في بريطانيا .. كنت آمل أن تطلقها قبل الدخلة ، ولكني قلت ربما بعد الدخلة أفضل .. فهي تصبح زوجة والغيرة أكثر ، والغضب سيكون أشد .. ورأيت أن زواجي منها بعد الطلاق سيكون أسهل ، وستقبله هي والدكتور خالد .. وهذا ما حصل ولما حصل الزواج حسب العادات وبعد أسبوعين كتبت رسالة لمراد زميلكم في الكلية أذكر فيها الصورة العارية التي أملكها ، وأنها قد تحقق الطلاق ويتزوجها بعد طلاقها .. وطلبت منه الاتصال على رقم هاتف ذكرته في الرسالة إذا أحب تحقيق ذلك .. وبالفعل اتصل على الرقم المذكور في الرسالة ، وبعد التفاهم والتبيان توهم أنني أحد الطلبة في الجامعة ، ولي قدرات غامضة .. ذكرت له مكان اللقاء والوقت ، وأن يتكلم معك في نهار ذلك اليوم ..وإذا لم تحضر للجامعة أن يتصل بي ؛ لترتيب يوم آخر .. وفعل كما خططت له، وتظاهر لك بأنه حريص غيور عليك ، ونقل لك الرسالة .. وهو يعتقد أن أحد الطلاب وراء العملية، ولا يريد كشف نفسه.. وتبين أن الرجل يحقد عليك أكثر من حقدي وغضبي .. وكان رقم الهاتف أحد

هواتف المستشفى الذي أعمل فيه .. وحذرته من الذهاب إلى المقهى تلك الأمسية حتى لا يفشل المخطط .. أنا لا أعرفه شخصيا ، ولم أره في حياتي ..عرفته عن طريق فتاتك نبيلة .
لقد استطاع مراد كما أوهمته أن يشحنك شحنا شديدا على زوجتك التي أصبحت خائنة في نظرك ..وأنت تريد الدليل فقط .. ذهبت للمقهى وأنت غاضب ناقم ، ومغتاظ على نبيلة المخادعة الماكرة التي جعلتك غطاء على فجورها .. هكذا أوحى إليك مراد .. وأنا أعرف شكلك من الصور الكثيرة لك عند نبيلة ..وعندما جلست في المقهى جاءك رجل يضع شاربا سميكا ولحية قصيرة ونظارة خضراء على عينيه وباعك الصورة وقطعة من الفلم.. وأنت ذهلت فورا من صورة نبيلة مجردة من لباسها ..نبيلة الحبيبة الشريفة .. وهذا البائع هو أنا متنكرا .. ورأيت غضبك وسخطك.. فتيقنت أنك ستطلقها كما رسمت ودبرت ..كيف صورت ؟ هي لا تعرف .. أين صورت ؟ لا تعرف أنها صورت في قصر والدها .. نجحت العلمية ..وعلمت أنك قابلت والدها ، ورأى الصورة ، ووافق على الطلاق كما أردت أنت .. وعادت نبيلة للقصر مصدومة مذهولة ، وأشعرت الدكتور لما تحدث عن طلاقها بأني مستعد للزواج منها رغم الكارثة ..ولما انتهت العدة الشرعية ، ظهرت أمامهم بمظهر الشهم المضحي الذي يريد أن يستر على قريبته ..ووافقت نبيلة مكرهة ، وهي ما زالت تحت ظل الصدمة من الزواج والطلاق والصورة .. فرحت أمي بزواجي .. وهي تتعجب من سرعة طلاق نبيلة .. عاشت نبيلة السنة الأولى في حالة دهشة وصدمة من حياتنا ..كيف صورت ؟ متى وأين؟ وهكذا أصبح جسدها ملكي بصورة ..كانت تبكيك عندما تحس أنني لا أراها .. ولا تهمني البكارة والعذرية المهمة لدى الشرقيين .. هذا في الغرب لا قيمة له ، وأنا منهم .. أدركت إدراكا تاما أن نبيلة لا تحبّني رغم مرور أشهر ؛ لم أظهر أمامهم بسرعة ، وانتظرت حتى تتخرج ثم تزوجتني .. وكانت الوزارة قد غيرت ، ودخل فيها حماي ، ونقلني إلى وظيفة إدارية في الوزارة حسب رغبتي ، وأنا صهره يومئذ .. لم تكن سعيدة نبيلة معي ، كانت تعيسة للغاية .. أنا مجرد زوج يداعب جسدها .. وأنا لم أكن مخلصا لها .. كان لي عشيقاتي وفتياتي ..

ولم تدم وزارة عمي ، لقد مات في حادث فخسرت عونا كبيرا لي في الوزارة ، لم أكن قد عملت علاقات قوية ؛ ولكنني صهر الوزير الذي مات شهيد الواجب .. أثناء ندوة عمل في أوروبا كان موته صدمة للعائلة وأمي التي كانت تتغنى بوازرة ابن خالتها ونسيبها .. ولدت ابنتنا هند بعد وفاة عمي بشهرين ، ومع ذلك ظلت علاقتنا باردة وحزينة .. وخلال خمس سنوات كانت قد ولدت ثلاث أولاد .. كانت نبيلة رغم الأولاد ترغب بالطلاق ؛ ولكنها لا تنطق بذلك ..كان يمر علينا شهور ولا تسمح لي بمعاشرتها كزوج .. كنت أشعر أن نبيلة تحس أن لي دورا في طلاقها منك .. تقول أمامي بحقد : كيف صورني المجرم ؟!وأين صورني تلك الصورة ؟! إنها صورتي .

فأقول لنفسي : هل تتهمني بهذه الأسئلة ؟ وأرفع صوتي فأقول: صاحبك تخلى عنك ، لم يتحمل غلطة واحدة منك .. قارني بيني وبينه .. قبلتك زوجة مطلقة .. قبلتك رغم تلك الصورة التي حدثني عنها المرحوم والدك .

ـ كيف مكر بي ؟ كيف خدعت ؟!

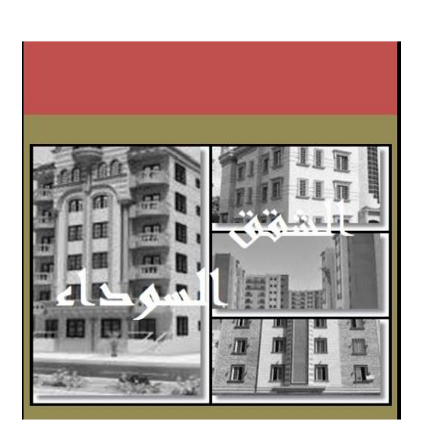
أعترف أنها تشك بي كإحساس ؛ ولكنها لم تستطع تخيل ما حصل ..كانت جل وقتها مع أمها التي تكرهني وتكره أمي .. أختها سافرت بريطانيا لتتعلم ، وتزوجت هناك .. لم أعترف لها بأني وراء صورتها وطلاقها .. زادت مغامراتي النسائية ؛ بل كنت أسافر فرنسا ولندن لقضاء الشهوات .. كنّا مجرد زوجين وأسرة ..وكلما كبرنا كانت تقل المعاشرات الزوجية ؛ ربما مر عليّ سنتان دون أن تسمح لي بإقامة علاقة زوجية ، كنت بيننا دائما ، كنت أكرهك أكرهك ، وكنت أخشى طلاقها وأن تعود إليك ؛ لأنك لم تتزوج .. ومشت الحياة ودخلت زينب الجامعات التركية ببعثة خاصة ، وتزوجت عندما بلغت العشرين من قريب لي ، وأصبحت معروفا أمام العائلة بزير النساء كما يقال .. دخلت هند كلية الطب ، وخالد سافر بريطانيا ليدرس الطب .. كانت علاقتي بالأولاد ؛ كأنهم أبناء رجل غيري .. عرفت الأسرة قصة زواج أمهم بعد طلاقها منك .. وقعت على فتاة دون سن الزواج القانوني ويريد أهلها أن

أتزوجها سترا على شرفهم .. وهي التي قامت بإغوائي ، صدمت الأسرة بتلك الفضيحة .. وزاد النفور بيننا جميعا كعائلة.. النفس الشرقي ظل مسيطرا عليهم .

أنا الذي ظلمك يا مهندس سيف ..كنت شابا لم يحتمل أن ترفضه فتاة جميلة كنبيلة .. كرهتك بسببها .. ينشرون الإباحية في البلاد ، ولا يريدون لنا نقوم بها .. كانت نبيلة حزينة لك وعليك وتتمنى أن تسمع خبر زواجك .. فهي ترى أنها السبب في حرمانك من النساء راودتني نفسي أكثر من مرة بطلاقها لتعود إليك .. ولكني لم أستطع فعل ذلك .. لم أحتمل أن تكون بين ذراعيّ رجل غيري بعد تملكي لها باسم قانون الزواج .. أنا فكرت كذا مرة أن أعترف لها ولَك بما فعلته بكم .. ولكني أجلت ذلك لساعة الموت .. وهذا ما فعلته .. وتركت لك مالا لدى المحامي عسى أن تقبله تعويضا على ما ألحقته بك من دمار وحزن ، وإذا لم تقبله تصدق به أو أعطه لأي إنسان أو مشروع .. إذا كان الاعتراف يريح النفس فها أنا اعترفت لك وحدك ..لا يهمني غيرك .. أنا مسلم مثلك ؛ ولكني لا أعرف من الإسلام إلا كلمات تقال أمامي في العمل في العيادة في الإدارة .. لم أعرف الصلاة يوما ، ولا الصيام .. نحن نؤمن بالحضارة الغربية والعادات الغربية ؛ ربما أكثر من الغربيين شرب الخمر عندي كالماء .. لحم الخنزير من أفضل اللحوم .. أذهب للفنادق الكبيرة من أجل التلذذ بأكله .. وقد عرفت بريطانيين لا يأكلونه مثل المسلمين الملتزمين .. قد أكون أزعجتك بهذا الاعتراف .. نبيلة كانت تريد هذا الاعتراف ؛ لتبدأ حياتك من جديد .. علمت برسالتها ، وطلبها منك البحث عن بائع الصورة .. أخبرتني هند عن هذه الرسالة ..لا أدري هل كانت تعرف هي البائع ؟! فلا أحد يعلم ما فعلت بكما إلا الله .. علمت من هند أنك مشغول بالبحث عن مصور هذه الصورة .. فأحببت أن أريحك من البحث العقيم ..أنا بحاجة لمسامحتك .. ماتت نبيلة وهي تحبك أكثر مني .. نعم ، أجزم بذلك ، وأعترف به .. وقد كانت تحتفظ بصورك وتشاهدها ، ورسائلك وتقرأها .. ولم أحاول أخذها ، وكثيرا ما ترسم شخصك، وتكتب اسمك ؛ ربما لإغاظتي قالت : لن يموت حبي له ، ولن أحبك أبدا يا غريب !

إضافة

تعجبت من لقاء زينب بك ، وإنك تؤيد زواجها من ذلك الكاتب المغمور ، وعرفت أنه صديقك .. نعم ، هي بحاجة لرجل كما تقول هند .. وأنا قلت لها : الزواج لابد منه ..ورجل كهذا قد يكون مناسبا ؛ لأنك لا تلدين .. وهند تسعى لمصلحتك .. الزوج يحب الذرية ولا إمكانية للذرية عندك فهذا مناسب ..واعلم أن البنات يحببنك يا سيف ، رغم أنهن بناتي ، ومتعاطفات معك من أجل أمهن .. وهذه هي الأقدار ، وداعا.



الغضب

كان سيف أثناء القراءة يتألم ، ويتمزق ضيقا ،ويحدق في السقف تارة ، ويتمتم من القهر والغيظ ، فلما انتهت القراءة خيم الصمت القاتل على القاعة لعدة دقائق قبل أن يقول سيف بغضب وحقد : يا له من وغد كبير ! لم يخطر في بالي يوما بأنه المجرم اللعين !

وبعد صمت ونفس عميق تابع : هذه هي الأخلاق التي تعلمها من معاشرة الأجانب .. الغاية تبرر الوسيلة.. الميكافيلية .. أخلاق الإباحية الاختلاط السفور التعري ..

قال ادريس : حدثت أن رجلا شرقيا أخذ زوجته إلى مسبح مختلط ، وشاهد رجلا يحدق النظر في زوجته شبه العارية فاحتج عليه صارخا : لماذا تنظر إلى امرأتي ؟ أرأيت السخف ؟! فالدكتور خالد ـ رحمه الله ـ تعلم مع الشهادة التقاليد والعادات الغربية .. ولا أعتقد أنه كان مصليا عابدا ، هذا عندهم من الرجعية والتخلف .. تحملني يا سيف ! ومثله غريب .. والإسلام حذّر من الخلوة بالمرأة الأجنبية ، لو كان هذا معروفا في بيت الدكتور خالد ما خلت بغريب .. وما صورها ؟ولا تعرت أمامه بثياب الرياضة .. هو لو خشية الافتضاح من الاغتصاب لنال منها ..كان يشتهيها بعنف وقوة .. فلم يتحمل ويطيق اللعين أن يفشل زواجه منها .. هناك كما نعلم ونرى في الأفلام والمجلات يعيش الرجل والمرأة كزوجات بدون رباط مقدس ، بدون زواج .. وفي نفس الوقت قد يكون للرجل عشيقات خارج بيت الصداقة .. ولها هي الأخرى عشاق .. المهم عندهم الرضا .. وهذا لم يكن في بلادنا في تلك الأيام .. اليوم اخترعوا لنا الزواج العرفي والسياحي وأسماء كثيرة .. والجنس عندما يسيطر على إنسان يصبح الانفكاك منه صعبا .. يعيشان معا حتى يملوا حدثت أن أحدهم عقد عرفيا على أكثر من عشر فتيات .. أهذا زواج ؟ أهذا تعدد ؟

ـ إنه فجور وزنا. .سرقها مني بخسة ونذالة!

ـ صحيح سرقها منك بخسة ونذالة !.. أنت تسرعت بالطلاق ، ذهبت إلى أنها فعلت ذلك بإرادتها .. وأنت معذور بهذا الاحتمال! يصعب عليك أن تصدق أن امرأة تتعرى للكاميرا

بدون رغبتها .. الرجل كما يعترف كان يعرف نفسيتك .. وذلك من كثرة حديثها عنك ، ويعرف الكثير عن مراد منها أيضا .. واعتبرت أنت الصورة نهاية المطاف .. وكلام مراد الخبيث جعلك تعتقد أنها فاجرة بنت هوى .. والماضي لا يعود .. وهي ماتت، وهو مات.

تنهد سيف وقال بجنون : الذكريات يا صديقي لا تموت!

ـ ألست أنت الذي نزلت المقهى لتبحث عن الحقيقة ؟ فالرجل أراحك من البحث مع أننا بحثنا حتى حفيت أقدامنا .. البنات كيف سيستقبلن هذه الفظاعة والنذالة؟!

ـ أناني ! يا له من وغد حقير! يريدني أن أسامحه .. هذا لا يمكن ..حرمني من لذة الدنيا وشهوتها.

ـ الغضب بعد فوات الأوان لا ينفع .. يضر بصحتك وقلبك .. نحن ارتحنا حقيقة من هذه المعلومات .. عرفنا كيف صورت ؟ وأين ومتى ؟ السيطرة على دماغها ، وصورت في ساحة أو فناء في القصر .. وأنت ساحمت نبيلة ، وهي ضحية مثلك .. أما غريب فدع مسامحته للأيام فهو لم ينظر إلى عظم الجرم المقدم عليه .. المهم شهوته وانتقامه من أناس لم يسيئوا إليه ، والذي ساعد على نجاح الجريمة دور الخبيث مراد الذي كان عاشقا لها.. اللعين جعل من نفسه شهما أمام الدكتور خالد وابن العائلة

عاد الهدوء للمكان بعد التنفيس ، ثم همس سيف : هناك رسالة أخرى كما يقول المحامي .

ـ أعتقد ما أشار إليه غريب التعويض المالي.

ـ يريد أن يعوضني عن تلك السنين بالمال .

ـ هذا هو الفكر الأوربي .. الضرر يعوض بالمال .. ولهذا اخترعوا شركات التأمين.

ـ لن أقبله لست بحاجة لماله .. والأذى النفسي والشخصي الذي لحق بي لا يعوّضه مليون دينار أو دولار !

ـ هو جعل لك الخيارات في الاستفادة منه أو التصدق به أو إهداءه لأي شخص .

ـ أتقبله يا إدريس ؟

ـ هذا إحراج كبير لي! أنا صحيح بالنسبة إليكم فقير ؛ لكنني أملك بيتا ـ والملك لله وحده ـ ولي راتب تقاعدي أصرفه كل شهر .. والعدل أن أي إنسان يتعرض لضرر أن يعوض .. وشرعا هذا حلال يا سيف .. فالتعويض عن الضرر قانون عالمي .. فالمال من حقك .. فالرجل يرى أن ذاك كفارة وتعويضا .. ليس أمامه إلا فعل ذلك ما دام قد أقر بجرمه وأذاه .

ـ سأعطيك إياه تتصرف به كيف تشاء؟! فهذا لا يمكن أن يعوض ثلاثين سنة راحت من العمر ومن العذاب .

ـ أنت أخطأت .. لا تتضايق من صراحتي ،كان عليك أن تتزوج ، ولا يقف بك الزمن عند نبيلة ، واليوم تستطيع أيضا أن تتزوج .. وأنا مستعد للمباشرة في تحقيق ذلك .. أنت ابن خمس وخمسين سنة .. وأنا أعرف أناسا أكبر منا ، وتزوجوا وولد لهم .

ـ أنا مثلك ..طبيعتي أعتقد أنها ماتت .

ـ أنا لن أزوجك فتاة صغيرة .. لو تزوجت أنثى فوق الثلاثين قد تلد لك .. أرجوك أن تفكر بالزواج جيدا وجديا .

ـ أنا فكرت بذلك طول السنين الماضيات ، وتبين لي عدم القدرة على الحياة الزوجية .

ـ ما أنا مثلك رميت الزواج وراء ظهري ، ثم غيرت رأيي ووافقت على الزواج من ابنة غريب أترضاها لي بعد هذه الرسالة ؟!

ـ لا دخل لها يا صديقي في جرائم أبيها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى ، أجرم والدها بحقي قبل أن ترى النور .. ولا أقول ذلك مجاملة لصداقتنا

قال إدريس مسرورا ومشجعا : أحسنت يا سيف ! الماضي لن يعود ، ولا يرجع بعد الموت .. أتمنى أن أراك متفائلا يا سيف ومتأهلا بزوجة صالحة مناسبة!

ـ الزواج بعد هذا العمر!

ـ افرض أنك ترملت مثلي .. ألا تتزوج ؟ أنا هجرت الزواج ؛ لأنني لا أنجب .. المرأة حياة الرجل ..علينا أن نعيد حياتنا الزوجية.. نبيلة ـ رحمها الله ـ كانت تريد لك الزواج .. عليك

أن تنساها كزوجة وخائنة.. لقد ثبتت براءتها قطعيا يا سيف ..وأنها ضحية مثلك.

ـ والمال!

ـ هو لك يا سيف .

ـ لا أستطيع قبوله البتة .. الأمر شديد على النفس ..سأعطيك إياه تتصرف فيه كيف تشاء ؟ فلو أعدته لزينب وهند وخالد لا يقبلونه ما دام الوالد تنازل عنه.

ـ وأنا أقول ذلك، لابد أنه حذف من الميراث، وأخرجه قبل موته ، وهم لا يعرفون به ، لم تذكره هند في أي حديث جرى بيننا .. وأنا أفضل ألا يعرفوا بقصة هذه الرسالة أو ما فيها يا سيف .. ليس لأنني ربما أتزوج زينب كما تشير هند ، فقد لا يحصل الزواج .. أنا أتصور ـ رغم إنكار غريب ـ أن نبيلة عرفت كيف صورت ودمرت ؟ ولكنها لم تخبر أحدا بذلك ؛ لذلك طلبت منك العودة للمقهى ، وتفكر بالبائع لتلك الصورة بعد ثلاثين عاما ؛ لكنك لا تعرف شخص غريب لتتذكر شكله ، ولو لم يكن متنكرا .. هو ذكي ، فغطى عينيه بنظارة ؛ لأن العيون كان من الصعب تغيرها .

ـ إذا قبلت المال يا إدريس سألتزم الصمت بقية العمر .

ـ وتتزوج!

ـ سأفكر من جديد

ـ صدق سأبحث لك عن عروس من أهل الدين والتدين ، تتابع معك المسيرة ، وتعوضك عن تلك السنين .

ـ آه ! لو كان لي صديقك مثلك تلك السنوات الماضيات.

ـ هذا تقدير العزيز الحكيم .. أرأيت كيف كانت البداية ؟!

ـ أضحك من نفسي لما أتذكر تلك المطاردات ..وأقول لماذا فعلنا ذلك ؟!

ـ طبيعتك النفسية القلق والخوف.. وها نحن أصدقاء وأخوة !

ـ أنت عملاق في نظري يا إدريس! أنت رائع جدا ! كان عليّ أن أكون أقوى مما أنا عليه ؛

لكني أعترف أنني ضعيف ومهزوز ، وأضعف أمام العقبات والصعوبات ، وأصاب بالحيرة والتردد .

لما استوعب الرجلان الرسالة ، وانتهى التعليق على مضمونها وعرف من أفسد زواج سيف ، وما ترتب على حياته من نتائج على هذه الحقائق، قاموا لصلاة العشاء جماعة في البيت ، وكان سيف قد طلب عشاء من أحد مطاعم الحي ، وبعد العشاء قال إدريس : اللحظة يمكننا أن نقول القضية انتهت !

ـ وأنت عليك أن تكتبها كرواية بأسماء مستعارة كما تحدثنا قديما في ذلك

ـ بهذا سأضطر لكشف دور غريب

ـ لا يعرف دور غريب إلا أنا وأنت وإياد الذي سيعرف مثلنا .

ـ وبنات غريب ونبيلة .

ـ تستطيع أن تكتبها بذكائك ؛ بحيث لا يعرفن أن المرتكب للتصوير والدهنّ .. أنا متأكد أنك ستفعل ذلك .

ـ عليّ أن أفعل ذلك .. سنخترع لها زوجا آخر .

وقضيا يتحدثان حتى منتصف الليل ، واستأذن إدريس بالانصراف ،

ورفض المبيت عند صديقه ، وقال سيف : سأوصلك .

فحاول إدريس منعه من ذلك ؛ ولكنه حلف، وقال سيف: يلزمك سيارة

ـ الآن لا تلزم ، وإذا تزوجت زينب سيكون معي سيارة مثلها .. لقد قال والدها عني الكاتب المغمور، ويبارك زواجي منها .

ـ صدق أنها مناسبة لك .. وأنا تشجعت للزواج من حسن كلامك .. وإنني لن أنسى الماضي والجرح إذا لم أتزوج .. فزواجك مناسب منها .. أنا لا أعرفها إلا معرفة سطحية .. ولولا أنها ابنة نبيلة المظلومة مثلي ؛ لقلت لك إنساها أخشى أن تكون بنت أبيها .

ـ إنها تصلي يا سيف!

ـ عجيب فعلا من يصلي في حيينا ! الصف في الجامع كثيرا لا يمتلئ.

لما ترك إدريس أمام منزله ، ورجع للبيت قرأ الرسالة مرة أخرى ، وعلق على نسيان القصة : هل أستطيع ذلك ؟ فلن يرجع شيء مات .. انتهت نبيلة اليوم من حياتي .. غفر الله لها .. وعسى أن أغفر لزوجها.. أنا أتحمل ذنب نفسي .

ووضع الرسالة حيث وضع رسالة نبيلة التي بدأت بها قصتنا هذه ، وحمد الله أنها كانت سبب تعرفه على إدريس وإياد الرجل الطيب .

وظل مستيقظا حتى صلاة الفجر ، وانطلق للجامع وصلاها جماعة مع المصلين ، ثم عاد ورقد في فراشه يفكر في حياته حتى غفي ونام ، واستيقظ في العاشرة نهارا فتناول الإفطار الذي أعدته الخادمة الآسيوية ، وشرب الشاي والقهوة ، وتجهز لصلاة الظهر ، وبينما هو ينتظر ارتفاع الآذان قال : ولماذا لا أتزوج ؟! الطبيب قديما قال: إنني أستطيع الزواج ، ومشاكل القلب لن تعيق الحياة الزوجية ؛ ولكنها لن تكون كحياة الأصحاء .. بقليل من العناية تنجح الحياة الزوجية .. إدريس الصديق العزيز وعد أن يجد لي الزوجة الصالحة والمناسبة.. نعم ، عليّ نسيان نبيلة والماضي .. نعم ، خدعت ومكر بي وظلمت ، ولم اصغ لتوسلاتها بنسيان تلك الصورة .. ولم أصدق أنها لا تعرف كيف صورت ؟.. رحمك الله يا نبيلة !كنت أشجع مني ..ليتني أصغيت لعقلك ورجائك .. أوهمني اللعين مراد أنك امرأة زانية فاجرة .. وأنك أحببتني لتغطي على دعارتك .. يا لي من غر ! صدقت نصحه .. وأنا أعلم مطاردته لك منذ التقينا في الكلية .. تزوج يا سيف؛ لعلك تصبح أبا ، ولديك طفل تقر به عينك.. يصبح ما أملك من مال وعقار له .. هذه الفيلا تكون له ولزوجتي .. كيف ستكون هذه الزوجة ؟ ظل يفكر بحياة جديدة حتى سمع النداء الشرعي ، فلبى النداء فسار إليه مشيا على الأقدام كما يفعل عند صلاة الفجر ، ولا يذهب بالسيارة إلا في أيام المطر ، وعندما لا يريد العودة للبيت بعد الصلاة .. وبينما هو يتقدم نحو المسجد توقفت سيارة قريبا منه ، وسمع صوتا نسائيا

يهتف باسمه ، فتوقف ونظر فإذا هي الدكتورة هند ، وحيته بالسلام.

ـ كيف حال الدكتورة ؟

ـ بخير .. وأنت .

ـ وأنا مثلك .. أهلا وسهلا.

ـ إلى أين ؟ اركب لتوصيلك .

فأشار للجامع ، وقال: إلى هذا .

ـ نسيت ! كيف الصلاة؟

ـ هي حياة يا دكتورة ! الصلاة حياة المسلم .. عليك بالصلاة يا دكتورة!

ـ صدق دائما أعد نفسي بذلك ؛ لعلي أصلي .. شكرًا على وقوفك معي.

ـ لا حرج يا سيدتي ! وسلمي على شقيقك وشقيقتك.

ـ سلمك الله .. صلاة مقبولة يا مهندس سيف!

ـ أراك بخير . وأشار مودعا.

ولما ابتعدت تابع مشيه إلى الجامع ، وصلى الظهر ، ورجع للبيت يخطط لنشاط اليوم ، وجلس يشرب النسكافيه ، رن الهاتف ، وكان المتحدث إدريس، وطلب اللقاء عصرا في المقهى الذهبي ، وطلب منه أن يأتي بسيارة أجرة ليعفيه من توصيله ليلا .. وقبل العصر غادر سيف الفيلا بسيارة أجرة لمركز المدينة ، وبعدما صلى العصر في مسجد سيدي سعيد سار إلى مقهى الكوكب الذهبي ، ووجد إدريس وإيادا في انتظاره ، وتعانق معهما .. ولما جلس وانتهى الترحيب والسلام ، قال إدريس : قضيت ساعتين في المكتبة العامة ،وأحضرت إيادا ، وحدثته عما جاء في رسالة السيد غريب ، وأعلنت انتهاء القضية ، وسأشرع بإذن الله بتحويلها لرواية اجتماعية ، وحدثته عن السعي لتزويجك بعد أن ثبت أن ليست للمرحومة يد في العقدة التي حلت بك من النساء ، ولازمتك طيلة هذه السنوات ، والنساء كالرجال في الطيبة وفي الخباثة.

قال إياد : نعم ، يا مهندس سيف الغالي! عليك أن تعيش التجربة والحياة الزوجية.

قال سيف بمسحة حزن : هذا ما يشغل فكري من مساء أمس من كلام إدريس المرشد الحقيقي لي .. وطبيبي قال منذ عهد :إنني يمكنني الزواج كسائر الخلق ، والتكيف مع مشاكل القلب ؛ لكن عليك المعاشرة بتعقل ، ليس كشاب صغير السن .

صاح إدريس جذلا : رائع رائع يا صديقنا الكريم!! أنا وإياد سنهتم بالموضوع والبحث .. إياد يا حبيبي العروس متدينة ، فوق الثلاثين ودون الأربعين ، على أمل أن تلد للمهندس إذا قدر الله ذلك .

قال إياد : البنات كثيرات هذه الأيام .. أيريدها طالبة جامعة ، عاملة أم غير عاملة أم ثانوية عامة ؟

قال إدريس : المهندس في رأيي يحتاج إلى امرأة بيت ، وعانس فاتها قطار الزواج ، وذات الدين يا إياد .. اظفر بذات الدين .. هو لا يستطيع نكاح ابنة عشرين .

قال سيف: هذا موضوع لا يناقش هنا في مقهى.

ضحك إدريس وقال: لا تهتم لنظرات الناس؛ ربما سمع أحدهم وعنده عروس .

قال إياد : لو كانت أرملة أو مطلقة !

قال سيف: هو الأفضل بالنسبة لي .. فتاة بسيطة تحب الستر والحياة الهادئة.

قال إدريس : أنت حدثتني يا اياد مرة عن قريبة لك ، قبل خمس ست سنوات.. نسيت اسمها

حك إياد رأسه ،وقال : فاطمة السيد! ..فاطمة هذه سيدة ترملت يا سيف .. أعتقد أنها تزوجت يا إدريس تزوجها قريب لنا.. اليوم أولادها شباب ، قد يكون أحدهم في الجامعة.

قال سيف: ترملت على أولاد .. ستر الله عليها.

ـ طفلان .. أنت لا تريدها موظفة.

ـ لا ، لا .. أريدها ربة بيت.. الخير موجود ، ولست بحاجة لمالها وعملها

قال إياد بثقة : سنجدها ..أيام فقط.

قال إدريس : هل اتصل بك حضرة المحامي ؟

ـ لم يتصل .. هو قال بعد بضعة أيام ؛ كأن قراءة الرسالة ستستغرق شهرا

ـ ربما ينفذ تعليمات غريب ..وإنك ستتعرض لصدمة و و ..

ـ شيء لا يصدق يا إياد !.. يغدر بقريبته ؛ لأنها رفضت الاقتران به .. ويزعم أن والدها كأب للعائلة .. اليوم ظهرا قابلت هندا .

قال إياد : ابنة غريب!

ـ نعم ، كنت سائرا لصلاة الظهر في الجامع ، أوقفتني وتحدثنا ، وشجعتها على الصلاة ، وأرسلت معها سلام لخالد وزينب .. لا أدري لماذا يتلكؤون في أمر زواجها ؟! فليحسموا أمرهم ويقولون نعم أو لا .

قال إدريس : لكني غير مهتم يا صديقي.. الزواج عندي أمر ثانوي ، لم أتركه بسبب عقدة النساء مثلك .. تركته لعقدة الحمل والولادة .. عجزي عن التلقيح .. وأيامنا لم يكن التلقيح الصناعي للبشر منتشرا ومعروفا .. دعوا الأمور تسير على مهلها ، وإذا لنا نصيب بالزواج نتزوج .. ولا تنسوا أن والدها رحب بالزواج من الكاتب المغمور .

بعد صلاة المغرب تناولوا الطعام في مطعم الذكريات ـ المطعم المقابل لساحة مسجد سيدي سعيد ـ ثم تفرقوا إلى بيوتهم ، ولما دخل سيف المنزل أخبرته الخادمة أن شقيقته أم فراس في انتظاره ، فحياها ورحب بها ، ثم دخل غرفة النوم ، وتخفف من البذلة .. فسيف يحب عند الخروج من البيت ارتداء البذلة ، وقد اعتاد على ذلك .. وكان مستغربا لزيارتها ، ومتوقعا لمشكلة ما .. وكان قد صلى العشاء قبل العودة ، وعرض على أخته العشاء ، فذكرت له أنها تعشت مع أبي فراس زوجها .. رحب بها من جديد ، وقدمت لهما الخادمة الشاي بالنعناع وقال: أهلا بأم فراس ، لابد أن هناك أمرا مهما ؛ لتنتظرني أم فراس .

قالت : نعم ، الأمر مهم وخطير في رأيي

لم يتكلم سيف ، تابعت : ابنتي هيام تريد الطلاق .

ردد قائلا : هيام تريد الطلاق لماذا؟!

ـ وجدت في بيتها عاهرة ! وجدت مع زوجها عاهرة!

ـ وهي لا تعرف أن زوجها عاهر! شاب يعشق الزنا والفجور ومعروف بذلك .

ـ تعرف .

ـ ما دامت تعرف .. عليها التحمل والصبر .

ـ كانت في العمل كما تعلم ، أحست بتعب فعادت للبيت معتقدة أن البيت فارغ ، معتقدة أن فريدا في البنك ، فلم تضغط على الجرس، استخدمت المفتاح ؛ لعلمها بأن اليوم عطلة الشغالة ، وستعود في الليل، فتحت ودخلت ، فسمعت صوتا في حجرة النوم ، فاستغربت أو توقعت ، فدفعت الباب ودخلت ؛ لترى فتاة عارية تنام على سريرها ، وزوجها يتفرج عليها جالسا على كرسي في غرفة النوم فصاحت غضبا وثورة ، فاعتذر لها عن الموقف ..فقالت كما قلت : أنا أعلم كما يعلم الكثير أنك فاجر وزاني ، وغررت بي عند الزواج؛ لكن أن يصل الأمر إلى حجرة نومي وكرامتي فهذه الوقاحة بعينها.. ليس أمامنا إلا القاضي ..وطردت البنت .. وتقبل فريد الطلاق .. وتركت بيت الزوجية .. وها هي عندنا في البيت .. تحدثت معي أم فريد .. وتحدث والده مع أبي فراس لتسير المركب .. ولكن هيام تصر على الطلاق .. وجئت إليك ؛ لتتحدث معها.. فهيام تعز خالها سيفا.

ـ هيام طيبة ؛ ولكنها لم تحسن الاختيار .. الشاب كان معروفا بأنه نذل وحقير .. وهي حدثتني أن الرجل لا يمل من الخمر والزنا ؛ لذلك تتعجب كيف قبلته وتزوجته ؟!ومن أجل ذلك هي لا تريد الإنجاب منه.. وتأخذ موانع الحمل .. كانت تأمل بزواجه أن يصبح إنسانا متحملا للمسؤولية كما كان يعد .. وأنها المرأة الوحيدة في حياته والمخلص لها .. ماذا تريدين مني؟

ـ لا داعي للطلاق .. يتعهد أن لا يكررها في البيت .

ـ الفاسد من الصعب تحرره من فساده ..سمعت مرة من هيام أنه كاد يعتدي على أخته ، وهو في حالة سكر ذات ليلة .. لتبق عندكم بضعة أيام حتى نفكر بروية وتأن ..وسأتحدث معها ،

وأرى وجهة نظرها بالحياة معه .. لها خمس سنوات متزوجة .

ـ أربعة يا سيف! أنا قلت لها لو تلدين منه طفلا ؛ ربما تغير .. فالأبوة لها مذاق خاص عند الرجال .. فتقول : ألم يربط بيننا ميثاق الحب ؟وهو أقوى رابط ، إذا كان الحب سليما وصادقا فهل يربطه طفل يا أمي ؟ أرجوك يا سيف أن تقنعها بنسيان الطلاق .. الطلاق ليس الحل .. الصبر عليه هو الحل .

ـ الصبر هو الحل .. سأسمع منها ..أنا تكلمت معه مرة ، فقال: يا سيف أنت لا تعرف النسوان ، فعد لمحرابك .



بعد العاشرة صباحا اتصل المحامي بسيف وقال : كما ذكرت لك تلك الأمسية أن السيد غريبا ترك لك رسالة أخرى .. متى أمر عليك ؟

ـ المناسب لك يا سيدي!

ـ الآن أنت في البيت حسب الهاتف .

ـ نعم ، أنا في البيت ، وأتكلم معك منه .

ـ لا تخرج حتى أمر عليك .

ـ حسنا! أنا في انتظارك يا سيدي المحامي .

تناول فطوره ؛لأنه عندما يسهر للصبح ينام بعد الصلاة ، وانتهى من فطوره، وجلس في مكتبه يشرب القهوة ، ولما أدخلت الخادمة المحامي لصالة الجلوس خرج محييا ومستقبلا ، وطلب القهوة له وللمحامي ، وعرض عليه الإفطار فضحك المحامي ، وقال : بعد قليل يا سيدي سأتغدى .. كيف حال المهندس سيف ؟ أنت لم تكن من أصدقاء المرحوم

ـ ولا عمري رأيته ؛ ربما اجتمعنا في مناسبة في الحي ..ولا أعرفه شخصيا .. لست من

أصدقائه ؛ ولكن طليقتي كانت زوجته .

قال المحامي دهشة : آ ! الرجل الذي تزوجها ، وطلقها في شهر العسل !

ـ نعم ، طلقتها في شهر الزواج الأول .

قال الرجل بحيرة : عجيب! لقد ترك شيكا على أن أسلمه لك بعد قراءة الرسالة الخاصة !

ـ شيك.. هو أشار إليه في تلك الرسالة يا سيدي الكريم .

تناول سيف الرسالة من يد المحامي ، كانت رسالة مغلفة ، وأخرج المحامي من حقيبته الشيك وقدمه لسيف قائلا: أليس هناك قصة ؟!

ـ نعم ، هناك قصة كبيرة لا تنسى .. إننا نحن سكان حي واحد .

ـ الرجل كان غنيا وثريا كبيرا ، يملك الملايين يا مهندس سيف! ألا تريد أن تقرأ الشيك وتعرف قيمته ؟

تطلع سيف على المبلغ الموجود في الشيك ، وكان ثلاثمائة وعشرين ألف دولار أمريكي .. ثلث مليون ..فقال : كل هذا لي!

ـ نعم ، أليس اسمك المكتوب على الشيك سيف الدين حاكم آل وردة ؟!

ـ نعم، هذا اسمي .. حرم الورثة من هذا المبلغ من أجلي!

ـ قلت لك ماله كثير .. وليس له إلا ذكر وابنتان وأمه حية ؛ لكن هل يمكنني أن أعرف لماذا أعطاك كل هذه المبلغ قبل موته بزمن يسير ؟!

فكر سيف لحظات قبل أن يقول : لأنه تزوج امرأتي ، زعم حبها فطلقتها لأجله .. وهو يعوضني عن كل سنة بعشرة آلاف دولار .

ـ أحب زوجتك نبيلة خالد وطلقتها ليتزوجها!

ـ هذا ما حصل .. فأحس أنه ظلمني ، فأراد أن يدفع لي تعويضا عما ألحقه بي من أذى .

ـ هناك حكاية كبيرة!!

ـ نعم ، هناك حكاية كبيرة .. هل تريد أن أوقع لك على إيصال ؟

ـ ليس ضروريا ، فلن تطير.. المهم أنك استلمت الشيك ، وتستطيع صرفه في أي وقت تشاء ؛ لأننا أودعنا المال هذا باسمك قبل إظهار هذا الشيك .

ـ ما ذكرته صحيح يا أستاذ .

ـ أنا أصدقك ؛ لأني لا أعرف بينكم أي اتصال .. وأنا أتعامل معه من أكثر من عشر سنوات يا حضرة المهندس !

ـ على كل سيقوم كاتب بكتابة قصتي مع نبيلة وغريب ؛ فإذا صدرت سأدفع إليك بنسخة .. واعلم يا حضرة المحامي أنني ـ بفضل الله ـ أملك الكثير ..ولست بحاجة لماله .. ولا طلبت منه مالا .. ولم ألتقه شخصيا في يوم ما .. وإن كنت أسمع باسمه من زوجتي نبيلة قبل طلاقنا يبدو أنه ندم على ما جناه عليّ ، وتسببه في طلاقنا ، فأراد أن يعوض ذلك مالا .. وهو لا يغني عن الماضي الأليم شيئا .. وسأهبه لصديق عزيز عليّ .. فهو أحق به مني.

ـ عجيب أمرك يا مهندس سيف !ستهب كل المبلغ لصديق .

ـ نعم ، وهذا الذي دفعني لقبول الشيك .

خرج المحامي من بيت سيف مذهولا من إهداء هذا المبلغ إذا صدق لصديق ، وحتى تخلي غريب عن هذا المبلغ لعجيب ؛ لكنها الدنيا .. تصافح الرجلان أمام بوابة الفيلا ، وقال المحامي : لا تنسى إرسال نسخة من القصة التي ستكتبها .. ونحن على استعداد تام لتقديم أي خدمة لك يا مهندس سيف .. وتركت لك بطاقة عن هواتفنا ومكتبنا .. شكرًا على الاستقبال والقهوة .

ـ العفو يا سيدي .. وجزاك الله خيرا!

مشت السيارة بعد تحية باليد ، ودخل سيف الفيلا وهو يردد كل سنة بعشرة آلاف دولار .. نعم الفكر البراغماتي .. المال عن سنوات العزوبية .. العمر لا يعوض بالمال ؛ إنما هو مواساة ، كما ندفع الدية في الدهس والقتل لأهل الميت .. الميت لا يعود .. ستصبح يا صديقي يا إدريس من الأثرياء .. وإذا تزوجت زينب ستصبح مليونيرا .. سبحان ربي .. يعطي من يشاء بغير

حساب !

قرأ الرسالة ، وكلها أسف واعتذارات ، وبين مرة أخرى أنه يحب أن تتزوج ابنته زينب من صاحبه الصحفي المغمور.

ولما كان إدريس يدخل مدخل البناية بعد صلاة العشاء في جامع حي الشاعر ، وجد سيفا أمام الشقة منتظرا ، فتعانق الصديقان ، وخرجا للعشاء في أحد مطاعم الحي، ثم رجعا للبيت ، واستأذن سيف للصلاة ، وأخذ إدريس يعد أغراض الضيافة من الشاي والمكسرات والفواكه وقرأ إدريس رسالة غريب .. وعلق لنفسه: الرجل يحبني دون أن يعرفني ! .. إنه يشجع سيفا على تزويجي من ابنته .. وقال الصحفي المغمور .. أنا هاو لست صحفيا بمعنى الكلمة .. وقال لسيف : ما دام والدها مباركا لزواجها مني لماذا لم تحسم الأمر ؟! هناك عائق مجهول يا سيف !

ـ لا أدري ! هند لم تذكر لي شيئا لما التقينا قدام المسجد .. ولكنها أكدت أن الزواج قائم .. وزينب بعد لقاء الصيدلية لم التقِ بها .. تحدثت معي على الهاتف سعيا للقاء أبيها .. واعتذرت وخالد لا حس لها في القضية .. ولما قابلني بموضوع الوالد لم يذكر زينب وزواجها.. الظرف كان غير مناسب .

أخرج سيف الشيك وقال وهو يمد يده به لإدريس : هذا الشيك لك كما اتفقنا ! وإذا رفضته سأعيده للورثة .

اطلع إدريس على الشيك وهتف دهشة : ويحك ! كل هذا لي .. غير معقول يا سيف! هو أعطاك إياه !

ـ وأنا لولا دعوتك لي بقبوله ما قبلته ، ولمزقته في وجه المحامي .. واعلم أن الرجل دفع عن كل سنة عشرة آلاف دولار .. والمحامي قال : إن المبلغ بالنسبة لثروة الرجل ضئيل .. فهو يملك الملايين .. له استثمارات في بريطانيا ، شريك مع إخوانه وغيرهم .. والمبلغ موضوع في حساب خاص باسمي .. يعني لا دخل له بالميراث في أي وقت نسحبه .

ـ يا إلهي! أنا أملك هذا المبلغ ، ولا في الأحلام!!

ـ يا سيدي لو تزوجت زينب سيكون هذا المبلغ شيئا بسيطا .. ستملك الملايين كما فهمت من المحامي .

ـ ذاك لها يا سيف!

ـ هل ستبخل عليك ؟! صحيح أن المرأة لها شخصية مالية مستقلة ؛ لكنهما وجهان لعملة واحدة .

ـ أخشى أن يكون هذا الشيك حاجزا بين زواجنا.

ـ ليس بالضرورة أن تعرف كما اتفقنا .. اتفقنا أن لا نكشف سر الوالد للبنات وخالد .

ـ والبنك ألا يخبرهم بسحب المبلغ ؟

قال المحامي : إن الرجل وضعه في حساب باسمي أنا ، وليس له دخل بالميراث الذي لم يقسم كما أخبر المحامي ؛ لأنه سيتم حصر ثروة الرجل .. وهذا يستغرق وقتا .. سنذهب إلى البنك ونسحبه ونحوله إلى اسمك بالتنسيق مع حضرة المحامي ، حتى يسهل البنك تحويل الحساب لي شخصيا .. واعلم يا صديقي ؛ بل أعز إنسان عرفته في حياتي إنني كتبت لك وصية وستعرفها بعد موتي .. أنت أخ عزيز يا إدريس ! أخ تمنيت أني لو التقيت به قديما ؛ لكن كل شيء بقدر ..أنت حببت لي الحياة ، وجعلتني أعود إليها .. هما أحلى عامين في حياتي ..أنت كنز حقيقي يا إدريس !

ـ عجيب أمر الدنيا! أنا عملت أكثر من عشرين سنة موظفا ، ولم يجتمع لي مثل هذا المبلغ .. وفي ساعة من العمر أملك هذه الثروة ! سأصير ثريا مثلكم يا سيف؟!

ضحك سيف وقال : أنا ولدت ثريا ، لم أصعد السلم درجة درجة .. كان والدي من أكبر التجار في البلد .. وكانت أمي تملك ثروة كبيرة ورثتها عن والديها .. وها أنت في لحظة تصبح ثريا مثلنا .

ـ لو لم تقبل المبلغ ماذا كان سيفعل به المحامي ؟

ـ سألته هذا .. فأجاب سيذهب للجمعيات ، وبعض النوادي التي يدعمها ، لن يعود للورثة

ـ حسنا ! عندما أعمل الرواية يجب أن تكون طباعتها من هذا المبلغ أقسم على ذلك .

ضحك سيف وقال : حسنا ! لا بأس .. فقط طبعتها الأولى .. أنا كما تعلم ألفت بعض الكتب في الهندسة للمصانع وبعض المعاهد.

ضحك إدريس بدوره وقال : حسنا ! لا بأس الطبعة الأولى فقط .. عندما تتزوج سأبدأ بكتابتها ؛ ليفرح القارئ بختمها بزواج البطل ، كما هي العادة في الكثير من الروايات .

استشار سيف إدريس بقضية هيام ابنة شقيقته أم فراس.

ـ هل جلست مع الفتاة ؟

ـ لا ؛ إنما كلمتها بالهاتف، وروت الموقف ، وهي تبكي ، وذكرت أنها اضطرت للذهاب للعيادة مرتين ، ولم تعد لها رغبة للحياة الزوجية .. أنا كما تعلم لا أتدخل بمشاكل وقضايا العائلة .. فبعضهم يعتبرني مجنونا ، ولا أعرف الدنيا ، ولا مشاكلها ؛ بل يشيعون اليوم أنني على وشك الموت ؛ لذلك صرت أصلي وأعتمر .. ولذلك يتزوجون يطلقون دون أي تدخل مني ؛ لكن شقيقتي أم فراس ترى أن هيام تُكن لي بعض الاحترام .. وتزورني بين الفينة والأخرى ، فظنت أنني قد أستطيع منعها من الطلاق ..واعلم أن هيام تزوجت عن قصة حب للرجل .. إعجاب في حفلة أو سهرة ، ثم لقاء خاص ، وفترة حب ، ثم إعلان الزواج .. وهي كانت تعلم أن له علاقات جنسية مع أخريات قبل الزواج .. كانت ترى أنها ستذهب مع الزواج والبيت ؛ ولكن بعد الزواج أخبرتني أن فجوره زاد وسكره زاد ، ويأخذ منها المصروف .. وأصبحت الشقة مخدع غرام وسكر لأصحابه وصاحباته .

ـ إذا أصرت على الطلاق بعد حين من العاصفة فلتطلق .. هذا الزوج لا يتاجر به .. وهي كما قلت تخشى الحمل منه ؛ لفساده ، وأن الطلاق مصير حياتهم .. وأين ستعيش إذا طلقت ؟

ـ ستعيش في بيت والدها .. والدها مدير بنك ؛ ولكنها ستعاني .. فهم يحبون أن تبقى المرأة متزوجة ، ولو فعل زوجها كل الأفاعيل السيئة .

العروس

استطاع إياد إيجاد بضع عرائس مناسبات لسيف ، وواحدة عن طريق إدريس ، فقال إدريس : سنبدأ جولة أولية على عرائس إياد .. طبعا لن تذهب نساء كعادة العائلات هنا .. سنذهب نحن يا سيف .. ندخل على الأسرة ، ونجلس مع الأب أو الأخ ، وتحضر العروس بالقهوة .. فإياد شرح لهم من أنت ؟

قابل سيف ، ورفاقه الأسر الأربع ، ورأى المرشحات للزواج ، وكلهن أبدين الموافقة على الزواج منه رغم كبره ومرضه ، وشاهدوا عروس إدريس، ورشح إدريس واحدة منهن ، وطلب من سيف التركيز عليها ، فهي جامعية معلمة لغة عربية ،ومتدينة ، وعمرها ست وثلاثون عاما ، ومستعدة لترك العمل عند الزواج ، وهي لم تتزوج من قبل .

وقال : البكر أفضل من الثيب من الناحية النفسية يا سيف ! وصحتها جيدة .. وأنا أعرف والدها كما رأيت .. لقد عمل معنا في الصحة ..كان سائق سيارة.. أنا تعجبت لعنوسة ابنته هل من سبب يا إياد ؟!

ـ خطبت أكثر من مرة .. وفسد الزواج .. وهي من ناحية الجسم والسن مقبولة .. فكر فيها يا سيف .. وإذا في بالك غيرها تكلم !

قال إدريس : أنا سأتحدث مع والدها يا سيف ، وأعرف منه سبب تأخر

زواجها ؛ ليطمئن قلب سيف وقلبي يا إياد .. لو مطلقة أو أرملة هناك أسباب أدت للطلاق

تحدث مع والدها ، وبعد مقدمات وأمثلة علم أنها خطبت ثلاث مرات ، وكانت بعد حين ترفض الزواج ، لأنها تكتشف في خطيبها ما لا يعجبها .. وكلما كبرت الفتاة قلّ خطابها ، وأن صحتها جيدة ، وليس لديها أمراض منعتها من الزواج .

فوافق سيف على الاقتران بها ، وذهبوا لمقابلة والدها وإخوتها مرة ثانية ، وتحدث إدريس عن حياة سيف واعتزاله العمل ، وأنه متفرغ للبيت ، وأنه منذ طلق زوجته بعد زواج قصير لم يتزوج مرة ثانية ، ولم يحاول .. اعتزل النساء حتى أقنعه إدريس وإياد بذلك .. وأنه يعاني من

بعض المشاكل القلبية ؛ ولكن الطبيب بين أنه يستطيع الزواج ، والقيام بالمعاشرة الزوجية دون مشاكل تذكر .. فقط عليه المباعدة بين كل معاشرة وأخرى ، وقال لهم : نحن أحببنا أن نتكلم بالمفتوح حتى لا تقولوا غدا ضحكتم علينا وخدعناكم ..هل سمعتم ما قلت ؟ سمعتم الحقائق .. فالرجل ابن خمس وخمسين سنة .. ليس شابا صغيرا .. ولم يعش الحياة الزوجية إلا ثلاثة أسابيع .. ولم يطلق لأسباب صحية ؛ إنما هناك أسباب أخرى لا داعي لذكرها يا أبا محمد .. فكروا بالرجل جيدا .. وغدا بمثل هذا الوقت نسمع الرد .

وعده أبو محمد بالرد ، وغادر الضيوف البيت ، وهم يتبادلون المجاملات والسلامات.

أكمل القوم السهرة في منزل إدريس، وقال إياد : وإذا رفضت البنت عريسنا سننتقل إلى أسرة أبي جمال .

وفي مطلع النهار التالي اتصل أبو محمد بإدريس ، وطلب مقابلته وحده ، فركب إدريس سيارة لبيت أبي محمد ، وقدم له الرجل الشاي ، وقال: البنت يا إدريس قابلة للارتباط بصاحبك سيف ؛ ولكننا لم نفهم مشاكل القلب التي أشرت إليها مساء أمس .. لكن ...

تنهد إدريس وقال بضيق: هذه لكن المشكلة!

ـ ولا مشكلة ، ولا هم يا صديقنا ! البنت فهمت أن الرجل مريض بالقلب ، وقد لا يطول به العمر .. فتريد شقة باسمها .

ـ يا أبا محمد الأعمار بيد الله أولا .. والإنسان كلما كبر سنا ظهرت عليه أمراض معينة ، منها السكري الضغط ضعف البصر والسمع المفاصل هشاشة العظام .. الرجل تزوج زميلة درست معه في الجامعة ، ومن سكان حي بهية ، وقضت معه أقل من شهر ، وطلقت نتيجة مؤامرة خبيثة ، وحرم على نفسه الزواج والنساء .. ولما تعرفت عليه من عامين تقريبا استطعت أنا والأخ إياد أن نغير رأيه نحوهن .. وهو قد تدين من زمن يسير .. وإذا عشنا للعام القادم سنذهب للحج سوية .. والشقة لماذا ؟ لماذا هذا التفكير ؟! خشية الطلاق ..إذا ابنتك محترمة وتخاف الله كما ظهر لنا ستعيش أحسن عيشة .. وستترك الوظيفة .. والرجل يعيش وحيدا مع

خادمة آسيوية في الفيلا .. وهم من سكان حي بهية حي الأثرياء القديم في المدينة .. والأموال كثيرة .. وقد عمل صاحبي مهندسا في مصنع دواء عمل كنائب لمدير المصنع حوالي عشرين سنة .. وأسرته غنية من أجيال .. اسمع يا أبا محمد إذا عاشت ابنتك بعده سترث قصرا ومالا كثيرا يغنيها العمر .. المهم أن لا يحدث الطلاق من طرف ابنتك .. أنا يا عمي أشتري لها شقة

ـ أنت! وما دخلك يا رجل ؟!

ـ الرجل عند كلمته .. أنا هذا الرجل وهب لي مالا كثيرا ؛لأنني ساعدته في قضية.

ـ كلامك غريب يا إدريس ! وهب لك مالا ستعطيه لابنتي!

ـ لتطمئن.

ـ كم وهبك؟

ـ أكتم السر .. ربع مليون.

صاح الرجل دهشا وغير مصدق : ربع مليون دينار !

ـ نعم ، حذار أن تتكلم عن ذلك .. سأكتب عنه كتابا، وأتحدث فيه عن هذه الهبة العظيمة.

ـ هذا شيء لا يصدق!!

ـ بل أخبرني أنه شملني بوصيته .

ـ ماذا فعلت له ؟!

ـ سر كبير ؛ ولكنه سينشر على شكل رواية ؛ كأنها عن شخص آخر .. الشقة عندي يا أبا محمد .. وليبق أمرها سرا .. هي هدية خاصة لكم .. حذار أن يعلم بها أحد .

ـ هذا شيء مذهل!

ـ هذا الفضل من الله! الرجل يأخذ أيضا راتبا تقاعديا من جمعية ونقابة المهندسين .. وهو يتصدق به .. لن تخسر ابنتك بإسعاد هذا الرجل .. والسيارة هدية مني عند الزواج .. نحن رأينا بنات غير ابنتك .. فرأيت الأولى منهن فتاتك .. رأيت أنها سترتاح مع الرجل وتفهمه .. وهو طيب ، وقادر على الحياة الزوجية باعتدال .. ونحن عندنا أمل أن تلد له .. لترث هي

ومن تلده أمواله .. فأخوه وأخواته من أصحاب الأموال والغنى .. وهو انعزالي عنهم .. قليل الاختلاط بهم .. ومحب للبيت .

ـ حقيقة أنك كشفت لي أشياء مذهلة ؛ لولا معرفتي لك من أيام البلدية ما أصدقها ! اسمح لي باستدعاء البنت ؛ لتنقل لها أهم الكلام .

جاءت البنت ، وحيت السيد إدريس، وجلست ، وبعد مجاملات شخصية ، قال والدها: العم إدريس راغب لك الزواج من المهندس سيف .. وهو تعهد لي إذا طلقك الرجل ، وأنت لم تطلبي الطلاق سيقدم لك شقة .. وأقنعني بذلك .. ولا داعي لكشف الأسرار ؛ ولكنها ستصدر في كتاب عن حياة سيف على شكل رواية حماية للأحياء.

وأكد إدريس هذا التعهد ، وقال الأب : ولعل سيفا سيوضح لك الغموض في حياته .. والرجل من الأغنياء ، ومن سكان حي بهية .. وسيقدم لك العم إدريس بهذه المناسبة سيارة كهدية منه . هكذا قال أبوها ، وتابع فقال : هذه فرصة يا بثينة ! لتعشين حياة الأزواج .. والأخ إدريس رجل عند كلامه ..وفعلا يريد لك الخير!

فقالت : ومشاكل القلب التي تحدثتم عنها أمس !

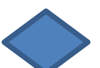
قال إدريس : هو مريض بالقلب ، ولا يعني هذا أنه سيموت غدا أو بعد شهر أو بعد عشر سنوات ..عادة مريض القلب سيكون ضعيفا في الحياة الجنسية إلى حد ما .. ليس مثل شاب صحيح البنية مفتول العضل .. سيف لم يعش الحياة الزوجية .. له أكثر من ثلاثين سنة لم ينام مع امرأة حتى ولو بالحرام .. القلب أثناء المعاشرة الزوجية يتعرض لضغط كبير ، يحتاج لضخ دم بقوة ؛ لذلك من يتعرض لجلطة قلبية ينصح بالبعد عن الجماع عدة شهور .. يعني صاحبنا ليس صغيرا .. والطبيب المتابع لحالته أخبر بأن بإمكانه الحياة الزوجية عدة مرات في الشهر .

قال أبو محمد : فهمت عليك يا إدريس فهمت يا بثينة !

هزت رأسها بالإيجاب ، وقال وهو ينهض : والرجل يطمع يا ابنتي بأن تلدي له .. ونحن قدمناك لسنك المناسبة .. وهناك إمكانية الحمل بإذن الله .. وأنت متدينة .. والرجل تدين من

عهد قريب بسبب صحبتي له وإياد .. وترك الخمر منذ صحبنا .. ولم يكن يشربها كثيرا ؛ لكنه تربى على أنها ماء.

ولما غادر الرجل ، قال الأب لابنته: لم تعودي صغيرة يا ابنتي !وأنا إدريس عشت معه زمانا طويلا أيام العمل ، ولا يمكن أن يخدعنا ؛ بل وضعنا في صورة سليمة للرجل .. فهو ابن خمس وخمسين سنة .. وفي النهاية أنت حرة ولَك الاختيار .



وافقت أسرة أبي محمد على زواج ابنتهم من السيد سيف ، وتخلى سيف عن السرير المفرد ، وجهز غرفة نوم بأثاث جديد ، وخلال أسابيع كان السيد سيف يتزوج من جديد أمام دهشة واستغراب أقاربه وجيرانه .. فأصبح حديث الحي ، وانتقلت بثينة المعلمة إلى الحياة الزوجية في حي بهية ، وقد جرى احتفال متواضع لسيف أشرف عليه إدريس وإياد ، وتقبل سيف هدية إدريس لزوجته السيارة ، وتعجب بعض الأقارب من زواج سيف من فتاة من حي شعبي ؛ ولكنهم تعودوا على غرائب سيف ؛ لذلك الكثير من أقاربه لم يحضروا حفل الزفاف ، ولم يكترث لهم سيف ، وحتى بعض أخواته لم تحضر ، ولم يقبلوا زواجه .

اتصلت هند بمنزل سيف ، وباركت له الزواج ، وتمنت له الخير ؛ ولكنها عجبت من صبره كل هذه السنين ..وكيف لان في النهاية؟! وذكرت أنها كانت تحب له ذلك ، وأن أمها تمنت له ذلك في حياتها ..وسألته عن العروس .

ـ ليست قريبة لي يا دكتورة .. إنها امرأة صالحة ـ إن شاء الله ـ وذكر اسمها ، وعائلتها والحي الذي كانت تعيش فيه .. وفي نهاية المكالمة ، وعدته بزيارة لتبارك له ، وتتعرف على أهله ، فرحب بذلك .

وقدم إياد وزوجه ، ويصاحبهم إدريس للتهنئة والتبريك ، ورتب لهم إدريس دعوة طعام في أحد الفنادق .. وحدث قبل تلبية دعوة إدريس أن تعرض سيف لوعكة صحية .. أدخل على أثرها المستشفى ، وقضى فيه ثلاث ليال ، ثم تعافى بفضل الله ورحمته .. وقضى إدريس الأيام

الثلاثة معه في المستشفى ..وكان يأخذ زوجته إلى المستشفى في سيارتها ويعيدها .. وتعرف على طبيبه الخاص ؛ لذلك لما خرج معافى أبدت امتنانها لإدريس على وقفته معهم.. فأكد لها أن سيفا أخ له .

وقال : هذا أقل الواجب . وخاطب سيفا فقال : أنا باشرت في كتابة المسودة لقصة حياتك ، وخلال شهر ستكون بإذن جاهزة ، ولما تقرأها أبدأ بتبيضيها.. طبعا لن يعرف أحد أنها قصتك إلا من يعرفك حق المعرفة ؛ لأني سأضيف إليها فصولا وأحداثا لا دخل لك فيها ، فقبل رحلة الحج ـ إن شاء الله ـ ستكون في الأسواق .. عرض عليّ صاحب الجريدة نشرها على عدة حلقات ، فاعتذرت بأنك ستنشرها مرة واحدة .. وهي قصة بعيدة عن السياسة لعدم اهتمامك بالسياسة .

بعد زواج سيف تغير نظام زيارته لسيف ، كان يصلي العصر في حي العرب ، ومع المغرب يغادر الحي عائدا لبيته .. جاء زائرا عصرا ، فوجد أن هندا وزينب في ضيافة سيف وزوجته ، فسلم وحيا ، وجلس وعلمت هند أن إدريس هو الذي سعى في زواج سيف ، واختيار العروس ، وتبين لهنّ أن العروس أكبر منهن ؛ ولكنها مناسبة لسيف ، وتمنوا لهم التوفيق .

بعد هذه الزيارة بأيام تلقى إدريس هاتفا من الممرضة سمر ، ولما سمعوا أخبار بعضهم بكل اختصار ، قالت: أنا صرت مغرمة بجريدة صاحبك التي لم أقرأها يوما قبل أن أعرفك يا أستاذ إدريس ! وأستمتع بما تكتبه أنت ، ومقالات الفتى نصار .

شكرها إدريس على متابعة مقالاته ، فقالت : هل عرفت من صور المهندسة ؟

ـ أصدقك القول أني عرفت في النهاية ، وصرت من ورائها غنيا .

ـ رشوك لتصمت !

ـ لا ، ليس رشوة هدية تبرع .. وستكون الحقيقة في كتاب عن السيد سيف في مطلع العام القادم .. لم تصور الصورة في تلك الشقق ..صورت مع الرجاء الكتمان في القصر .. قصر والدها .

ـ شوقتني لفهم القصة.

ـ حسنا ! بما أنك صديقة ، وساعدتينني في فهم حكاية الشقق سأرتب لزيارة لك .. الأمر يحتاج لكتمان ، وعدم نشر للضرر الذي قد يصيب بعض الناس .. وهل من جديد بينك وبين الدكتور سمير ؟

ـ سمير أخي !

ـ طبعا أخوك !

ـ هل قابلته ؟

ـ أنا ألم أقل لك إني التقيت به أثناء إجراء الحوار معك ؟! ذهبت وصليت خلفه ، وتعرفت عليه ؛ لأنني عجبت من شيوعيتك وتدينه ! ففهمت الحكاية وفارق السن بينكما أيام الطفولة والمراهقة .. وحدثني عن والدك العقيد ،وعن أختك سحر وعنك .

ـ هذا أنا الآن مكشوفة لك !

ـ هذا يا سيدتي عرفته عندما بدأنا الحوار ، وذكرت أن لك أخا متدينا وإمام مسجد .. فسارعت بالبحث عنه ، وقابلته ، وذلك قبل كتابة مقابلتنا ، ودعاني لزيارته ، ولكني انشغلت بصديقي سيف .. وها نحن زوجناه من بضعة أسابيع .

ـ قرأت الخبر والتهاني ببعض الصحف ، ولم يخطر ببالي أنه سيف زميلنا أيام الجامعة .. عرفتني عليه سوزان ، وحضرت زواجه من نبيلة .. شخص لا ينسى لطلاقه الغريب ، وفي نفس الوقت لا يذكر .. معادلة صعبة .. أخيرا تزوج .. عليّ الاتصال به وتذكيره بنفسي والتهنئة .. لقد كان صائما عن الزواج ..كلما يأتِ ذكره بلقاءتنا مع نبيلة كانت حزينة من أجله.

ـ لقد زارته بنات نبيلة هند وزينب من قريب للتبريك والتهنئة .

ـ لي فترة لم أتحدث معهن .. موضوع زينب لم يتحرك !

ـ مات والدها .

ـ أعرف ، وذهبت للعزاء.. وأنا لا أدري لماذا توقف الموضوع ؟! هي لم ترفض صراحة ، ولا

قالت لا أريده .

ـ هناك أمر غامض لا أحد يريد الإفصاح عنه ؛ ربما الدكتور خالد معترض على زواجي مع أن والدها بارك زواجنا قبل أن يموت .

ـ هل قابلته ؟

ـ لا، لكنه كتب رسالة في ذلك .

ـ على كل حال سأحرك الموضوع ..أنا لا أعتقد أن خالدا معترض .. أنا أعرفه هو محب لعمله وهادئ ؛ فهو ساعدني في أمرين داخل أروقة الوزارة ..وهو جراح قلب .. ويعمل العمليات في مراكز علاج القلب ، ولا يتدخل في شأن أخواته .. علينا أن نلتقي لنسمع حقيقة الصورة.

ـ سأفعل.. أريد أن أتدخل في الصلح بينك وبين الدكتور سمير .

ـ لسنا متحاربين ؛ إنما أفكارنا متحاربة .

ـ وتتحدثون بواسطة الهاتف في فترات متباعدة ؛ كأنكم في بلدين متباعدين!

ـ هو يريد أن أعود لدينه .. وأنا لا أريد .. ولا أومن بدين سماوي .

ـ اليوم تصالحنا مع اليهود .. وقضينا شبابنا ، وهم يصدعون رؤوسنا ببغضهم وتدميرهم يا سيدتي .. دينكم الأرضي مات في بلاده ، ولم يعد يبحث عن حكم العالم .. انتصرت الرأسمالية عليكم .. فلماذا المكابرة ؟! عشرات الشيوعيين الذي عرفتهم في مطلع شبابي ذهبوا للحج والعمرة .. الشيوعية أصبحت في نظري ونظر الكثير تاريخ .. ليس عيبا أن يتراجع الإنسان عما اعتقده صحيحا في يوم ما .. لا أريد أن أعمل نفسي عليك واعظا وشيخا .. واليوم كثير من المسلمين مجرد مسلمين يزنون يشربون يكفرون يتعرون .. شوارعنا لا تختلف عن شوارع باريس ولندن .. مسلم مسلمة لا تلتزم بالإسلام ، لا صلاة ، لا صوم ؛ ربما يعرفون أنهم يتزوجون على النظام الإسلامي، وحتى الشيوعيين يتزوجون على النظام الإسلامي ؛ لأنهم لا يحكمون ، ولما يموت الشيوعي تحمل جنازته للمسجد ، وهو الذي لا يؤمن بوجود الله .. والدين أفيون الشعب .. وزعم بعضهم أن الاله مات .. ومع ذاك عندما يهلك يذهب به أهله

للمسجد ؛ لتصلى عليه صلاة الجنازة .

ـ سنتكلم بذلك .. وتناقشنا أنا والرفاق بهذا الحال ، وما صرنا إليه .. ليس من السهل التخلص من ذلك يا إدريس .. أنتظرك غدا.

ـ لا بأس أصلي المغرب في حيكم .. ونشرب الشاي .. سلمي على زوجك وأولادك .. وليكن هو الآخر في الانتظار ؛ لأن الخلوة بالمرأة لا تحل.

ـ آ ! هذا صرت شيخا أخيرا !

ـ أنا طول عمري أصلي وشيخ ؛ ولكن أحيانا أضطر للخلوة والسرية.

ـ جيد ! أليس اسم إدريس على وزن إبليس ؟

ـ لا، إبليس لعين .. وإدريس اسم ورد في القرآن ، وهو اسم نبي .



تحدثت سمر مع هند بشأن زواج إدريس وزينب ، وعلى زينب أن تقول: نعم أو لا .. وأخبرتها أن الأستاذ إدريس سيزورها الليلة بعد صلاة المغرب ، فاستأذنت هند بحضور هذه الزيارة ، فرحبت سمر بذلك ، ولما جاء إدريس تفاجأ بوجود هند ، فسلم ، وجلس ، ولم يتحدث حول الصورة ، وأخبر أن الشقق السوداء لا علاقة لها بصورة نبيلة وطلاقها ، وأن المهندس مرادا لا يد له في التصوير ، وأدركت سمر أن إدريس لا يريد الكلام عن الصورة أمام هند بأكثر مما صرح به .. وانتقل الحديث للحديث عن زينب والزواج.

فقالت هند : أنا سأتكلم بصراحة يا سمر ويا ا إدريس .. زينب لم ترفض الزواج منك ؛ إنما الذي حدث أن زينب العزيزة كما تعلمون قد أزالت الرحم بعد ولادتها في تركيا .. وقبل سنة قبل ظهور إدريس في حياتنا اكتشفت أنها تعاني من سرطان الثدي الشائع بين النساء .. فالأدوية لم تعد تجدي نفعا في علاجه .. فستخضع لعملية إزالة الثدي السقيم ..ولما جاء

إدريس إلى هذه الغرفة على ما تذكرون ضعفت عن إخباره بالحقيقة .. هي تريد الزواج .. فحاولت تشجيعها على قول ذلك لما تقابلتم هنا ؛ لكنها لم تستطع فعل ذلك .. ولم تسمح لي بالحديث عنها .. كان الظن أن العلاجات ستنجح بالشفاء ، وتوقف هذا المرض .. فكان قرار الطب البتر ، ومع اشتداد مرض أبي تجاهلنا العلاج والزواج .. وهي صدقوا أنها راغبة بوجود شريك يتفهم ظروفها ومأساتها وتعيش الحياة الزوجية .. لا تريد توريط إدريس بمشاكلها الصحية ، فافتعلت أنها تفكر ومترددة .. والأمر لك يا إدريس .. هي قابلة بك زوجا بدون تردد .. وها أنا وضحت لكم سبب كل هذا التأخير .. قد يكون سرطان الثدي من أقل أمراض السرطان خطورة ؛ ولكن المريض يعاني .. وخشيت أن تترمل ثانية .. فأنا أمام السيدة سمر أطلب منك التفكير والنظر بها جد .. وأنا أتمنى أن توافق ؛ لتحقق لها السعادة بالزواج والحياة الأسرية التي هي إليها مشتاقة .. وإذا قبلت الزواج منها سنؤجل العملية إلى ما بعد الزواج والأعمار بيد الله .

قال إدريس ملتفا لسمر : كان عليك أن تقولي ذلك من قبل.

قالت سمر : أنا لا أعرف هذا إلا الآن .

قالت هند : أحيانا كثيرة لا يستطيع الإنسان ذكر كل شيء .

قال: أنا لم أقصدك يا سمر ! وأنا قبلت بها سابقا ؛ ليس لأنها أول امرأة تعرض .. ولو صارحتمونا بذلك لتزوجها منذ زمن من أيام الوالد .. أنا ما زلت مستعدا للزواج منها يا دكتورة هند .. أنا الذي شجعني على الزواج منها عندما تحدثت السيدة سمر بذلك عدم قدرتها على الإنجاب ؛ لأني أنا عاجز عن ذلك في سنوات زواجي الأولى .. أنا قبلت بعد تأمل ليس لهفة على الزواج ..وليس طمعا بمالها ..كله بقدر الله.

قالت سمر : الآن الكرة عندكم يا هند .. وأنا متأكدة لو رغب إدريس بالزواج للزواج لتزوج من زمن بعيد كما نرى في دنيا الناس !

قالت هند : أشكركم جميعا ! وما دمت أنت مستعدا للزواج من أختي رغم علتها فعلى

الرحب .. فالمال الذي تملكه ماذا يفعل لها بعد الموت يا إدريس ؟ سيصلك الجواب خلال أيام لكن إذا قدر الله وحصل النكاح الشرعي أفضل أن تقبل العيش بقصرها دون أي حرج .. وهي تحب العمل كما تعلم .. وصدق أيها العزيز أنها تقدم الكثير والمال والأدوية للجمعيات والأماكن الصحية المجانية .. وسترى ذلك بنفسك .. وأرجو أن لا تشعرها أنك تزوجتها شفقة ورأفة حتى لو وقع ذلك في نفسك سابقا أو الليلة .

ـ العاطفة جزء من حياتنا يا دكتورة .. أنا قبلت ـ كما قلت ـ أصلا لأني لا أنجب .. فهذه العقدة التي كانت تمنعني من الزواج .. وبالنسبة للحياة معها في قصرها هذا أمر عادي .. لا حساسية لديّ .. فسأؤجر الشقة أو أعيرها .

قالت هند وهي تقف : جميل ! وأنا سعيد بما تكلمنا .. اتفقنا وستسمع أخبارا سارة .. أتحب أن أوصلك بطريقي ؟

ـ شكرًا .. أنا أنتظر زوج السيدة لحديث خاص .. سأدعوهم للإسلام .

ـ معقول! هذه مهمة صعبة ! رأيت مجادلات عقيمة لسمر .. فشقيق سمر دكتور شريعة ، ومن المشايخ .

ـ الله يضع سره في أضعف خلقه كما يقال .

وبعد وداع هند عادا للجلوس وقالت : هو في البيت ؛ ولكنه استحى من هند . ونادت بصوت مرتفع ، فظهر زوجها بعد قليل وسلم على إدريس ، وبعد التحايا قالت : قبل أن تتحدث عن الإسلام والدين تحدث عن الصورة .

ـ باختصار ، ولأنكم أصدقاء ، وساعدتموني في التحريات حول الصورة .. فالذي صور نبيلة هو والد هند ؛ ليطلقها سيف ويتزوجها .

صاحت استغرابا : الدكتور غريب!!

وبعد دهشتهم قال : نعم ، هذا ما تبين لنا .. وصورها داخل القصر باستخدام مسحوق السيطرة على العقل الذي يستخدم في علاج المرضى العقليين ، حيث كان يعمل في مستشفى

أمراض عقلية ونجح .. وسيصدر كتاب عن حياة سيف بقلمي على شكل رواية اجتماعية .. ولا يعرف أحد أنها عنه إلا من يعرف المهندس سيف مثلكم .

ـ وأنتم كيف عرفتم ؟!

ـ هو اعترف لنا قبل موته برسالة خاصة.

قالت : هو فعل ذلك ليتزوجها !

ـ نعم ، طلبها قبل سيف ؛ ولكن أمها لم تقبل به .. والفتاة كانت تحب سيفا كما تعلمين .. ففعل الحيلة ، وورط مرادا عن طريق رسالة .. وسيف لما رأى الصورة ذهب عقله ، وتسرع بالطلاق .. وظهر الرجل أمام والدها بالبطل والشهم .. وتزوجها ، وماتت نبيلة وهي لا تعرف الحقيقة ؛ لكنها تشك بخبثه دون دليل أو اعتراف .. وهو لم يكن نظيفا.

ـ هذا معروف عنه .. وكانت بناته مخزيات من مغامراته رغم حياتهم في حي لا يهتم بمثل هذه القصص .

ـ وهذا سيظهر في القصة دون إظهار الأسماء الحقيقية .. وأرجو أن لا يبث هذا الخبر .

ـ وربع المليون !

تحدث إدريس عن التعويض الذي دفعه غريب لسيف ، ورفض سيف قبوله ، وحول على حسابي ، وقال : عوضه عن كل سنة عشرة آلاف دولار .

صاح زوج سمر : مذهل هذا السيف ! معقول!

قالت سمر : شيء رهيب الدافع والقابض والفائز !

قال إدريس : إذن هي ليست رشوة .. وهذا ما حصل .. فأنا في أقل من ساعة تحولت ثريا .. وإذا تزوجت زينب سأكون من أهل حي بهية ؛ ولكن ينقصني الورثة .. وسيف بسبب قصة الصورة صار صديقا لي .

قالت سمر : يا إلهي ! ما زال هناك أناس بهذا السخاء ! وقصة الدكتور سمير .

ـ سمير أخوك .. عندما تحدثت عن سبب طلب أم نبيلة منك أن تجدي لزينب زوجا متدينا

ذكرت أن سبب الطلب أن أخاك إمام مسجد .. فتحريت عنه ، وقابلته ، وعرفت المزيد من المعلومات الخاصة عنك .. وحدثني أنه حاول مرات ومرات إقناعك بالعودة إلى الإسلام .. ووجد منك عنادا وصلابة أكثر من الروس الذين تخلو عن الماركسية في أيام معدودات وعرفوا أنها نظام حياة فاشل ومتأخر ومتخلف .. ومن العجيب أن بعض العرب متعلق بها أكثر من أهلها!

قال زوجها : لم يعد أحد ينظر إليها كمنهج حياة يا صديقنا ! لكننا عشنا شبابنا وكهولتنا عليها ، فمن الصعب على بعض الناس التخلي عن ماضيهم وتاريخهم .

ـ رواسب الماضي ، والتضحيات التي قدمها لا تهون عليه ، والذي سجن وحرم من العمل في مؤسسات من أجلها .. يا سيدي العرب قبل الإسلام عبدت الحجارة والأشجار والكواكب وتركوا ذلك وعبدوا الله .. بعضهم بسرعة وبعضهم ببطء.

ـ وبعضهم تظاهر بالإسلام .

ـ قصدك المنافقون

تحدث سيف مع إدريس قائلا بفرح طاغ : تحدثت معي هند قبل دقائق .. وتقول لك: ألف مبارك يا إدريس لزينب سعيدة بقبولك لها بعد أن عرفت أنها مريضة بسرطان الثدي ، وتقدر شجاعتك ، وتضحيتك.. وهم بحاجة للقائك ، فاخترت بيتي للقاء عصرا ..صَل العصر عندنا .

صلى العصر في حي بهية ، ولما دخل بيت سيف ، كان الدكتور خالد وشقيقاته في انتظاره ، وسلم وحيا الجميع ، وجرى التعارف بينه وبين الدكتور خالد ، وأعجب إدريس بخالد ، ووجده مثل الطفل الصغير جسما وصوتا .

وقال خالد : أختي زينب لا تمانع من الاقتران بك يا أستاذ إدريس.. وقد ذكرت معلومات طيبة عنك.. وسنؤجل العملية الجراحية والاستئصال إلى ما بعد الزواج حتى تذهب بنفسية طيبة ، وزوج محب لها .. وأقول إن الأخت العزيزة ترغب أن تعيش معها هنا في حي بهية قرب

صديقك العزيز سيف ، وقرب صيدليتها .. وذكرت هند أنك لا تمانع في ذلك ، ولا حرج .

قال إدريس : وكما يعرف أخي سيف أنا قضيت عمري أعزب مثله؛ لذلك انجذبنا لبعض بسرعة للتشارك المعنوي بيننا، فيمكنني العيش هنا ، وفي حيكم وبدون أي حرج أيها الأصدقاء .. وأنا أشرف بالزواج من الدكتورة زينب أخت حضرتكم .. وأنا أعترف أن الذي جعلني أتشجع وأقدم على هذه المغامرة تشاركي مع الفاضلة بعدم قدرتنا على الإنجاب وهذا أمر الله علينا ، نسلم له .

وتحدث سيف فقال : إدريس أحب إليّ من إخوتي وأهلي .. لما تزوجت من عهد قريب كما سمعتم مرضت ، وقَعَدت في المشفى ثلاث ليال قضاهن معي .. رب أخ لك لم تلده أمك .. وهذا الرجل منهم .. وألف مبارك لك يا دكتورة زينب .. وألف مبارك لك يا أستاذ إدريس والأستاذ بكالوريوس صحة عامة .. يعني متعلم في الجامعة يا دكتور خالد .. وسيكون أفضل جار لنا.

واتفقوا أن يكون الزواج يوم الجمعة القادم ، وذهبوا لبيت زينب فقال سيف : أرى أن نغير غرفة النوم فقط يا إدريس كما فعلت أنا .. وهي هدية مني ، وأقسم على ذلك .

ومشوا إلى قصر خالد قصر الدكتور غريب ، وقدم لهم العشاء ، وتعرف إدريس على زوجة خالد وأولاده .. له طفلان فقط .. وجاء زوج هند ، وشاركهم العشاء ، وتعرف على إدريس وقال إدريس: غدا سأرتب أمور الزواج ، ونذهب للقاضي لعقد الزواج.. والجمعة نحتفل بالزواج.

قال خالد :حفل الزواج كما تريد زينب تريده أن يكون بسيطا ، وفي نادي الحي يا مهندس سيف .. ومقصور على عدد بسيط مائة إنسان وسيكون الحفل على نفقتي بإذن الله .

فقال إدريس: وأنا ماذا أدفع ؟!

قالت هند : المهر والصداق عليك.

ـ هذا مفروغ منه يا دكتورة هند .. نحن لم نتفق على المهر يا دكتور خالد .

قالت زينب : سيكون المهر دينارا واحدا يا أستاذ إدريس .. أنا لست بحاجة لمال، ولا متأخر ولا أثاث .

قال إدريس : قبلت يا سيدتي الكريمة .. وسأدفع عشرين ألف كذهب تتزينين به كذكرى لزواجنا الخالد .

ـ أحرجتني يا إدريس وسأقبله !

وفي مساء الجمعة احتفل الأصدقاء من جهة الطرفين بزواج إدريس وزينب في أحد الناديين في حي بهية ، وكان إياد وسمر وسوزان وعبير من ضمن المدعوين من جهة إدريس ، ولما انتهى الحفل تفرق الناس ، وأقيمت سهرة خاصة في منزل زينب شارك فيها الأعزاء العروسين العشاء .

وبعد شهر من الزواج خضعت السيدة زينب لجراحة لإزالة الثدي المريض ، وتعرضت لعلاجات صعبة ؛ ولكنها أحست بالسعادة بوقوف إدريس بجانبها خلال تلك المحنة ، وكذلك صديقه سيف .. وكانا لا يفارقان المستشفى إلا لماما للصلاة أو النوم بضع ساعات .. وخرجت السيدة بعد عشرة أيام ، وعادت للبيت وهي في غاية السرور من حب إدريس لها .. وكان عليها أن تتابع العلاج حتى تشفى تماما ، ولما استقروا في البيت قدم لهم زوج هند بهدية سيارة منه ، ومن زوجته بمناسبة الزواج ، وبمناسبة نجاح العملية ..وتسلم إدريس المفاتيح شاكرا .. وكانوا سعداء رغم مرض زينب .. ولما اقترب موسم الحج تجهز سيف وزوجته ، وإدريس وزوجته إلى رحلة عظيمة عند المسلمين ، وعندما تكون بالطائرة ستكون مريحة إلى حد كبير وأيسر من رحلة بالبحر والبر .. ورحلة الحج تكون بعد رمضان بشهرين .. وكان إدريس قد نشر القصة قبل السفر بأسبوع .. وكانت طبعة راقية وثمينة .

تمت

حي ابو خروف

هوايتي قراءة الكتب والقصص ، دخلت الحي المعروف بأبي خروف ، وخُبرت ان عدة مآسي جرت أهم أحداثها في هذا الحي ، فسمعت منها الكثير أثناء عيشي فيه ، وانتقيت لك عشر منها ، وراعيت سنواتها ، وتركت الكثير ؛ ربما نتحدث عنها إذا تيسر الأمر بمشيئة الله وحده.

ولا يعني هذا الكلام عن مآسي البشر أنه لم تكن هناك قصص نجاح وسعادة ؛ بل هي الكثرة الغالبة.

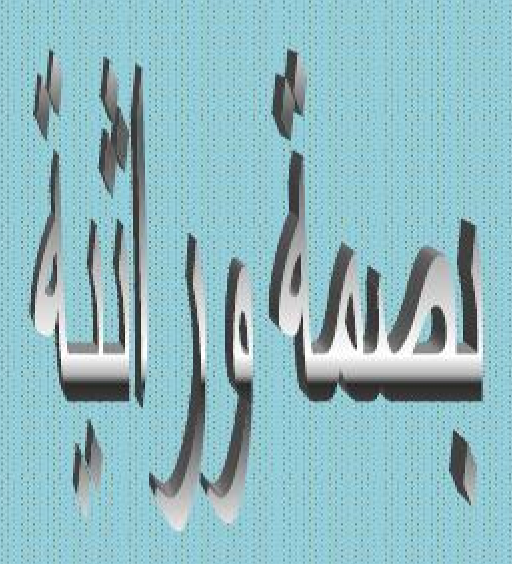
وكما عُلمنا السعيد من اتعظ بغيره ، والشقي من اتعظ بنفسه، وقد قرأنا في الكتاب العظيم ما أصاب عاد وثمود ومدين وسدوم.

لعلك تستمتع ، وتحمد ربك وتشكره ببعد الشقاء عنك عندما ترى مآسي البشر ، وضعفهم عندما يبتعدون عن الصراط السوي، ويسيرون وينغمسون مع شهواتهم وملذاتهم دون عقل وضابط وخلق ودين .

المحب لكم جمال

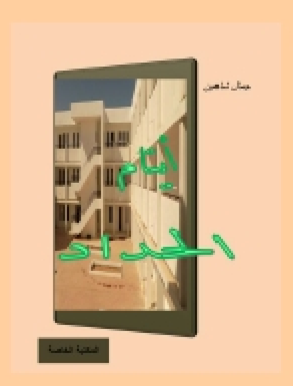
المكتبة الخاصة


لغز
القصر الصحرواي


بصمة وراثية



المكتبة الخاصة



تفاجأ الأيتام باختيارها لزوجها فكان طلاق أمها من الرجل الذي ضحى وجاهد من أجلهم ومن أجل تعليمهم .

ثم تبين أن زوجها الاول هو قريب لزوج أمهم .. هذه سيرة حياة منى ربيع؛ لعلك تستمتع بقراءتها كما استمتعت أنا براوية أحداثها

جمال

المكتبة الخاصة

رواية

شمس عَمري

جمال شاهين

دار المأمون للنشر والتوزيع

شمس عَمري

جمال شاهين

دار المأمون للنشر والتوزيع

شمس عَمري

جمال شاهين

ISBN 9957-462-14-8 (ردمك)

دار المأمون للنشر والتوزيع

العبدلي - عمارة جوهرة القدس

تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧

ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن

E-mail: daralmamoun@maktoob.com


الشفق
السوداء
تلاقت العيون الأربعة في المقهى الذهبي، وبعد شهور من
النظرات تلاقت القلوب، فعرف أن الرجل يبحث عن
رجل التقى به قبل ثلاثين سنة في هذا المقهى،
وابتاع منه صورة مهينة لزوجته صورة عارية .
فحدثت حوارات وتحقيقات واعترافات عن الشفق
السوداء . . فكسب الكاتب الهاوي من رواياتها أكثر
من ربع مليون وزوجة غنية . . وهذا يؤكد غرائب
الدنيا وأخبارها .